

مجلة العلوم العربية

مجلة علمية فصلية محكمة

العدد السادس والسبعون

رجب ١٤٤٦ هـ

رقم الإيداع: ١٤٢٩ / ٣٥٦٣ بتاريخ ١٩ / ٠٦ / ١٤٢٩ هـ
الرقم الدولي المعياري (ردمد) ٤١٩٨ . ١٦٥٨







المشرف العام
الأستاذ الدكتور/ أحمد بن سالم العامري
معالي رئيس الجامعة

نائب المشرف العام
الدكتور/ نايف بن محمد العتيبي
وكيل الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي

رئيس التحرير
الأستاذ الدكتور/ غازي بن خلف العتيبي
النحو والصرف وفقه اللغة - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

مدير التحرير
الدكتور/ عبدالرحمن بن إبراهيم الجريد
البلاغة - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



أعضاء هيئة التحرير

أ.د. عبدالعزيز بن علي الغامدي

النحو والصرف وفقه اللغة - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أ.د. عبد الكريم بن علي عوفي

اللغويات - جامعة باتنة بالجزائر

أ.د. سعيد عبد القادر يقطين

الأدب (القصة والرواية) - جامعة محمد الخامس بالمغرب

أ.د. مجدي حاج إبراهيم

اللسانيات التطبيقية - الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا ، ورئيس مركز اللغة العربية للناطقين بغيرها في الإيسيسكو

أ.د. منير مويتش

الأدب - جامعة سرايفو بالبوسنة

د. سيمون سيبيليو (أستاذ مشارك)

اللغة العربية وآدابها - جامعة كا فوسكاري في البندقية بإيطاليا

أ.د. يون أون كيونغ

تعليم اللغة العربية - جامعة هانكوك بكوريا الجنوبية

أ.د. هنيئ محلية الصحة

تعليم اللغة العربية - جامعة مالانج الحكومية بإندونيسيا

أ.د. محمد يوسف السيد حبلى

علم اللغة - جامعة القاهرة بمصر

أمين التحرير

أ.د. أحمد محمد الجندي

النحو والصرف وفقه اللغة - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

قواعد النشر

مجلة العلوم العربية مجلة علمية محكمة، تصدر عن عمادة البحث العلمي، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وتُعنى بنشر البحوث العلمية وفق الضوابط الآتية :

أولاً : يشترط في البحث ليقبل للنشر في المجلة :

- ١- أن يتسم بالأصالة والابتكار، والجدة العلمية والمنهجية، وسلامة الاتجاه .
- ٢- أن يلتزم بالمناهج والأدوات والوسائل العلمية المعتبرة في مجاله .
- ٣- أن يكون البحث دقيقاً في التوثيق والتخريج .
- ٤- أن يتسم بالسلامة اللغوية .
- ٥- ألا يكون قد سبق نشره .
- ٦- ألا يكون مستثلاً من بحث أو رسالة أو كتاب، سواء أكان ذلك للباحث نفسه، أم لغيره .

ثانياً : يشترط عند تقديم البحث :

- ١- أن يقدم الباحث طلباً بنشره، مشفوعاً بسيرته الذاتية(مختصرة) وإقراراً يتضمن امتلاك الباحث لحقوق الملكية الفكرية للبحث كاملاً، والتزاماً بعدم نشر البحث إلا بعد موافقة خطية من هيئة التحرير .
- ٢- أن يكون البحث في حدود (٥٠) صفحة مقاس (A 4) .
- ٣- أن يكون حجم المتن (١٧) Traditional Arabic، والهوامش حجم (١٤) وأن يكون تباعد المسافات بين الأسطر (مفرداً) .
- ٤- يرسل الباحث بحثه إلى منصة المجلات الإلكترونية (<https://imamjournals.org>) مع ملخص باللغتين العربية والإنجليزية، لا تزيد كلماته عن مائتي كلمة.

ثالثاً: التوثيق :

- ١ - توضع هوامش كل صفحة أسفلها على حدة .
 - ٢ - تثبت المصادر والمراجع في فهرس يلحق بآخر البحث .
 - ٣ - توضع نماذج من صور الكتاب المخطوط المحقق في مكانها المناسب .
 - ٤ - ترفق جميع الصور والرسومات المتعلقة بالبحث، على أن تكون واضحة جلية .
- رابعاً : عند ورود أسماء الأعلام في متن البحث أو الدراسة تذكر سنة الوفاة بالتاريخ الهجري إذا كان العَلَم متوفى .
- خامساً : عند ورود الأعلام الأجنبية في متن البحث أو الدراسة فإنها تكتب بحروف عربية وتوضع بين قوسين بحروف لاتينية، مع الاكتفاء بذكر الاسم كاملاً عند وروده لأول مرة .
- سادساً : تُحَكَّم البحوث المقدمة للنشر في المجلة من قبل اثنين من المحكمين على الأقل.
- سابعاً : لا تعاد البحوث إلى أصحابها، عند عدم قبولها للنشر .
- عنوان المجلة :

جميع المراسلات باسم رئيس تحرير مجلة العلوم العربية

الرياض ١١٤٣٢ - ص ب ٥٧٠١

هاتف : ٢٥٨٢٠٥١ - ناسوخ (فاكس) ٢٥٩٠٢٦١

www. imamu.edu.sa

E.mail: Arabicjournal@imamu.edu.sa

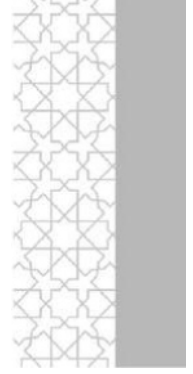
المحتويات

١٣	سكّث حفص المتفق عليه في القرآن الكريم دراسة نحوية دلالية أ.د. صالح بن إبراهيم الفراج
٦٨	التوجيهات الصوتية في الشاطبية عرض ودراسة د. عبدالله بن فهد بن بتال الدوسري
١٤٦	المناهج اللغوية بين تقويم المحدثين ومعايير علم اللغة أ. د سعود بن عبد الله بن محمد آل حسين التميمي
٢٢٠	البناء المنهجي لكتاب حازم القرطاجني (منهاج البلغاء وسراج الأدباء) ووجوه اتصاله بالرؤية النقدية الحديثة د. سامي بن عبد العزيز العجلان
٢٨٣	توظيف أمثال الاستبعاد في الشعر الجاهلي (دراسة في صور المعاني) د. عبد الرحيم محمود أحمد عيسى

سُكَّتْ حفص المتفق عليه في القرآن الكريم
دراسة نحوية دلالية

أ.د. صالح بن إبراهيم الفراج
الأستاذ بقسم النحو والصرف وفقه اللغة
بكلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية





سكت حفص المتفق عليه في القرآن الكريم : دراسة نحوية دلالية

أ.د. صالح بن إبراهيم الفراج
الأستاذ بقسم النحو والصرف وفقه اللغة بكلية اللغة العربية
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

تاريخ قبول البحث: ١٤٤٦ هـ / ٤ / ٢٦

تاريخ تقديم البحث: ١٤٤٦ هـ / ٤ / ٤

الملخص:

غني هذا البحث بدراسة نوع من أنواع الوقف في القرآن الكريم، وهو سكت حفص بن سليمان المتفق عليه في القرآن الكريم.

وقد ورد للإمام حفص من طريق الشاطبية أربع سكتات متفق عليها، وهي قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۖ فَيَمَّا يَنْزِرُ بَأْسًا شَدِيدًا﴾ [الكهف: ١، ٢]، ﴿قَالُوا يَنْزِلُنَا مِنْ بَعْثِنَا﴾ [الأنعام: ١١٠]، ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ [الأنعام: ١١٠]، ﴿قَالَ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤].

وقد جمع الشاطبي في حرز الأمانى ووجه التهاني سكت حفص في قوله:

وَسَكَّتْهُ حَفْصٌ دُونَ قَطْعٍ لَطِيفَةٌ عَلَى أَلْفِ التَّنْوِينِ فِي عِوَجًا بَلَا

وَفِي نُونٍ مَنْ رَاقٍ وَمَرْقَدِنَا وَلَا م بَلْ رَانَ وَالْبَاقُونَ لَا سَكَّتْ مُوَصَلًا^(١)

وهذا البحث راعى جانب الإعراب والمعنى والتعليل اللغوي لهذه السكتات الأربع، فجاء في تمهيد للحديث عن الإمام حفص، وعن المراد بالوقف والسكت، ثم دراسة مواضع سكت حفص في القرآن الكريم..

الكلمات المفتاحية: (سكت، حفص، القرآن الكريم - دراسة - لغوية).

Hafs's Pauses Agreed on by Reciters in the Holy Qur'an : A Grammatical, Pragmatic Study

Prof. Saleh bin Ibrahim Al-Farraj

Professor of Grammar and Morphology and Philology at the College of Arabic Language – Imam Mohammad Ibn Saud Islamic University

Abstract:

This research studies of one of the types of pauses in the Holy Qur'an, namely the Imam Hafs bin Suleiman's pause agreed upon (by reciters) in the Holy Qur'an. Four of Imam Hafs's pauses were stated in the *Shatibiya Text*. Such are which are the words of the Almighty:

﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۖ قَيِّمًا لِّيُنْزِلَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾ [الكهف: ٢٠، ٢١]،
﴿قَالُوا يَنْوَلِّنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢]،
﴿وَيَقِيلُ مِنَ رَاقٍ﴾ [القيامة: ٢٧]،
﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤].

In his *Harz Al-Amani and Wajh Al-Tahani*, such pauses are stated as follows:

And the stroke of Imam Hafs bin Suleiman's tender pause, not full stopping, on the “Alif” (A in alphabet) in Awja without

And the noon (n) in “*man raq?*” (Who will cure?), and the (noon) (N) in *marqadana* (place of sleep) and the (laam) (l) in “the stain has covered...” and the remainders, continuing, not stopping

(*Al-Shatbiya Text*: 66)

This research took into consideration the aspects of expression, meaning and linguistic justification of these four pauses. Such were dealt with in the introduction to discussing Imam Hafs's pauses. came in a preface to talk about Imam Hafs, and what is meant by pauses and full stopping, and then study Hafs's positions of silence in the Holy Qur'an

Keywords: pauses, Hafs, the Holy Quran - study – linguistic.

المقدمة:

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلَاةُ والسَّلَامُ على أشرفِ الأنبياء والمرسلين سيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ، وتابعيهِمْ بإحْسَانٍ إلى يَوْمِ الدِّينِ. وبعد:

فمن المعلوم أنَّ للوقف والابتداء أثرًا في تحديد المعنى، ومن ثَمَّ في التوجيه الإعرابي للألفاظ داخل التراكيب، وما القصة التي أوردتها الزجاجي في مجالسه^(١) عن الكسائي واليزيدي حين تحاورا بحضرة الرشيد حول قول الشاعر:

لا يكون العيرُ مهرًا لا يكون المهرُ مهرًا^(٢)

وكيف أنَّ الكسائي عندما لم يراعِ الوقفَ، وظنَّ أنَّ الكلام متَّصلٌ، رأى في البيت إقواءً، بينما راعى اليزيدي الوقفَ وعدَّ البيت صحيحًا لا إقواء فيه، وقول الشاعر: "المهرُ مهرٌ" جملة مستأنفة مكوَّنة من مبتدأ وخبر، ولا أثر لـ(يكون) فيهما؛ لأنَّه قد وُقفَ عليه.

ولا يخفى أنَّ العناية بتجويد الحروف، والتزام الصَّحيح من الوقوف وسيلةٌ إلى تدبُّر كتابِ الله تعالى، والتَّعرُّفِ الصَّحيح على معناه، وهذان يُفْضِيَانِ إلى العملِ بما جاء به، والأخذِ بتشريعه، وتنفيذِ أحكامه، وإتباعِ أوامره، واجتنابِ زواجره.

(١) ينظر: ص ١٩٥.

(٢) لم أقف له على نسبة، وقد ورد في: مجالس العلماء للزجاجي ص ١٩٥، ومعجم الأدباء ١٣/١٧٨، وحياة الحيوان الكبرى ١/٤٠.

ولقد أدرك العلماء الأوائل تلك الحقيقة، يقول الإمام عليّ-رضي الله عنه:- "التَّزْيِيلُ: معرفة الوقوف، وتحقيق الحروف، وهذا القرآن نزل باللغة العربية، والوقف والقطع من حليتها؛ فإنَّ الوقف حلية التلاوة، وتحلية الدراية، وزينة القارئ، وبلاغة التَّالِي، وفَهْم المستمع، وفَخْر العالم"^(١)

وقال أبو حاتم السجستاني: "مَنْ لَمْ يَعْلَمْ الْوَقْفَ، لَمْ يَعْلَمْ مَا يَقْرَأ"^(٢)؛ لأنَّ الوقف يُعَلِّمُ به الفرقُ بَيْنَ الْمَعْنَيْنِ الْمُخْتَلَفَيْنِ، وَالْقِصَّتَيْنِ الْمُتَنَافِئَتَيْنِ، وَالْآيَتَيْنِ الْمُتَضَادَّتَيْنِ، وَالْحُكْمَيْنِ الْمُتَقَارِبَيْنِ، وَبَيْنَ النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ، وَالْمُجْمَلِ وَالْمُفَسَّرِ، وَالْمُحْكَمِ وَالْمُتَشَابِهِ، وَيُمَيِّزُ بَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَبَيْنَ مَا يَقْتَضِي الرَّحْمَةَ وَالْعَذَابَ، وَبَيْنَ السَّاكِنِ وَالْمُتَحَرِّكِ؛ أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَا يُبْتَدَأُ بِسَاكِنٍ وَلَا يُوقَفُ عَلَى مُتَحَرِّكِ، وَهُوَ أَدَبُ الْقُرْآنِ، وَمَسَامِيرُهُ وَدُسْرُهُ"^(٣)

وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ - يُعَلِّمُهُ أَصْحَابُهُ، يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ، فَاقْرَؤُوا وَلَا حَرَجَ، وَلَكِنْ لَا تَخْتَمُوا ذِكْرَ رَحْمَةٍ بِعَذَابٍ، وَلَا ذِكْرَ عَذَابٍ بِرَحْمَةٍ)^(٤)

قال أبو جعفر النَّحَّاسُ فِي تَعْلِيْقِهِ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ: "فَهَذَا تَعْلِيمُ التَّمَامِ تَوْقِيفًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ -، بَأَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَقْطَعَ عَلَى الْآيَةِ الَّتِي فِيهَا ذِكْرُ

(١) انظر هذا الخبر في: الإتيان ٢٣٢/١، ولطائف الإشارات ٢٤٩/١.

(٢) وفي بعض الروايات عنه: (لم يعلم القرآن). انظر: لطائف الإشارات ٢٤٩/١.

(٣) انظر: إيضاح الوقف والابتداء ١٠٨/١، والقطع والانتناف ١١/١، والمكتفى ١٠٢.

(٤) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ١٠٠/٦، ومسلم في صحيحه

٥٦٢/١، وأحمد في مسنده ١١٤/٥، ١٢٢، ١٢٤.

الجنة والثواب، ويُفصل ما بعدها إن كان بعدها ذكر النار أو العقاب، نحو: (يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ) ^(١)، ولا ينبغي أن يقول: (وَالظَّالِمِينَ)؛ لأنه منقطع عما قبله؛ لأنه منصوب بإضمار فعل، أي: ويُعَذِّبُ الظالمين، أو وأوعَد الظالمين" ^(٢).

لكلِّ ما تقدّم أردتُ أن أكتب في موضوع يتَّصل بعلم الوقف والابتداء، فكانَ هذا البحث الذي وسمَّته بـ (سكت حفص المتفق عليه في القرآن الكريم: دراسة نحوية دلالية).

كما دفعني لاختيار هذا البحث أمورٌ أخرى غير ما تقدّم، منها:

أولاً: دراسة سكت حفص من حيث الصناعة والمعنى.

ثانياً: الوقوف على تعليقات العلماء لسكت حفص، ومناقشتها وبيان الراجح منها.

ثالثاً: إبراز الصِّلاتِ القويّة بين الإعراب والوقف والابتداء، وما يترتب على ذلك من تعدد للمعاني المختلفة، وبإثبات تلك الصِّلاتِ يمكننا إبطال دعوى "أنَّ النحاة لم يتعرَّضوا لتعليل الوقف والابتداء، مُكتفين ببيان كَيْفِيَّتِهِ وصفَتِهِ على ما هو مُبيَّن في علم الصرف، وأنَّ القرّاء وحدّهم هم الذين اختصوا بهذا الفضل، وفازوا بهذا السَّبَق" ^(٣).

(١) سورة الإنسان من الآية ٣١.

(٢) القطع والائتناف ١/١٣، ويراجع: المكتفى ١٠٢، ١٠٣.

(٣) تنظر هذه الدعوى في: مقدمة تحقيق المكتفى ص ١١.

رابعاً: اتصالُ هذا الموضوع بالدراساتِ القرآنية، وهي أخلدُ على الزَّمنِ، وأنفعُ للناسِ، وأجدُرُ أنْ تبدلَ فيها الجهودُ، وأولى أنْ تُصرفَ إليها الهِمَمُ.

وبعد بحث فيما تحت يدي من مصادر لم أقف على دراسة نحوية حُصِّصَتْ في سكت حفص، أمّا سكت حفص قرائياً فقد وقفت على بحث فيها بعنوان: (السكت في رواية حفص من طريقي الشاطبية والطبية وتوجيهه)، وهو منشور في مجلة كلية أصول الدين العدد ١٦ رمضان ١٤٣٩ هـ - مايو ٢٠١٨ م، للدكتور: سليمان إسماعيل إبراهيم مردس - أستاذ مساعد بقسم القراءات جامعة أم درمان الإسلامية.

ويختلف بحثي عن هذا البحث؛ إذ بحثي متوجه إلى معالجة مواضع سكت حفص نحويّاً ودلاليّاً فقط، أمّا هذا البحث فحديثه مقصور على جانب الرواية والقراءة فقط ولم يعرض للجانب النحوي التحليلي.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة الموضوع أن يكونَ في مقدمة، وتمهيد، ثمَّ مسائل البحث، وأعقبْتُ ذلك بالخاتمة، وثبتت المصادر والمراجع.

أولاً: المقدمة، وفيها حديث عن أهمية الموضوع، والأسباب الداعية لاختياره، والخطة التي انتظمْتُها في معالجته، ومنهج دراستي فيه.

ثانياً: التمهيد، وفيه التعريف بالإمام حفص، والتعريف بالوقف والسكت.

ثالثاً: مسائل البحث.

رابعاً: الخاتمة، وفيها عرضُ لأبرز النتائج التي توصَّلتُ إليها من خلال البحث.

خامساً: ثبتت المصادر والمراجع.

منهج البحث:

منهجي في تناول هذا البحث هو المنهج الوصفي التحليلي.

هذا، ولم يقف عملي في هذا البحث عند حدِّ جمع المادة العلمية

فحسب، بل حاولتُ المناقشة، واستخراج المعنى المترتب على كلِّ موضع من

مواضع السكت، وغير ذلك ممَّا تقتضيه طبيعة البحث العلميِّ.

والله من وراء القصد، وهو يهدي السبيل.

التمهيد

أولاً: التعريف بالإمام حفص

اسمه ونسبه^(١):

هو حفص بن سليمان بن المغيرة، أبو عمر الأسدي الكوفي الغاضري البزاز - نسبة إلى بيع البزّ، أي: الثياب -، يُعرف بـ (حفص، وحُفَيص، بالتصغير)، ويكنى أبا عمرو، وُلد سنة ٩٠ هـ.

شيوخه:

أخذ القراءة عرضاً وتلقيناً عن الإمام عاصم، وهو أحد راوييه، وكان ربيبه، ابن زوجته. وروى الحديث عن علقمة بن مرثد، وثابت البناني، وأبي إسحاق السبعي، وليث بن أبي سليم، وغيرهم^(٢).

تلاميذه:

روى القراءة عنه عرضاً وسماعاً، حسين بن محمد المروزي، وحمزة بن القاسم الأحول، وسليمان بن داود الزهراني، وحمدان بن أبي عثمان الدقاق، وعمرو بن الصباح، وعبيد بن الصياح، وأبو شعيب القواس، وغيرهم^(٣).

(١) ينظر في ترجمته: معرفة القراء الكبار ١ / ١٤٠، ١٤١، وغاية النهاية ١ / ٢٥٤، وتحرير

التيسير لابن الجزري ص ١١٠، والإقناع ١ / ١١٧.

(٢) ينظر: مراجع الحاشية السابقة.

(٣) انظر: صفحات في علوم القراءات ص ٣٥١.

ضَبْطُهُ وَإِتْقَانُهُ:

أخذ القراءة عرضًا وتَلَقِينًا عن عاصم فأتقنها حتى شهد له العلماء بذلك، ولقد كان -رحمه الله- كثير الحفظ والإتقان، وقد أثنى عليه الإمام الشاطبي بقوله:

وَحَفْصٌ وَإِتْقَانٌ كَانَ مُفَضَّلًا^(١)

ولذلك اشتهرت روايته وتلقاها الأئمة بالقبول، وليس ذلك بغريب عليه، فقد تربى في بيت عاصم، ولازمه وأتقن قراءته حتى كان أعلم أصحابه بها، وأقرأ الناس بعد وفاة عاصم فترة طويلة من الزمان مَنَزَلَتُهُ:

قال أبو هشام الرفاعي: "كان حفص أعلم أصحاب عاصم بقراءته، فكان مُرَجَّحًا على شعبة بضبط الحروف^(٢). وقال الذهبي: هو في القراءة ثقة ثَبَّتْ ضابطة. وقال ابن المنادي: قرأ على عاصم مرارًا، وكان الأولون يعدونه في الحفظ فوق أبي بكر شعبة بن عياش، ويصفونه بضبط الحروف التي قرأها على عاصم، وأقرأ الناس بها دهرًا طويلًا^(٣).

(١) حرز الأماني ووجه التهاني ص ٣.

(٢) انظر: صفحات في علوم القراءات ص ٣٥٠.

وَقَالَ ابْنُ مَعِينٍ: هُوَ أَقْرَأُ مِنْ أَبِي بَكْرٍ^(١).

اتصالُ سندهِ بالنبيِّ -صلى الله عليه وآله وسلم:

قرأ حفص القرآن الكريم على الإمام عاصم بن أبي النجود، وقرأ عاصم بالرواية التي أقرأها حفصاً على أبي عبد الرحمن السُّلَمي عن علي -رضي الله عنه- عن رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم.

ولقد روي عن حفص أنه قال: قلت لعاصم إن أبا بكر شعبة يخالفني في القراءة فقال: أقرأتك بما أقرأني به أبو عبد الرحمن السُّلَمي عن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- وأقرأت شعبة بما أقرأني به زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه^(٢).

وفاته:

توفي حفص سنة (١٨٠هـ) على الصحيح، وكان قد ناهز التسعين من العمر. رحمه الله^(٣).

(٣) انظر: صفحات في علوم القراءات ص ٣٥٠.

(١) ينظر تحبير التيسير لابن الجزري ص ١١٠، ومناهل العرفان ٤٥٩.

(٢) انظر: غاية المريد في علم التجويد ص ٣٤، وصفحات في علوم القراءات ص ٣٥١.

(٣) ينظر: معرفة القراء الكبار ١ / ١٤٠، ١٤١، وغاية النهاية ١ / ٢٥٤، وتحبير التيسير لابن الجزري ص ١١٠، والإقناع ١ / ١١٧.

ثانيًا: الوقف: مصطلحاته وصلته بالنحو

من مصطلحات الوقف: الوقف والقطع والسكت، وكلها بمعنى واحد عند المتقدمين^(١)

تعريف الوقف:

الوقف لغةً: الحبس والكف^(٢). حكى أبو عمرو الشيباني: "كَلَّمْتُهُمْ، ثُمَّ أَوْقَفْتُ عَنْهُمْ، أَي: أَمْسَكْتُ، وَكُلُّ شَيْءٍ تُمَسِّكُ عَنْهُ، تَقُول: أَوْقَفْتُ"^(٣). ويُقال: وَقَفَ الْقَارِئُ عَلَى الْكَلِمَةِ وَقُوفًا: عَلِمَ مَوَاقِعَ الْوُقُوفِ، وَوَقَفَ عَلَى الْكَلِمَةِ جَعَلَهَا مَوْضِعَ وَقْفٍ^(٤).

واصطلاحًا: عبارة عن قَطْعِ الصَّوْتِ زَمَنًا يَتَنَفَّسُ فِيهِ عَادَةً، بَنِيَّةٌ اسْتِثْنَاءُ الْقِرَاءَةِ؛ إِمَّا بِمَا يَلِي الْحَرْفَ الْمَوْقُوفَ عَلَيْهِ، أَوْ بِمَا قَبْلَهُ لَا بَنِيَّةَ الْإِعْرَاضِ^(٥). وقيل: هو قطع صوت القارئ على آخر الكلمة الوضعيَّة زمانًا^(٦).

(١) ينظر: الإتيقان في علوم القرآن ٢٩٩/١.

(٢) انظر: الصحاح، واللسان (وقف).

(٣) انظر: المصدرين السابقين، ومعجم مقاييس اللغة (وقف).

(٤) انظر: مادة (وقف) في: معجم متن اللغة، والمعجم الوسيط.

(٥) انظر: النشر ٢٤٠/١، ولطائف الإشارات ٢٤٨/١، ومعالم الالتهاد ١٧٣، والوقف

والابتداء وصلتهما بالمعنى في القرآن الكريم ١٨.

(٦) انظر: لطائف الإشارات ٢٤٨/١، ومنار الهدى ٨.

وهو عند النحويين: قطع الكلمة عمّا بعدها، أو هو: قطع النطق عند إخراج آخر اللفظة^(١).

هذا، وقد يستخدم بعض النحويين - كسيبويه - الوقف بمعنى البناء على السكون، فقال: "هذا باب مجارى أواخر الكلم من العربية، وهى تجرى على ثمانية مجارى: على النصب والجر والرفع والجزم، والفتح والضم والكسر والوقف...، وقال: وأمّا الفتح والكسر والضم والوقف فلأسماء غير الممكنة..."^(٢).

تعريف السكت:

هو قطع الصوت على حرف قرآني، بزمن لا يُتنفس فيه عادةً بنية استئناف القراءة^(٣).

قال عنه السيوطي في الإتقان مبيّنًا زمنه واختلاف القراء فيه: "وَالسَّكْتُ: عِبَارَةٌ عَنْ قَطْعِ الصَّوْتِ زَمَنًا هُوَ دُونَ زَمَنِ الْوَقْفِ عَادَةً مِنْ غَيْرِ تَنْفُسٍ وَاخْتِلَافُ أَلْفَاظِ الْأَئِمَّةِ فِي التَّأْدِيَةِ عَنْهُ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى طُولِهِ وَقَصَرِهِ فَعَنْ حَمْزَةٍ فِي السَّكْتِ عَلَى السَّاكِنِ قَبْلَ الْهَمْزَةِ سَكْتَةٌ يَسِيرَةٌ وَقَالَ الْأَشْنَانِيُّ، قَصِيرَةٌ وَعَنْ الْكِسَائِيِّ. سَكْتَةٌ مُحْتَلَسَةٌ مِنْ غَيْرِ إِشْبَاعٍ وَقَالَ ابْنُ غُلْبُونٍ: وَقَفَةٌ يَسِيرَةٌ وَقَالَ

(١) انظر: المصدرين السابقين، وشافية ابن الحاجب بشرح الرضي ٢٧١/٢، والارتشاف

٧٩٨/٢، والمساعد ٣٠١/٤، والتصريح ٣٣٨/٢، والأشْمُونِي ٢٠٣/٤.

(٢) الكتاب ١٣/١، ١٥، ٢٤١/٢، ويراجع: المقتضب ١٩/٣.

(٣) انظر: النشر ٢٣٩/١، والإتقان ٢٤٣/١.

مَكِّي: وَقَفَّةٌ خَفِيفَةٌ وَقَالَ ابْنُ شُرَيْحٍ: وَقَفَّةٌ. وَعَنْ قُتَيْبَةَ: مِنْ غَيْرِ قَطْعِ نَفْسٍ
وَقَالَ الدَّائِي سَكَنَةُ لَطِيفَةٌ مِنْ غَيْرِ قَطْعٍ.

وَقَالَ الْجَعْفَرِيُّ: قَطْعُ الصَّوْتِ زَمَنًا قَلِيلًا أَقْصَرُ مِنْ زَمَنِ إِخْرَاجِ النَّفْسِ لِأَنَّهُ
إِنْ طَالَ صَارَ وَقْفًا فِي عِبَارَاتٍ أُخَرِ.

قَالَ ابْنُ الْجَزَرِيِّ: وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ مُقَيَّدٌ بِالسَّمَاعِ وَالنَّقْلِ وَلَا يَجُوزُ إِلَّا فِيمَا
صَحَّتِ الرِّوَايَةُ بِهِ لِمَعْنَى مَقْصُودِ بَدَاةِ. وَقِيلَ: يَجُوزُ فِي رُؤُوسِ الْآيِ مُطْلَقًا
حَالَةَ الْوَصْلِ لِقَصْدِ الْبَيَانِ^(١).

والفرقُ بَيْنَ الْوَقْفِ وَالسَّكْتِ وَالْقَطْعِ، أَنَّ الْوَقْفَ قَطْعُ الصَّوْتِ زَمَنًا يَتَنَفَّسُ
فِيهِ عَادَةً، بَنِيَّةٌ اسْتِثْنَاءُ الْقِرَاءَةِ، وَالسَّكْتُ: قَطْعُ الصَّوْتِ زَمَنًا مَا دُونَ زَمَنِ
الْوَقْفِ عَادَةً مِنْ غَيْرِ تَنَفُّسٍ، أَمَّا الْقَطْعُ فَهُوَ: قَطْعُ الْقِرَاءَةِ رَأْسًا مِمَّا يُؤْذِنُ
بَانْقِضَائِهَا، وَالانتقالُ مِنْهَا إِلَى حَالَةٍ أُخْرَى، وَالْمُقَدِّمُونَ مِنَ الْعُلَمَاءِ لَا يُفَرِّقُونَ
بَيْنَ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ الثَّلَاثَةِ^(٢).

وَيَأْتِي فِي مَقَابِلِ الْمَصْطَلَحَاتِ الثَّلَاثَةِ السَّابِقَةِ مَصْطَلَحُ الْبَدْءِ أَوْ
الْإِسْتِنَافِ، وَمَعْنَاهُ:

الْإِبْتِدَاءُ لُغَةً، فَهُوَ فِي اللُّغَةِ: افْتِتَاحُ الشَّيْءِ، وَالْبَدْءُ: فِعْلُ الشَّيْءِ أَوَّلَ
مَرَّةٍ^(٣).

(١) الإِتْقَانُ ٢٤٣/١، ٢٤٤.

(٢) انْظُرْ: النُّشْرُ ٢٣٩/١، وَالْإِتْقَانُ ٢٤٣/١، وَمَنَارُ الْهُدَى ٨، وَمَعَالِمُ الْإِهْتِدَاءِ ١٧٣.

(٣) انْظُرْ: اللِّسَانُ، وَالْقَامُوسُ الْمَحِيطُ (بَدَأَ).

واصطلاحاً: هو الشروع في القراءة بعد وقف أو قطع، ولا يكون إلا اختيارياً، وهو في أقسامه كأقسام الوقف الآتي ذكرها، ويتفاوت تماماً، وكفايةً، وحسناً، وقُبْحاً بحسب التمام وغيره، وفساد المعنى وإحالة إلى معنى غير مقصود^(١).

أنواع الوقف:

أكثر العلماء على أنَّ الوقفَ قسمان: أحدهما: وقفٌ اضطراريٌّ. وثانيهما: وقفٌ اختياريٌّ^(٢).

وقد ذكر العلماء للوقف الاختياري أنواعاً وألفاظاً، اختلفت عند كلِّ باحثٍ فيه^(٣)، والمشهور منها: (التمام - الكافي - الحسن - القبيح). وفيما يلي تعريفٌ لهذه الوقوف^(٤).

-
- (١) انظر: كتاب الوقف والابتداء للبهلي ٧٠، ومعالم الاهتداء ٦٨، وهداية القارئ ٣٩٢/١، والوقف والابتداء وصلتهما بالمعنى في القرآن الكريم ١٩.
- (٢) انظر: نظام الأداء في الوقف والابتداء ٢٨، والبرهان ٣٥٩/١، والنشر ٢٥٥/١، والإتقان ٢٣٧/١، والوقف والابتداء وصلتهما بالمعنى ٣٩.
- (٣) انظر تفصيلاً لهذه الأنواع في: إيضاح الوقف والابتداء ١٤٩/١، والمكتفى ١٠٦، وعلل الوقوف ١٢٥/١، والوقف والابتداء للسجاوندي ١٠٥، ونظام الأداء ٢٨، وجمال القراءة ٥٦٣/٢، ومنار الهدى ٨، ومعالم الاهتداء ١٨.
- (٤) تنظر هذه التعريفات في: إيضاح الوقف والابتداء ١٤٩/١، والمكتفى ١٠٧، ونظام الأداء ٣٠، ومنار الهدى ١٠، والإتقان ١٤٦/١، والوقف والابتداء وصلتهما بالمعنى ٣٩.

١- الوقف التام: هو ما يحسن الوقف عليه، والابتداء بما بعده، ولا يتعلّق ما بعده بشيء ممّا قبله، لا لفظاً ولا معنى، وسمّي تامّاً؛ لتمام لفظه بعد تعلّقه، وأكثر ما يُوجد عند رؤوس الآي.

٢- الوقف الكافي: هو ما يحسن الوقف عليه، والابتداء بما بعده، إلّا أنّ له به تعلّقاً ما من جهة المعنى، فهو منقطع لفظاً، متصل معنى، وسمّي كافياً؛ لاكتفائه واستغنائه عمّا بعده، واستغنائه ما بعده عنه بالألّا يكون مقيداً له، وهذا واضح في الحروف التي يتبدأ بها في أوائل بعض السور.

٣- الوقف الحسن: هو ما يحسن الوقف عليه، ولا يحسن الابتداء بما بعده؛ لتعلّقه به معنى ولفظاً، كما في قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ) ^(١). قال أبو حاتم: "الوقف على (جَمِيعاً) حسن في السمع، وليس بتمام؛ لأنّ (استوى) معطوف على (خَلَقَ)، فهو داخل في الصلّة، ولا يُوقف على الصلّة دون الموصول، ولا على الموصول دون الصلّة" ^(٢).

٤- الوقف القبيح: هو الذي لا يفهم منه المراد؛ لشدّة تعلّقه بما بعده لفظاً ومعنى، مثل الوقف على المضاف دون المضاف إليه، والوقف على المنعوت دون النعت، والوقف على العامل دون المعمول. قال ابن الأنباري: "والوقف القبيح: الذي ليس بتمام، ولا حسن، قوله: (بِسْمِ اللَّهِ) ^(٣) الوقف

(١) سورة البقرة من الآية ٢٩.

(٢) انظر: القطع والائتناف ٤٩/١، ومنار الهدى ٣٧.

(٣) جزء من الآية الأولى من سورة الفاتحة.

على (بِسْمِ) قَبِيحٌ؛ لِأَنَّهُ لَا يُعْلَمُ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ أَضْفَتْهُ. وكذلك الوقفُ على (مَالِكِ)، والابتداء (يَوْمَ الدِّينِ) ^(١) قَبِيحٌ، يُقَاسُ على هذا كُلُّ مَا يَرِدُ مِمَّا يُشَاكِلُهُ ^(٢).

صِلَةُ الْوَقْفِ بِالنَّحْوِ:

الإعرابُ يعني العَلَاقَةَ، وَلَحْمَةَ النِّسْبِ بَيْنَ الْكَلِمَاتِ دَاخِلِ الْجُمْلَةِ الْوَاحِدَةِ؛ وَمِنْ ثَمَّ عُدَّ التَّأْلِيفُ فِيهِ تَحْصِينًا لِلنَّصِّ الْقَرَأَنِيِّ مِنْ أَيِّ فَهْمٍ خَاطِئٍ، بِمَا يَضَعُهُ مِنْ سُبُلِ الْإِبَانَةِ عَنْ مَعَانِيهِ ^(٣).

وَلَا شَكَّ أَنَّ مِنْ أَهَمِّ عَوَامِلِ ضَبْطِ الْإِعْرَابِ، وَاسْتِقَامَةِ الْمَعَانِي مَعْرِفَةَ مَوَاطِنِ الْوَقْفِ، وَمَوَاطِنِ الْإِبْتِدَاءِ فِي الْكَلَامِ.

وَقَدْ تَنَبَّهَ الْمُتَقَدِّمُونَ مِنَ النُّحَاةِ إِلَى تِلْكَ الْحَقِيقَةِ، يُؤَكِّدُ ذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْأَنْبَارِيِّ؛ حَيْثُ يَقُولُ: "وَمِنْ تَمَامِ مَعْرِفَةِ إِعْرَابِ الْقُرْآنِ وَمَعَانِيهِ وَغَرِيبِهِ، مَعْرِفَةُ الْوَقْفِ وَالْإِبْتِدَاءِ فِيهِ" ^(٤).

وَأَبُو جَعْفَرٍ النَّحَاسُ فِي مَقْدَمَةِ كِتَابِهِ الْمَتَاعِ (الْقَطْعُ وَالِاتِّئَانُف) يُؤَكِّدُ أَنَّهُ بِحَاجَةٍ مَاسَّةٍ فِي تَأْلِيفِهِ هَذَا الْكِتَابَ إِلَى النَّحْوِيِّينَ وَكُتُبِهِمْ؛ مُؤَكِّدًا بِهَذَا الصِّلَةَ الْوَثِيقَةَ بَيْنَ الْوَقْفِ وَالنَّحْوِ، وَأَنَّ الْوَقْفَ لَا يَصِحُّ إِلَّا بِالنَّحْوِ، فَيَقُولُ: "وَأَمَّا النَّحْوِيُّونَ فَلَهُمْ كُتُبٌ سَنَدُكُرُّ مِنْهَا مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي هَذَا الْكِتَابِ، فَمَنْ

(١) سورة الفاتحة آية ٤ .

(٢) إيضاح الوقف والابتداء ١/١٥٠ .

(٣) انظر: ضوابط الفكر النحوي ١/١٦٠ .

(٤) إيضاح الوقف والابتداء ١/١٠٨ .

التَّحْوِيَيْنَ سعيد بن مسعدة (الأخفش الأوسط)، وسهل بن محمَّد (أبو حاتم السجستاني)، وأحمد بن جعفر (أبو علي الدينوري)، ولمحمَّد بن وليد (ابن ولَّاد المصري) شيءٌ قد عملهُ في التَّمام، وفي كُتُب الكسائي، والفراء، وأبي عبيدة، وغيرهم ممَّا يُحتاج إليه في هذا الكتاب^(١).

ويستمرُّ النَّحَّاسُ في تأكيدِ العلاقة بين الوقف والنحو، بل والعلوم العربية والشرعية بعامة، فيقول: "ذكر لي بعض أصحابنا عن أبي بكر بن مجاهد أنَّه كان يقول: لا يقومُ بالتَّمام إلَّا نحويُّ عالمٌ بالقراءات، عالمٌ بالتفسير، عالمٌ بالقصص وتلخيص بعضها من بعض، عالمٌ باللغة التي نزل بها القرآن، وقال غيره: يحتاجُ صاحبُ التَّمام إلى المعرفة بأشياء من اختلاف الفقهاء في أحكام القرآن"^(٢).

وإنَّما كان الوقف والابتداء بحاجة شديدة وظاهرة إلى النحو والإعراب؛ لأنَّ أغلبه مبنيٌّ على قواعد النحو وأحكامه؛ إذ إنَّه من المعلوم في النحو أنَّه لا يتمُّ الوقف قبل إتمام أركان الجملة ومتعلقاتها؛ وذلك حتَّى يتسقَّ النظم، ويستقيم المعنى، ومن هنا نجدُ كُتُب الوقوف قد أسهبت في ذكر ما لا يتمُّ الوقف عليه لغةً، أي: من جهة النحو؛ فقد قالوا: إنَّ كلَّ كلمةٍ تعلَّقت بما بعدها، وما بعدها من تمامها لا يُوقَفُ عليها، كالمضافِ دونَ المضافِ إليه، ولا على المنعوتِ دونَ نعته ما لم يكن رأسَ آيةٍ، ولا على الشرطِ دونَ جوابه،

(١) القطع والائتناف ٢/١، ٣.

(٢) القطع والائتناف ١/١٨، وانظر: البرهان في ١/٢٤٣، والإتقان ١/٢٤١.

ولا على العاملِ دونَ معمولِهِ، ولا على المؤكِّدِ دونَ توكيدهِ، ولا على المعطوفِ دونَ المعطوفِ عليه، ولا على البديلِ دونَ المبدلِ منه، ولا على (إنَّ)، أو (كانَ)، أو (ظنَّ) وأخواتهنَّ، دونَ اسمهنَّ، ولا اسمهنَّ دونَ خبرهنَّ، ولا على المستثنى منه دونَ المستثنى، (على خلاف في الاستثناء المنقطع)، ولا يُوقَفُ على الموصولِ دونَ صلته، ولا على الفعلِ دونَ مصدره، ولا على حرفِ دُونٍ متعلِّقه، ولا على المبتدأِ دونَ خبره، ولا على المُميِّزِ دونَ مُميِّزه، ولا على القَسَمِ دونَ جوابه، ولا على القولِ دونَ مقوله، ونحو ذلك ممَّا يترتَّبُ عليه إخلالٌ بالمعنى؛ لشدَّةِ ارتباطِ الكلامِ فيه، واتصال بعضه ببعضٍ، وهذا إنمَّا يُعَلِّمُ بالإعرابِ فهو الذي يُوقَفُ عليه^(١).

ومن تمام الفائدة — هنا — أقول: إنَّ كثيراً من أحكام الوقف والابتداء قد تختلف باختلاف التقديرات النحوية، فـ "قد يكون الوقف تاماً على إعرابٍ، ويكون غير تامٍّ على آخر"^(٢)، ممَّا يُعزِّزُ الصِّلةَ بين الوقف والإعرابِ.

(١) انظر: كتاب الوقف والابتداء للبهزلي ٧٤، والتسهيل لعلوم التنزيل ١٧/١، ومنار الهدى ١٧، ١٨. وقول الأئمة لا يجوز الوقف على كذا؛ إنمَّا يُريدونَ بذلك الجوازَ الأدائي — وهو: الذي يحسُنُ في القراءة، ويُرْوَقُ في التلاوة — ولا يُريدونَ بذلك أنَّه حرامٌ، ولا مكروه، وكذلك قولهم: وقف لازمٌ، أو واجبٌ؛ لأنَّه لا يوجدُ في القرآن الكريم وقفٌ واجبٌ شرعاً، اللهم إلا أن يُقصدَ بذلك خلافُ المعنى الذي أراده الله؛ فإنَّه يكفِّرُ فضلاً عن أن يأثمَ. راجع: النشر ٢٣٠/١، والإتقان ٢٣٩/١، ولطائف الإشارات ٢٥٥/١، ومعالم الإهتداء ٧١.

(٢) انظر: النشر ٢٢٧/١، والتسهيل لعلوم التنزيل ١٧/١.

قال الزركشي: "فأمّا احتياجه (أي: الوقف والابتداء) إلى معرفة النَّحو وتقديراته، فلأنّ مَنْ قال في قوله تعالى: (مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ) ^(١): إنه منصوبٌ بمعنى (كَمِلَّة)، أو أعملَ فيها ما قبلها، لم يَقِفْ على ما قبلها، وكذلك الوقفُ على قوله: (وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا) ^(٢)، ثُمَّ يَبْتَدِئُ (قِيَمًا) ^(٣)؛ لئلا يتخيل كونه صفةً له؛ إذ العوجُ لا يكونُ قِيَمًا" ^(٤).

وذكر ابن هشام أنّ بعضهم حكى أنّه سمع شيخًا يُعربُ لتلميذه (قِيَمًا): صفةٌ لـ (عِوَجًا). قال: فقلتُ له: يا هذا، كيف يكونُ العِوَجُ قِيَمًا؟ وترحّمتُ على مَنْ وقفَ من القراءِ على ألفِ التنوينِ في (عِوَجًا) وقفَةً لطيفةً دَفَعًا لهذا التَّوهُّمِ ^(٥).

(١) سورة الحج من الآية ٧٨.

(٢) سورة الكهف الآية ١.

(٣) سورة الكهف من الآية ٢.

(٤) البرهان ٣٤٤/١، وانظر: إيضاح الوقف والابتداء ٧٥٦/٢، والقطع والائتناف ٣٨٤/١.

(٥) انظر: المغني ٣٠/٦، والقراءة التي أشار إليها ابن هشام هي قراءة حفص عن عاصم بخلاف عنه. انظر: الإرشاد في القراءات لابن غلبون ٧١٥/٢، وجامع البيان ١٢٩٩/٣، والبحر المحيط ٩٤/٦، والدر المصون ٤٣٥/٧.

وإذا علمنا أنَّ التَّحْوِينَ هم أَوَّلُ مَنْ أَلْفَ فِي عِلْمِ الْوَقْفِ وَالْإِبْتِدَاءِ عَلِمْنَا
مَدَى الصَّلَةِ الْوَثِيقَةِ بَيْنَ هَذَيْنِ الْعِلْمَيْنِ. (الوقف، والنحو) ^(١).

سكت حفص المتفق عليه عرض ومناقشة

الموضع الأول: السكت على (عوجًا) في قوله تعالى:

﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۖ قَيِّمًا لِّيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾ [الكهف: ١، ٢].
من المواطن التي سكت فيها حفص عن عاصم سكوته سكتة خفيفة على
آخر عوجًا ^(٢) من قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۖ قَيِّمًا لِّيُنْذِرَ﴾.
عُلِّلَ هذا السكت بخوف توهم السامع أن يكون قَيِّمًا نعتًا لـ(عوجًا)، أو
بدلًا منه، وليس حالًا من (الكتاب) ^(٣)، قال السمين الحلبي: "ووقف حفص

(١) فقد كتب فيه أبو عمرو بن العلاء، وأبو جعفر الرؤاسي، والكسائي، واليزيدي، والفراء،
والأخفش، وابن سعدان الضرير، وأبو حاتم السجستاني، وثلعب، وابن كيسان، والزجاج، وابن
الأنباري، والنحاس، والسيراfi، وهؤلاء كلهم من النحاة بل من مُتقدميهم. انظر تفصيلًا لذلك
في: كتب الوقف والابتداء وعلاقتها بالنحو ص ١٧٤، والتوجيه النحوي للوقف اللازم في
القرآن الكريم ص ٣٩٩، ومقدمة تحقيق كتاب الوقف والابتداء للسجاوندي ٣٨، ومقدمة
تحقيق كتاب علل الوقوف للسجاوندي ٢٤/١.

(٢) ينظر: التثني في القراءات العشر ٣١٠/٢، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة
عشر ٢٠٨/٢.

(٣) تعددت أوجه إعراب (قَيِّمًا)، وليس المجال مجال ذكرها، وللاستزادة من ذلك يُنظر:
الكتاب الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد ٢٣٧/٤، والدّر المصون في علوم الكتاب
المكنون ٤٣٣/٧ وما بعدها، ومغني اللبيب عن كتب الأعراب ٣٠/٦.

على تنوين (عَوْجًا) يبدله أَلْفًا، ويسكت سكتة لطيفةً من غير نَفَس، إشعارًا بأنَّ (قِيَمًا) ليس متّصلاً بـ(عَوْجًا)، وإِثْمًا هو من صفة الكتاب، وغيره لم يعبأ بهذا الوهم فلم يسكت اتّكالا على فهم المعنى. قلت: قد يتأَيّد ما فعله حفصٌ بما في بعض مصاحف الصحابة: (ولم يَجْعَلْ له عَوْجًا، لكنْ جَعَلَهُ قِيَمًا)^(١). وبعض القراء يُطْلِقُ فيقول: يَقِف على (عَوْجًا)، ولم يقولوا: يُبدل التنوين أَلْفًا، فيُحْتَمَل ذلك، وهو أقرب لغرضه فيما ذكرْتُ.

ورَأَيْتُ الشَّيْخَ شَهَابَ الدِّينِ أَبَا شَامَةَ قد نقل هذا عن ابنِ غلبون وأبي عليٍّ الأَهْوَازِيِّ، أعني الإِطْلَاقَ. ثم قال: وفي ذلك نَظَرٌ - أي على إبدال التنوين أَلْفًا - فإنه لو وَقَفَ على التنوين لكان أدلّ على غرضه، وهو أنه واقفٌ بِنِيَّةِ الوصل.

وقال الأَهْوَازِيُّ: ليس هو وَقْفًا مختارًا، لأنَّ في الكلام تقديمًا وتأخيرًا، معناه: أنزَلَ على عبده الكتاب قِيَمًا ولم يَجْعَلْ له عَوْجًا. قلت: دَعَوَى التقديم والتأخير وإن كان قاله به غيره، إلا أنها مَرْدُودَةٌ بَأَثْمًا على خلافِ الأصل^(٢). ويُفْهَم من ذلك أن علة وقف حفصٍ خشيةً توهم السامع فيخلط في التوجيه الإعرابيَّ لـ(قِيَمًا).

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٥٩١/١٧، والدّر المصون في علوم الكتاب المكنون ٤٣٥/٧، وقد عدّها أبو حيّان في البحر المحيط ٩٤/٦ تفسيرَ معنى لا قراءة.

(٢) الدّر المصون في علوم الكتاب المكنون ٤٣٤/٧ - ٤٣٥.

وقيل: إنّ هذا السكت جاء موافقاً لبعض مصاحف الصحابة: (لم يجعل له عوجاً، ولكن جعله قيماً)^(١)

ويؤيد خوف توهم السامع الرواية التي أوردها ابن هشام من أنّ شيخاً كان يُعلم تلميذه إعراب هذه الآية فقال: إنّ (قيماً) صفة لـ(عوجاً)، قال قائل له: يا هذا، كيف يكون العوجُ قيماً؟ وترحم على من وقف من القراء على ألف التنوين في (عوجاً)^(٢).

والتعليل بخوف توهم السامع فيه نظر؛ إذ الخوف يُمكن أن يكون ممّن ليس له أدوات التأمل، أو أن يقرأ دون استحضار، أمّا المتأمل والمستحضر فلا يقع منهما هذا التوهم فضلاً عن العالم بالنحو وأسراره، وحفص مصيب في صنيعه هذا؛ لأنّ القرآن يقرؤه ويستمع إلى قراءته المسلمون بكل طوائفهم، ثمّ إن سكت حفص رواية عن الإمام عاصم.

وللمعربين في توجيه (قيماً) أوجه متعددة، تفصيلها على النحو الآتي:
الوجه الأول: أنّه حالٌ من الكتاب. والجملة من قوله: (ولم يجعل) اعتراضٌ بينهما. وقد منع الزمخشري ذلك فقال: "فإن قلت: بم انتصب قيماً؟ قلت: الأحسن أن ينتصب بمضمر، ولم يجعل حالاً من الكتاب؛ لأنّ قوله: ولم يجعل معطوفٌ على أنزل فهو داخلٌ في حيز الصلة، فجاءه حالاً فاصلٌ بين الحال

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٥٩١/١٧، والدّر المصون في علوم الكتاب المكنون ٤٣٥/٧، وقد عدّها أبو حيّان في البحر المحيط ٩٤/٦ تفسيراً معنى لا قراءة.
(٢) ينظر: مغني اللبيب ٣٠/٦.

وذي الحال ببعض الصلة^(١). وكذلك قال أبو البقاء^(٢). وجواب هذا ما تقدم من أن الجملة اعتراض لا معطوفة على الصلة^(٣).

الثاني: أنه حال من الهاء في (له). قال أبو البقاء^(٤)، والحال مؤكدة. وقيل: منتقلة. قلت: القول بالانتقال لا يصح^(٥).

الثالث: أنه حال ثانية، والجملة المنفية قبله (ولم يجعل) حال أيضاً، وتعدّد الحال لذي حال واحد جائز. والتقدير: أنزله غير جاعل له عوجاً قيماً، كذا عند أبي حيان^(٦).

الرابع: أنه بدل من جملة الحال المتقدمة (ولم يجعل له عوجاً)، وإبدال المفرد من الجملة إذا كانت بتقدير مفرد جائز. والتقدير: جعله مستقيماً قيماً^(٧).

الخامس: أنه منصوب بفعل مقدّر، تقديره: جعله قيماً. قال الزمخشري: "تقديره: ولم يجعل له عوجاً، جعله قيماً، لأنه إذا نفى عنه العوج فقد أثبت له الاستقامة. ثم قال: فإن قلت: ما فائدة الجمع بين نفي العوج وإثبات

(١) الكشف ٢/٢٥٠.

(٢) التبيان في إعراب القرآن ٨٣٧.

(٣) ينظر: الدر المصون ٧/٤٣٣.

(٤) التبيان في إعراب القرآن ٨٣٧.

(٥) ينظر: الدر المصون ٧/٤٣٣.

(٦) ينظر: البحر المحيط ٦/٦٩.

(٧) ينظر: البحر المحيط ٦/٦٩، والدر المصون ٧/٤٣٣.

الاستقامة وفي أحدهما غَيٌّ عن الآخر؟ قلت: فائدته التأكيدُ فَرُبَّ مستقيمٍ مشهودٌ له بالاستقامة، ولا يَخْلُو مِنْ أَدْنَى عَوَجٍ عند السَّبَرِ والتَّصَفُّحِ^(١). وهذا الوجه هو الأحسن عند الزمخشري، وعلى هذا يكون مفعولاً ثانياً. قال الهمداني: "واختير هذا الوجه"^(٢)، وتكون الجملة مستأنفة، كذا عند الشهاب^(٣)، وقدَّر ابن عطية الفعل أنزله، ثم ذكر (جعله)^(٤).

الموضع الثاني: الوقف على (مرقدنا) في قوله تعالى:

﴿قَالُوا يَوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس ٥٢].

قال السمين بعد تعقيبه على سكت حفص في آية الكهف السابقة: "وفعل حفص في مواضع من القرآن مثل فعله هنا مِنْ سَكْتَةٍ لطيفة نافية لَوْهْمٍ مُخْلِ. فمنها: أَنَّهُ كَانَ يَقِفُ عَلَى (مَرْقَدِنَا)، وَيَبْتَدِئُ: {هَذَا مَا وَعَدَ الرحمن}. قال: لئلا يُتَوَهَّم أَنَّ (هذا) صفةٌ لـ (مَرْقَدِنَا)؛ فالوقف يبيِّن أَنَّ كلام الكفار انقضى، ثم ابْتَدِئَ بكلامٍ غيرهم. قيل: هم الملائكة. وقيل: هم

(١) الكشف ٢٥٠/٢.

(٢) ينظر: الكتاب الفريد ٣٠٩/٣.

(٣) ينظر: حاشية الشهاب ٧٢/٦.

(٤) ينظر: المحرر الوجيز ٢٢٧/٩، ٢٢٨.

المؤمنون. وسيأتي في (يس) ما يَفْتَضِي أَنْ يَكُونَ (هذا) صفةً لـ (مَرْقَدِنَا) فيفوت ذلك" (١).

وفي إعراب (هذا) وجهان:

الأول، وهو أظهرهما: أنه مبتدأ وما بعده خبره. ويكون الوقف تاماً على قوله: (مِنْ مَرْقَدِنَا).

والثاني من وجهي الإعراب: (هذا) صفةً لـ (مَرْقَدِنَا) و(ما وَعَدَ) منقطع عمّا قبله، فالوقف تام على (هذا)، ثم يستأنف ما بعده: (ما وعد الرحمن...) (٢).

ثم في «ما» وجهان، أحدهما: أنها في محل رفع بالابتداء، والخبر مقدّر أي: الذي وَعَدَهُ الرحمنُ وَصَدَقَ فيه المرسلون حَقٌّ عليكم. وإليه ذهب الزجاج والزمخشري.

والثاني: أنه خبر مبتدأ مضمّر أي: هذا وَعَدُ الرحمن (٣).

(١) الدر المصون ٤٣٦/٧، ٤٣٧.

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء ٣٨٠/٢، ومعاني الزجاج ٢٩٠/٤، ٢٩١، وإعراب النحاس ٧٢٨/٢، وتأويل مشكل القرآن ٢٩٤، والبحر المحيط ٣٤٠/٧، والدر المصون ٢٧٥/٩، ٢٧٦، وحاشية الشهاب ٢٤٧/٧.

(٣) انظر في إعراب (هذا): معاني القرآن للفراء ٣٨٠/٢، ومعاني الزجاج ٢٩٠/٤، ٢٩١، وإعراب النحاس ٧٢٨/٢، وتأويل مشكل القرآن ٢٩٤، والبحر المحيط ٣٤٠/٧، والدر المصون ٢٧٥/٩، ٢٧٦، وحاشية الشهاب ٢٤٧/٧.

قال السمين معقبًا على وجهي إعراب (ما): "حفص يقف على «مَرَقَدْنَا» وَفَقَةً لطيفةً دونَ قَطْعِ نَفْسٍ لئلا يُتَوَهَّم أَنَّ اسمَ الإشارةِ تابعٌ لـ (مَرَقَدْنَا). وهذان الوجهان يُقَوِّيان ذلك المعنى المذكور الذي تَعَمَّد الوقفَ لأجله" (١).

قال الواحدي شارحًا الوقف في الموضعين: "وأكثر القراء وأهل المعاني على أن الوقف تام عند قول: {مَرَقَدْنَا}، ثم يتبدئ فيقول: {هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ}. قال ابن عباس: تقول الملائكة: هذا ما وعد الرحمن على السنة الرسل أن يبعث بعد الموت، {وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ} بأن البعث حق. وذهب آخرون إلى أن هذا من قول المؤمنين. روي عن أبي بن كعب أنه قال: فيقول المؤمن: {هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ}.

وقال قتادة: أولها للكافرين وآخرها للمؤمنين قال الكافر: يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا، وقال المسلم: هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون، ونحو هذا قال مجاهد، واختاره الزجاج. والقول الأول اختيار الفراء. وهذا في موضع رفع، كأنك قلت: هذا وعد الرحمن.

وذهب قوم إلى أن الوقف على قوله: (هذا)، على أن يكون هذا من نعت مرقدنا، ثم تتبدئ: ما وعد الرحمن، حكى ذلك النحاس، وذكره الفراء، والزجاج. قال الزجاج: إذا وقفت على قوله هذا، كان ما وعد الرحمن على ضربين أحدهما على إضمار هذا. والثاني على إضمار حق، فيكون المعنى:

(١) الدر المصون ٢٧٦/٩.

حق ما وعد الرحمن. قال: والقول الأول -أعني ابتداء هذا- عليه التفسير، وهو قول أهل اللغة^(١).

وحسّن ابنُ الأنباري الوقف على (مرقدنا). قال: " {من بعثنا من مرقدنا} وقفٌ حسن ثم تبتدئ: {هذا ما وعد الرحمن}"^(٢). وجعله الزجاج وقفًا تمامًا^(٣).

الموضع الثالث: الوقف على (مَنْ) في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾
[القيامة: ٢٧].

النونُ الساكنةُ تُدغم في الرّاء لقرب مخرجيهما، قال سيبويه: "النون تُدغم مع الرّاء، لقرب المخرجين على طرف اللسان، وذلك قولك: من رّاشد، ومن رّأيت"^(٤).

وهذا هو الشائع لدى النحويين واللغويين^(٥)، غير أنّ حفصًا روى عن عاصم أنّه قرأ في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ [القيامة: ٢٧] بسكتة لطيفة على النون وإظهار الرّاء من (راق)، وقد أوردها أبو عليّ الفارسي، ثم قال:

(١) التفسير البسيط ٥٠١/١٨، ٥٠٢، وانظر: معاني الفراء ٣٨٠/٢، ومعاني القرآن وإعرابه ٢٨٠/٤، والقطع والائتناف ٩١، ومنار الهدى ٣٢٠، والمكتفى في الوقف والابتداء ٤٧٣.

(٢) إيضاح الوقف والابتداء ٨٥٣/٢.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٢٩٠/٤.

(٤) الكتاب ٤٥٢/٤.

(٥) ينظر: المقتضب ٢١٧/١، وشرح المفصل لابن يعيش ٥٤٢/٥، وارتشاف الضرب

"لا أدري ما وجه قراءته"^(١)، وعلل أبو الحسن الضّرير القهندي - كما نقل عنه تلميذه أبو الحسن الواحدي - هذا الوقف بسبب الخوف من أن يتوهم السّامع أنّ قوله تعالى: (من راق) إذا وُصِلت قد تكون فعلاً من المروق (مراق)^(٢).

قال الواحدي موضعاً سكت حفص في موضعي القيامة والمطففين: "وروى حفص عن عاصم: إظهار (النون)، و(اللام) في قوله: (من راق)، و(بل ران).

قال أبو علي الفارسي: ولا أعرف وجه ذلك.

وسمعت شيخنا أبا الحسن الضّرير النحوي - رحمه الله - يقول: إنما أظهر النون؛ لأنه خاف الالتباس بتتابع المرق؛ لأنه يقال له: مراق، وأظهر اللام؛ لأنه خاف الالتباس بتثنية (بر) بمعنى الأرض الفضاء، وهذا ضعيف؛ لأن كسرة القاف في (من راق)، وفتحة النون في (بل ران) مع الإدغام يمنعان هذا الالتباس عند الوصل، والوجه أن يقال: قصد الوقف على (من)، و(بل) فأظهرهما، ثم ابتداءً بما بعدهما، وهذا غير مرضي من القراء"^(٣). وفي تعليل أبي الحسن القهندي سكت حفص هنا نظراً من أوجه أبرزها:

(١) الحجة للقراء السبعة ٣٤٦/٦

(٢) ينظر: التفسير البسيط ٤٧٧/٢٢.

(٣) التفسير البسيط ٥١٨/٢٢، ٥١٩، وانظر: السبعة ٦٦١، والكشف ٥٥/٢، ٥٦، والمبسوط ٩٧.

أولها: أنَّ إعراب (راقٍ) كاشفٌ أنَّها ليست (مرّاق)؛ لأنَّها لو كانت كذلك لُنطقت (مرّاق) (١).

ثانيها: أنَّ السِّياق لا يحتملُ إلا أن تكون (راقٍ) سواءً أكانت من الرّقية أم من الرّقي.

ثالثها: أنَّ غير حفصٍ قرأ دون سكتٍ، فهل يُعقل أن يكون حفصٌ وحده من راعى توهم السامع، وغيره لم يرد ذلك في أذهانهم؟ إذن، فخوف توهم السامع المشار إليه سابقاً - فيما أرى - غيرُ مُتصوّر، بل لا أظنُّ أنَّه كان حاضرًا في ذهن حفص، ولكنَّ حفصًا كما هو معروفٌ اشتهر بسكتاته التي رواها عن إمامه عاصمٍ، وهذه إحداها.

(١) ينظر: التفسير البسيط ٢٢/٤٧٧.

الموضع الرابع: الوقف على (بَلْ) في قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]. قال السمين متحدثاً عن سكت حفص هنا في المطففين بعد حديثه عنه في سورة القيامة: "ومنها: {بَلْ رَانَ} كان يقفُ على لام (بَلْ)، ويبتدئ (رَانَ)؛ لما تقدّم"، أي: من خوف توهم السامع أنهما كلمة واحدة على وزن (فَعَّال) اسم فاعل للمبالغة^(١).
قال ابن مجاهد: "وَقَالَ حَفْصٌ عَنْ عَاصِمٍ {بَلْ رَانَ} يقف على اللَّام وَفَقَّةً خَفِيفَةً"^(٢)، والإدغام في هذا أولى لقرب اللام من الراء^(٣).
وقد علل ابن خالويه سكت حفص في هذا الموضع بقوله: "قوله تعالى: (بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ). اتفق القراء على إدغام اللَّام في الراء، لقربها منها في المخرج إلّا ما رواه (حفص) عن (عاصم) من وقوفه على اللام وقفّة خفيفة ثم يبتدئ: «رَانَ على قلوبهم»؛ ليعلم بانفصال اللام من الراء، وأن كل واحدة منهما كلمة بذاتها فرقا بين ما ينفصل من ذلك فيوقف عليه، وبين ما يتصل فلا يوقف عليه كقولك: «الرحمن الرحيم»"^(٤).

(١) التفسير البسيط ٥١٨/٢٢، ٥١٩، وانظر: السبعة ٦٦١، والكشف ٥٥/٢، ٥٦، والمبسوط ٩٧.

(٢) السبعة ١١٦.

(٣) إعراب القرآن ١١١/٥.

(٤) الحجة في القراءات السبع ٣٦٥، وانظر: روح المعاني ١٥/١٦٢.

قال الألوسي: "وأما (بَلْ رَانَ)، فقد ذكر سيويه في ذلك أن إظهار اللام وإدغامها مع الراء حسنان، فلعل حفصاً لما أفرط في إظهار الإظهار فيه صار كالوقف القليل" (١).

قال سيويه: "باب الإدغام في الحروف المتقاربة التي هي من مخرج واحد ... اللام مع الراء نحو: اشْغَلْ رَحْبَةً لقرب المخرجين؛ ولأن فيهما انحرافاً نحو اللام قليلاً، وقاربتها في طرف اللسان. وهما في الشدة وجرى الصوت سواء، وليس بين مخرجيهما مخرج. والإدغام أحسن" (٢).

تعقيب على سكت حفص:

قال السمين معقّباً على سكت حفص الأربعة: "قال المهدوي: وكان يَلْزَمُ حفصاً مثل ذلك، فيما شاكل هذه المواضع، وهو لا يفعلُه، فلم يكن لقراءته وَجْهٌ من الاحتجاج إلا اتباع الأثر في الرواية.

قال أبو شامة: أُولَى من هذه المواضع بمراعاة الوقف عليها: ﴿وَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [٦٥] ﴿يونس: [٦٥].

الوقف على (قَوْلُهُمْ) لئلا يُتَوَهَّم أَنَّ ما بعده هو المقول، وكذا: ﴿أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ [٦٦] الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ ﴿[٦٧، ٦٨]. ينبغي أن يُعْتَنَى بالوقف على (النار) لئلا تُتَوَهَّم الصفة.

(١) روح المعاني ١٥/١٦٢.

(٢) الكتاب ٤/٤٥٢.

قلت: وَتَوَهُّمُ هذه الأشياءِ مِنْ أبعَدِ البعيدِ. وقال أبو شامةً أيضاً: ولو لَزِمَ الوقْفُ على اللام والنون لَيُظْهِرَا لَلَزِمَ ذلك في كلِّ مُدْغَمٍ. قلت: يعني في (بَلْ رَانَ) وفي (مَنْ رَاقٍ)"^(١).

ثبوت سكت حفص رواية:

سكت حفص في المواضع الأربعة التي درسها البحث ثابتٌ وصحيح ومتواتر الإسناد من طريقي الشاطبية والطيبة.

قال الإمام الشاطبي:

وَسَكَّتْهُ حَفْصٌ دُونَ قَطْعِ لَطِيفَةٍ عَلَى أَلْفِ التَّنْوِينِ فِي عَوَجًا بَلَا
وَفِي نُونٍ مَنْ رَاقٍ وَمَرْقَدِنَا وَلَا مِ بَلْ رَانَ وَالْبَاقُونَ لَا سَكَّتْ مُوَصَلًا^(٢)

والمعنى كما جاء في (الوافي في شرح الشاطبية): "سكت حفص على ألف (عَوَجًا) المبدلة من التنوين، وألف (مَرْقَدِنَا) في يس، وعلى نون (مَنْ رَاقٍ) في القيامة، ولام (بَلْ رَانَ) في المطففين. سكتة لطيفة من دون قطع نفس في حال وصل هذه الكلمات بما بعدها، ولم يقيد الناظم السكت بحال الوصل باعتبار أنه من المعلوم أن السكت لا يكون إلا في حال الوصل. وترك الباقون السكت على هذه الكلمات في حال الوصل، وإنما أبدل تنوين (عَوَجًا) أَلْفًا حال السكت؛ لأن السكت يشارك الوقف في قطع الصوت فتجري عليه أحكامه من إبدال التنوين أَلْفًا في نحو: (عَوَجًا)، وإظهار النون

(١) الدر المصون ٤٣٦/٧، وانظر: إبراز المعاني من حرز الأمان ص ٥٦٦.

(٢) متن الشاطبية ٦٦، وانظر شرح البيت في: إبراز المعاني من حرز الأمان ص ٥٦٦.

في مثل: (مَنْ رَاقٍ)، واللام في مثل: (بَلْ رَانَ)، وغير ذلك، وقول الناظم:
(دون قطع) معناه: دون قطع طويل، ولا بدّ من تقييده بهذا وإلا فالسكت
فيه قطع الصوت حتمًا وإن كان قليلًا. وقوله (والباقون لا سكت موصلاً)،
(موصلاً) صفة (سكت) وخبر (لا) محذوف والتقدير: لا سكت موصلاً
منقولاً إلينا عنهم^(١).

وقال الإمام ابن الجزري:

وألَفِي مَرَقْدَنَا وَعُوجًا بَلْ رَانَ مِنْ رَاقٍ لِحَفْصِ الْخَلْفِ جَا^(٢)
وقال في الشرح: "أي: واسكت على الألفين من (مرقدنا، وعوجا)،
فتقول: (عوجا) بالألف مبدلة من التنوين وتسكت ثم تقول: (قيما)، وكذا
تقول: (مرقدنا) وتسكت ثم تقول: (هذا)، وكذا تقول: (مَنْ) ثم تسكت ثم
تقول: (راقٍ) في القيامة، ولام (بل ران) في التطفيف قوله: (جا) أي: ورد
عن حفص الخلاف في الأربع الكلمات: وهي ألف (عوجا) في الكهف،
وألَف (مرقدنا) في يس، ونون (من راق) في القيامة، ولام (بل ران) في
التطفيف"^(٣).

(١) الواوي في شرح الشاطبية ٣١٠، ٣١١.

(٢) طبية النشر ص ٤٧.

(٣) شرح طبية النشر في القراءات ص ١٠٠.

الخلاصة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه
ورسله، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فيطيب لي أن أذكر بعض النتائج من وراء هذا البحث:

١- أن تعليل سكت حفص أو بعضها بتوهم السامع محتمل؛ وأنَّ
الصواب في ذلك أنها رواية؛ إذ لم يكن لقراءته وجه من الاحتجاج إلا اتباع
الأثر في الرواية.

٢- مراعاة فهم السامع قد تكون مُستشعرة لدى منشئ الاستعمال، وقد
تكون من أدوات محلل الاستعمال.

٣- بعض التحليلات المبنية على مراعاة فهم السامع فيها شيء من
المبالغة، بل إنَّ بعضها ينقض قواعد لغوية أخرى، ولذا استطاعت الدراسة أن
تردّ هذه التحليلات.

٤- أنَّ البحث أكَّد اعتماد الوقف والابتداء على النحو وأحكامه أساساً
لتحديد مراتبه.

٥- أنَّ البحث أكَّد أهمية الإعراب في فهم نصوص القرآن الكريم؛ لكونه
أساساً للكشف عن معاني آياته ومقاصدها وأحكامها، فالمعنى والإعراب
صنوان متلازمان يدلُّ أحدهما على الآخر.

٦- أنَّ البحثَ أَكَّـدَ مقولةَ أبي حاتمِ السجستاني: (مَنْ لم يعلمِ الوقفَ لم يعلمِ القرآنَ) (١)؛ وذلك لأهمية الوقفِ والابتداء في فهم مقاصدِ كلامِ الله تعالى.

٧- أنَّ القرآنَ الكريمَ حمَّالٌ وجوهٌ، لا يَصْحُحُ قَصْرُهُ على معنى واحدٍ لا يتجاوزه ولا يتعدَّاه، فهو كلامُ اللهِ عزَّ وجلَّ، وهو أعلمُ بمراده منه.

٨- أنَّ البحثَ أَكَّـدَ على أنَّ اللغةَ العربيةَ أسمى اللغاتِ وأشرفُها، وأنَّ النحوَ هو عمادُها، وعمادُ الدينِ.

٩- وبعدُ: فأرجو اللهُ تعالى أن يكونَ البحثُ قد حَقَّقَ أهدافه، راجيًا أن ينالَ الرضا والقبولَ من اللهِ تعالى، ثمَّ من القارئ الكريم.

وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾.

(١) انظر: مقدمة البحث.

المصادر والمراجع:

- إتحاف فضلاء البشر للدمياطي-تحقيق د/ شعبان محمد إسماعيل-عالم الكتب-بيروت-ط ١-١٤٠٧ هـ=١٩٨٧ م.
- الإتيقان في علوم القرآن، للسيوطي، ط/ دار مصر للطباعة، بدون تاريخ.
- ارتشاف الضرب لأبي حيان-تحقيق د/ رجب عثمان محمد-مكتبة الخانجي-القاهرة-ط ١-١٤١٨ هـ=١٩٩٨ م.
- الأزهية في علم الحروف للهروي-تحقيق/ عبد المعين الملوحي-مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق-١٤٠١ هـ=١٩٨١ م.
- إعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه، تحقيق د/ عبدالرحمن بن سليمان العثيمين-مكتبة الخانجي بالقاهرة، (١٩٩٢ م).
- إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس-تحقيق د/ زهير غازي زاهد-عالم الكتب، ومكتبة النهضة العربية-بيروت-ط ٣-١٤٠٩ هـ=١٩٨٨ م.
- إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله -ﷻ- لأبي بكر بن الأنباري-تحقيق/ محيي الدين عبدالرحمن رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق (١٣٩٠ هـ-١٩٧١ م).
- البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي-تحقيق/ عادل عبد الموجود وآخرين-دار الكتب العلمية بيروت-ط ١-١٤١٣ هـ=١٩٩٣ م.

- البرهان في علوم القرآن للزركشي - تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم - دار المعرفة - بيروت.
- البيان في غريب إعراب القرآن لأبي البركات الأنباري - تحقيق/ طه عبد الحميد - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.
- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة - تحقيق/ السيد أحمد صقر - المكتبة العلمية.
- التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري - تحقيق/ علي محمد البجاوي - ط/ عيسى البابي الحلبي.
- تيسير التيسير في القراءات العشر، لابن الجزري، تحقيق د. أحمد محمد مفلح القضاة، دار الفرقان وجمعية المحافظة على القرآن الكريم، فرع الزرقاء، ط الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
- التسهيل لعلوم التنزيل لأبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلي - تحقيق/ محمد سالم هاشم - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى (١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م).
- التصريح بمضمون التوضيح للشيخ خالد الأزهرى - تحقيق/ محمد باسل عيون السود - دار الكتب العلمية - بيروت - الثانية (١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م)، وطبعة عيسى الحلبي - القاهرة، ونسخة دار إحياء الكتب العربية، ط/ عيسى الحلبي، وبهامشه حاشية الشيخ يس.

- التفسير البسيط للواحد، تحقيق د/ محمد بن صالح الفوزان وآخرين-جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض-ضمن سلسلة الرسائل الجامعية-رقم (١٠١)-الطبعة الأولى (١٤٣٠هـ).
- تفسير الفخر الرازي المشتهر (بالتفسير الكبير، ومفاتيح الغيب)-دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع-الطبعة الأولى-(١٤٠١هـ ١٩٨١م).
- التوجيه النحوي للوقف اللازم في القرآن الكريم، د/ صالح بن إبراهيم الفراج، بحث منشور بمجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بالرياض، العدد الثالث والخمسون، محرم ١٤٢٧هـ.
- التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني-عني بتصحيحه أوتو برتزل-إستانبول-مطبعة الدولة-١٩٣٠م-الجمعية المستشرقين الألمانية.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر الطبري-تحقيق د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي-دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان-الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ-٢٠٠١م).
- حاشية الشهاب على تفسير البضاوي-دار صادر-بيروت.
- الحجة في علل القراءات السبع لأبي علي الفارسي-تحقيق/ علي النجدي ناصف، د/ عبد الفتاح إسماعيل شلي-الهيئة المصرية العامة للكتاب-١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، ودار الكتب والوثائق القومية-القاهرة-١٤٢١هـ-١٩٨٣م.

- الحجة في القراءات السبع لابن خالويه، ت-تحقيق/ أحمد فريد المزيدي-دار الكتب العلمية-بيروت-الأولى-١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، ونسخة أخرى بتحقيق د/ عبد العال سالم مكرم-دار الشروق-الرابعة-١٤٠١هـ-١٩٨١م.
- حجة القراءات لابن زنجلة-تحقيق/ سعيد الأفغاني-مؤسسة الرسالة-بيروت-الرابعة-١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
- حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع، للشاطبي، تحقيق: محمد تميم الزعبي، الناشر: مكتبة دار الهدى ودار الغوثاني للدراسات القرآنية، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي-تحقيق د/ أحمد محمد الخراط-دار القلم-دمشق-الأولى-١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للآلوسي-دار إحياء التراث العربي-بيروت-لبنان.
- السبعة في القراءات لابن مجاهد-تحقيق د/ شوقي ضيف-دار المعارف-القاهرة-الثالثة.
- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك بحاشية الصبان-المكتبة الجديدة-محمد علي صبيح-القاهرة، وبهامشه حاشية الصبان.
- شرح التسهيل لابن مالك-تحقيق د/ عبد الرحمن السيد، د/ محمد بدوي المختون-دار هجر-القاهرة-الأولى-١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

- شرح طيبة النشر شرح طيبة النشر في القراءات، لابن الجزري، ضبطه وعلق عليه: الشيخ أنس مهرة، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- صحيح البخاري = الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، تحقيق د/ مصطفى ديب-دار ابن كثير-بيروت-الثالثة-١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- صفحات في علوم القراءات، لعبد القيوم عبد الغفور السندي، الناشر: المكتبة الأمدادية، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ.
- علل الوقوف، للسجاوندي، تحقيق د. محمد بن عبد الله العيدي، مكتبة الرشد- الرياض، ط/ الثانية، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
- غاية المريد في علم التجويد، لعطية قابل نصر، الناشر: القاهرة، الطبعة السابعة.
- غاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري، باعثناء برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الثانية، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.
- الفريد في إعراب القرآن المجيد، للمنتجب الهمذاني، تحقيق: د. محمد حسن النمر، دار الثقافة، الدوحة، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.
- القاموس المحيط للفيروز أبادي-المطبعة المصرية-الثالثة-١٣٥٢هـ-١٩٣٣ م.

- القطع والائتناف، لأبي جعفر النحاس، تحقيق د. عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي، ط ١، دار عالم الكتب-الرياض- ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.
- -الكتاب لسيبويه-تحقيق/ عبد السلام هارون-الخانجي-القاهرة- الثالثة-١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- كتاب الإرشاد في القراءات عن الأئمة السبعة، لابن غلبون، مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض، ط ١، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.
- كتاب الوقف والابتداء، للسجاوندي، تحقيق د. محسن هاشم درويش، ط / دار المناهج-عمان-الأردن، الأولى، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.
- كتاب الوقف والابتداء في كتاب الله، لابن جبارة الهذلي، تحقيق د. عمار أمين الددو، ط / نادي القصيم الأدبي-بريدة-المملكة العربية السعودية، الأولى ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.
- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل لأبي القاسم الزمخشري- تحقيق/ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين-مكتبة العبيكان بالرياض- الطبعة الأولى (١٤١٨هـ-١٩٩٨م).
- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها لمكي بن أبي طالب- تحقيق/ محيي الدين رمضان-مؤسسة الرسالة-بيروت.

- لسان العرب لابن منظور-تحقيق/ عبد الله الكبير وآخرين-دار المعارف.
- لطائف الإشارات لفنون القراءات، للقسطلاني، تحقيق د. عبد الصبور شاهين، وعامر السيد عثمان، القاهرة، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م.
- -المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لابن جني- تحقيق / علي النجدي، د/ عبد الفتاح شلي-المجلس الأعلى للشئون الإسلامية-القاهرة - ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية-تحقيق/ الرحالة الفاروق وآخرين-مطبوعات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة قطر-الطبعة الثانية (١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م).
- مجالس العلماء، للزجاجي، أبو القاسم، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي - القاهرة، دار الرفاعي بالرياض، لطبعة: الثانية ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م.
- المظهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي. تحقيق. محمد أحمد جاد المولى، ط، مكتبة دار التراث. الطبعة الثالثة. بدون تاريخ.
- المساعد على تسهيل الفوائد لابن عقيل-تحقيق د/ محمد كامل بركات-جامعة أم القرى-مكة المكرمة-الثانية-١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
- مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب-تحقيق/ ياسين محمد السواس-دار المأمون للتراث-دمشق-الثانية.

- معالم الاهتداء إلى معرفة الوقف والابتداء، لفضيلة الشيخ محمود الحصري، إصدار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية-القاهرة- ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م.
- معاني القرآن للأخفش-تحقيق د/ عبد الأمير الورد-عالم الكتب- بيروت-الأولى-١٩٨٥م.
- معاني القرآن للفراء-تحقيق/ عبد الفتاح شلي-دار الكتب والوثائق القومية-الثالثة-١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.
- معاني القرآن وإعرابه للزجاج-تحقيق د/ عبد الجليل عبده شلي-عالم الكتب-بيروت-الأولى-١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق أ/ عبد السلام محمد هارون ، ط/ دار الجيل - بيروت - لبنان - ١ - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- المعجم الوسيط، تأليف: إبراهيم مصطفى، وآخرين، ط/ مجمع اللغة العربية بالقاهرة.
- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، للإمام الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومعه آخران، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام-تحقيق د/ عبد اللطيف الخطيب-الكويت-الأولى (١٤٢١هـ-٢٠٠٠م).

ونسخة أخرى بتحقيق/ الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد،
المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م،
ونسخة ثالثة بحاشية الأمير، دار إحياء الكتب العربية، فيصل
عيسى الحلبي.

- المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية للشاطبي-تحقيق د/ محمد إبراهيم البنا وآخرين-مركز إحياء التراث الإسلامي-جامعة أم القرى بمكة المكرمة-الأولى (١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م).
- المقتضب لأبي العباس المبرد-تحقيق/ محمد عبد الخالق عضيمة-المجلس الأعلى للشئون الإسلامية-القاهرة-١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
- مقدمة في الوقف والابتداء، للدكتور/ أحمد خطاب العمر، بحث منشور في مجلة آداب الرافدين-العراق - ١٩٧٧م.
- المقصد لتلخيص ما في المرشد في الوقف والابتداء، للشيخ زكريا الأنصاري، بهامش منار الهدى للأشموني، ط/ مصطفى الحلبي، ط/ الثانية، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
- المكتفى في الوقف والابتداء، لأبي عمرو الداني، تحقيق د. جايد زيدان مخلف، الجمهورية العراقية، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- منار الهدى في بيان الوقف والابتداء، لأحمد بن محمد بن عبد الكريم الأشموني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط ٢، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

- مناهل العرفان، للزرقاني، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، ط/ دار الكتاب العربي-بيروت- الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- النشر في القراءات العشر لابن الجزري-تحقيق/ علي محمد الضباع- دار الكتب العلمية-بيروت.
- نظام الأداء في الوقف والابتداء، لأبي الأصبع الأندلسي، المعروف بابن الطحان، تحقيق د. علي حسين البواب، ط/ مكتبة المعارف-الرياض - ١٤٠٦هـ-١٩٨٥م.
- هداية القارئ إلى تجويد كلام البارئ، لعبد الفتاح القاضي، مكتبة المنار-المدينة المنورة- ط/١، ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م.
- الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع، للشيخ عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي، مكتبة السوادي للتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- الوقف والابتداء وصلتهما بالمعنى في القرآن الكريم، للدكتور/ عبد الكريم عوض صالح، ط/ دار السلام-القاهرة- ط/ الأولى، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

Reference:

- ethaf fdla' albshr lldmyaty-thqyq d/ sh'eban mhmd esma'eyl-'ealm alktb-byrwt-t 1-1407 h= 1987m.
- -aletqan fy 'elwm alqran, llsywy, t/ dar msr lltba'eh, bdwn tarykh.
- -artshaf aldrb laby hyan-thqyq d/ rjb 'ethman mhmd-mktbh alkhanjy-alqahrh-t 1-1418h=1998m.
- -alazhyh fy 'elm alhrwf llhrwy-thqyq/ 'ebd alm'eyn almlwhy-mtbw'eat mjm'e allghh al'erbyh bdmshq-1401h=1981m.
- -e'erab alqra'at alsb'e w'ellha labn khalwyh, thqyq d/ 'ebdalrhmnn bn slyman al'ethymyn-mktbh alkhanjy balqahrh, (1992m).
- -e'erab alqran laby j'efr alnhas-thqyq d/ zhyr ghazy zahd-'ealm alktb, wmktbh alnhdh al'erbyh-byrwt-t 3-1409h=1988m.
- -eydah alwqf walabtda' fy ktab allh-[-laby bkr bn alanbary-thqyq/ mhyy aldyn 'ebdalrhmnn rmdan, mtbw'eat mjm'e allghh al'erbyh bdmshq (1390h-1971m).
- -albhr almhyt laby hyan alandlsy-thqyq/ 'eadl 'ebd almwjwd wakhryn-dar alktb al'elmyh byrwt-t 1-1413h= 1993m.
- -albrhan fy 'elwm alqran llzrkshy-thqyq/ mhmd abw alfdl ebrahym-dar alm'erth-byrwt.
- -albyan fy ghryb e'erab alqran laby albrkat alanbary-thqyq/ th 'ebd alhmyd-alhy'eh almsryh al'eamh llktab-1400h 1980m.

- -tawyl mshkl alqran labn qtybh-thqyq/ alsyd ahmd sqr-almktbh al'elmyh.
- -altbyan fy e'erab alqran laby albqa' 'ebd allh bn alhsyn al'ekbry -thqyq/ 'ely mhmd albjawy-t/ 'eysa albaby alhlby.
- -thbyr altysyr fy alqra'at al'eshr, labn aljzry, thqyq d. ahmd mhmd mflh alqdah, dar alfrqan wjm'eyh almhafzh 'ela alqran alkrym, fr'e alzrq'a, t alawla, 1421h - 2000m.
- -altshyl l'elwm altnzyl laby alqasm mhmd bn ahmd bn juzy alklby-thqyq/ mhmd salm hashm-dar alktb al'elmyh-byrwt-altb'eh alawla (1415h-1995m).
- -altsryh bmdmwn altwdyh llshykh khald alazhry-thqyq/ mhmd basl 'eywn alswd-dar alktb al'elmyh-byrwt-althanyh (1427h-2006m), wtb'eh 'eysa alhlby-alqahrh, wnskhkh dar ehya' alktb al'erbyh, t/ 'eysa alhlby, wbbamshh hashyh alshykh ys.
- -altfsyr albsyt llwahdy, thqyq d/ mhmd bn salh alfwzan wakhryn-jam'eh alemam mhmd bn s'ewd aleslamyhbalyrad-dmn slslh alrsa'el aljam'eyh-rqm (101)-altb'eh alawla (1430h).
- -tfsyr alfkhr alrazy almshtyr (baltfsyr alkbyr, wmfatyh alghyb)-dar alfkr lltba'eh walnshr waltwzy'e-altb'eh alawla-(1401h 1981m).
- -altwjiyh alnhwy llwqf allazm fy alqran alkrym, d/ salh bn ebrahym alfraj, bhth mnshwr bmjll jam'eh alemam mhmd bn s'ewd aleslamyhbalyrad, al'edd althalth walkhmswn , mhrm 1427h.

- -altysyr fy alqra'at alsb'e laby 'emrw 'ethman bn s'eyd aldany-'eny btshyhh awtw brtzi-estanbwl-mtb'eh aldwlh-1930m-ljm'eyh almstshrqyn alalmanyh.
- -jam'e albyan 'en tawyl ay alqran laby j'efr altbry-thqyq d/ 'ebd allh bn 'ebd almhsn altrky-dar hjr lltba'eh walnshr waltwzy'e wale'elan-altb'eh alawla (1422h-2001m).
- -hashyh alshhab 'ela tfsyr albydawwy-dar sadr-byrwt.
- -alhjh fy 'ell alqra'at alsb'e laby 'ely alfarsy-thqyq/ 'ely alnjdy nasf, d/ 'ebd alftah esma'eyl shlby-alhy'eh almsryh al'eamh llktab-1403h-1983m, wdar alktb walwtha'eq alqwmyh-alqahrh-1421h-1983m.
- -alhjh fy alqra'at alsb'e labn khalwyh, t-thqyq/ ahmd fryd almzydy-dar alktb al'elmyh-byrwt-alawla-1420h-1999m, wnskhk akhra bthqyq d/ 'ebd al'eal salm mkrm-dar alshrwq-alrab'eh-1401h-1981m.
- -hjh alqra'at labn znjlh-thqyq/ s'eyd alafghany-m'essh alrsalh-byrwt-alrab'eh-1404h-1984m.
- -hrz alamany wwjh althany fy alqra'at alsb'e, llshatby, thqyq: mhmd tmym alz'eby, alnashr: mktbh dar alhda wdar alghwthany lldrasat alqranyh, altb'eh: alrab'eh, 1426 h - 2005m.
- -aldr almswn fy 'elwm alktab almknwn llsmyn alhlby-thqyq d/ ahmd mhmd alkhrat-dar alqlm-dmshq-alawla-1406h-1986m.
- -rwh alm'eany fy tfsyr alqran al'ezym walsb'e alnthany llalwsy-dar ehya' altrath al'erby-byrwt-lbnan.

- -alsb'eh fy alqra'at labn mjahd-thqyq d/ shwqy dyf-dar alm'earf-alqahrh-althalthh.
- -shrh alashmwny 'ela alfyh abn malk bhashyh alsban-almktbh aljdydh-mhmd 'ely sbyh-alqahrh, wbhamshh hashyh alsban.
- -shrh altshyl labn malk-thqyq d/ 'ebd alrhmn alsyd, d/ mhmd bdwy almkhtwn-dar hjr-alqahrh-alawla-1410h-1990m.
- -shrh tybh alnshr shrh tybh alnshr fy alqra'at, labn aljzry, dbth w'elq 'elyh: alshykh ans mhrh, alnashr: dar alktb al'elmyh – byrwt, altb'eh: althanyh, 1420 h – 2000 m.
- -shyh albkhyr = aljam'e almsnd alshyh almkhtsr mn amwr rswl allh sla allh 'elyh wslm wsnh wayamh, thqyq d/ mstfa dyb-dar abn kthyr-byrwt-althalthh-1407h-1987m.
- -sfhat fy 'elwm alqra'at, l'ebd alqywm 'ebd alghfwr alsndy, alnashr: almkbtb alamdadyh, altb'eh: alawla- 1415 h.
- ' -ell alwqwf, llsjawndy, thqyq d. mhmd bn 'ebd allh al'eydy, mktbh alrshd- alryad, t/ althanyh, 1427h-2006m.
- -ghayh almryd fy 'elm altjwyd, l'etyh qabl nsr, alnashr: alqahrh, altb'eh alsab'eh.
- -ghayh alnhayh fy tbqat alqra', labn aljzry, ba'etna' brjstrsr, dar alktb al'elmyh, byrwt, t althanyh, 1400h – 1980m.
- -alfryd fy e'erab alqran almjyd, llmntjb alhmdany, thqyq: d. mhmd hsn alnmr, dar althqafh, aldwhh, altb'eh alawla, 1411h – 1991m.

- -alqamws almhyt llfyrwz abady-alm'tb'eh almsryh-althalthh-1352h-1933m.
- -alqt'e wala'etnaf, laby j'efr alnhas, thqyq d. 'ebd alrhmn bn ebrahym almtrwdy, t1, dar 'ealm alktb-alryad- 1413h-1992m.
- -alktab lsybwyh-thqyq/ 'ebd alsalam harwn-alkhanjy-alqahrh-althalthh-1408h-1988m.
- -ktab alershad fy alqra'at 'en ala'emh alsb'eh, labn ghlbwn, mktbh almlk fhd alwtnyh balryad, t1, 1432 h-2011m.
- -ktab alwqf walabtda', llsjawndy, thqyq d. mhsn hashm drwysh, t/ dar almnahj-'eman-alardn, alawla, 1422h-2001m.
- -ktab alwqf walabtda' fy ktab allh, labn jbarh alhdly, thqyq d. 'emar amyn alddw, t/ nady alqsym aladby-brydh-almmkh al'erbyh als'ewdyh, alawla 1431h-2010m.
- -alkshaf 'en hqa'eq altnzyl w'eywn alaqawyl laby alqasm alzmkhshry-thqyq/ 'eadl ahmd 'ebd almwjwd wakhryn-mktbh al'ebykan balryad-altb'eh alawla (1418h-1998m).
- -alkshf 'en wjwh alqra'at alsb'e w'ellha lmky bn aby talb-thqyq/ mhyy aldyn rmdan-m'essh alrsalh-byrwt.
- -lsan al'erb labn mnzwr-thqyq/ 'ebd allh alkbyr wakhryn-dar alm'earf.
- -lta'ef alesharat lfnwn alqra'at, llqstlany, thqyq d. 'ebd alsbwr shahyn, w'eamr alsyd 'ethman, alqahrh, 1392h-1972m .

- -almhtsb fy tbyyn wjwh shwad alqra'at waleydah 'enha labn jny-thqyq / 'ely alnjdy, d/ 'ebd alftah shlby-almjls ala'ela llsh'ewn aleslamy- alqahrh -1420h-1999m.
- -almhrr alwjyz fy tfsyr alktab al'ezyz labn 'etyh-thqyq/ alrhalh alfarwq wakhryn-mtbw'eat wzarh alawqaf walsh'ewn aleslamy bdwlh qtr-altb'eh althanyh (1428h-2007m).
- -mjals al'elma', llzjajy, abw alqasm, thqyq: 'ebd alsalam mhmd harwn, alnashr: mktbh alkhanjy - alqahrh, dar alrfa'ey balryad, ltb'eh: althanyh 1403 h - 1983m.
- -almzhr fy 'elwm allghh wanwa'eha llsywty. thqyq. mhmd ahmd jad almwla, t, mktbh dar altrath. altb'eh althalthh. bdwn tarykh .
- -almsa'ed 'ela tshyl alfwa'ed labn 'eqyl-thqyq d/ mhmd kaml brkat-jam'eh am alqra-mkh almkrmh-althanyh-1422h-2001m.
- -mshkl e'erab alqran lmky bn aby talb-thqyq/ yasyh mhmd alsawas-dar almamwn lltrath-dmshq-althanyh.
- -m'ealm alahtda' ela m'erfh alwqf walabtada', lfdylh alshykh mhmwd alhsry, esdar almjls ala'ela llsh'ewn aleslamy- alqahrh- 1387h-1967m.
- -m'eany alqran llakhfsh-thqyq d/ 'ebd alamy alwrda-'ealm alktb-byrwt-alawla-1985m.
- m'eany alqran llfra'-thqyq/ 'ebd alftah shlby-dar alktb walwtha'eq alqwmyh-althalthh-1422h-2002m.

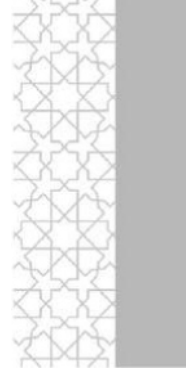
- -m'eany alqran we'erabh llzaj-thqyq d/ 'ebd aljyl 'ebdh shlby-'ealm alktb-byrwt-alawla-1408h-1988m.
- -m'ejm mqayys allghh, laby alhsyn ahmd bn fars bn zkrya, thqyq a/ 'ebd alsalam mhmd harwn , t/ dar aljyl - byrwt - lbnan -t1- 1420h - 1999m .
- -alm'ejm alwsyt, talyf: ebrahym mstfa, wakhryn, t/ mjm'e allghh al'erbyh balqahrh.
- -m'erfh alqra' alkbar 'ela altbqat wala'esar, llemam aldhby, thqyq: sh'eyb alarna'ewt wm'eh akhran, m'essh alrsalh, byrwt, altb'eh alawla, 1404h - 1984m.
- -mghny allbyb 'en ktb ala'earyb labn hsham-thqyq d/ 'ebd alltyf alkhtyb-alkwyt-alawla (1421h-2000m. wnskhkh akhra bthqyq/ alshykh mhmd mhy aldyn 'ebd alhmyd, almktbh al'esryh, syda, byrwt, 1407h - 1987m, wnskhkh thalthh bhashy alamy, dar ehya' alktb al'erbyh, fysl 'eysa alhlby.
- -almqasd alshafyh fy shrh alkhlah alkafyh llshatby-thqyq d/ mhmd ebrahym albna wakhryn-mrkz ehya' altrath aleslami-jam'eh am alqra bmkh almkrmh-alawla (1428h-2007m).
- -almqtdb laby al'ebas almbrd-thqyq/ mhmd 'ebd alkhalq 'edymh-almjls ala'ela llsh'ewn aleslamiy-alqahrh-1415h-1994m.
- -mqdmh fy alwqf walabtda', lldktwr/ ahmd khtab al'emr, bhth mnshwr fy mjllh adab alrafdyn-al'eraq- 1977m.

- -almqsd ltlkhys ma fy almrshd fy alwqf walabtda', llshykh zkrya alansary, bhamsh mnar alhda llashmwny, t/ mstfa alhlby, t/ althanyh, 1393h- 1973m.
- -almktfa fy alwqf walabtda', laby 'emrw aldany, thqyq d. jayd zydan mkhlf, aljmhwyh al'eraqyh, wzarh alawqaf walsh'ewn aldynyh., 1403h-1983m.
- -mnar alhda fy byan alwqf walabtda', lahmd bn mhmd bn 'ebd alkrym alashmwny, mtb'eh mstfa albaby alhlby, t2, 1393h- 1973m.
- -mnahl al'erfan, llzrqany, thqyq: fwaz ahmd zmrly, t/ dar alktab al'erby-byrwt- alawla 1415h - 1995m.
- -alnshr fy alqra'at al'eshr labn aljzry-thqyq/ 'ela mhmd aldba'e-dar alktb al'elmyh-byrwt.
- -nzam alada' fy alwqf walabtda', laby alasbgh alandlsy, alm'erwf babn althan, thqyq d. 'ely hsyn albwab, t/ mktbh alm'earf-alryad- 1406h-1985m.
- -hdayh alqar'e ela tjwyd klam albar'e, l'ebd alftah alqady, mktbh almnar-almdynh almnwrh- t/1, 1404h-1983m.
- -alwafy fy shrh alshatbyh fy alqra'at alsb'e, llshykh 'ebd alftah bn 'ebd alghny bn mhmd alqady, mktbh alswady lltwzy'e, altb'eh alrab'eh, 1412h - 1992m.
- - alwqf walabtda' wslthma balm'ena fy alqran alkrym, lldktwr/ 'ebd alkrym 'ewd salh, t/ dar alsalam-alqahrh- t/ alawla, 1427h-2006m

التوجيهات الصوتية في متن الشاطبية
عرض ودراسة

د. عبدالله بن فهد بن بقال الدوسري
الأستاذ المشارك بقسم الدراسات الإسلامية والعربية
جامعة الملك فهد للبترول والمعادن





التوجيهات الصوتية في متن الشاطبية : عرض ودراسة

د. عبدالله بن فهد بن بتال الدوسري
الأستاذ المشارك بقسم الدراسات الإسلامية والعربية
جامعة الملك فهد للبترول والمعادن

تاريخ تقديم البحث: ١٤٤٦ / ٣ / ٢٦ هـ تاريخ قبول البحث: ١٤٤٦ / ٤ / ٢٦ هـ

الملخص:

ينحو هذا البحث إلى تتبع المسائل الصوتية في متن الشاطبية مما نظّر له الشاطبي وجهاً من الأوجه المعتمدة في قواعد البناء الصوتي في اللغة العربية، مبيناً أصول هذا التوجيه ومعاييرها التي اعتمدها الشاطبي، مقارناً ذلك بما في التيسير لأبي عمرو الداني -إن وجد- استدراكاً أو تعقيماً، مستعرضاً الخلاف الوارد أداءً بين القراء، أو وتوجيهاً بين النحويين وشرح القصيد، ومدى توظيف الخلاف اللغوي في تأييد القراءة القرآنية وتأصيلها، كما لا يفوت الباحث الإشارة إلى سعة البحث اللغوي عند الشاطبي وخاصة في الدرس الصوتي بالرجوع إلى المصادر اللغوية المعتمدة، مع عرض أنماط التوجيه في الشاطبية.

الكلمات المفتاحية: التوجيه -الصوتي -الشاطبي -الخلاف -القراءة

Phonetic Orientations in Al-Shatbiya Text: Reviewing and Studying

Dr. Abdullah bin Fahad Aldosari

Associate Professor – Department of Arabic and Islamic Studies –
King Fahd University of Petroleum and Minerals

Abstract:

This article aims at tracing phonetic issues in Al-Shatbiya Text, theorized by Al-Shatbi as this is considered one of the considerable aspects of the rules of phonetic structure in the Arabic language. The article points out the origin of such an attitude and the standards Al-Shatbi relied on. This will be compared with any point(s) of similarity in Abu Amr Al-Dani's Al-Taysir. This will be conducted by supplementing or commenting through highlighting the differences in performances among the reciters, or instructions given by grammarians and exponents of the poem, and the extent to which the linguistic differences are used to support and establish the Quranic recitation. In addition, the researcher pointed out the breadth of the linguistic research with Al-Shatbi, especially in the phonetic study by referring to the reliable linguistic sources, through a presentation of the patterns of guidance in Al-Shatbiya.

Keywords: Orientation - Phonetic - Al-Shatbi – Differences –
Recitation

المقدمة:

لطالما بقيت القراءات القرآنية مصدرًا مهمًا للنظر اللغوي، ومكانًا خصبًا تباينت فيه آراء اللغويين والنحويين توجيهًا وتقعيدًا، وذخيرة حفظت لنا الكثير من اللهجات العربية التي لولا ما تناقلته أفواه القراء جيلاً بعد جيل بطرق معتبرة واشتراطات خاصة تتأبى على التحريف والتصحيف لجرى عليها ما جرى على سائر اللغات بله اللهجات من التلاشي والاضمحلال، فتلقاها الخلف عن السلف تلقياً غصاً بسلاسل إسنادية لم نجد له نظيراً في لغة غير العربية، وهذا من الوعد الرباني بحفظه وحفظ نقلته، يضاف إلى ذلك أن القراءات مصدر مهم متفق عليه في تأييد كل مدرسة نحوية لمنهجها وأصولها. فالقراءة القرآنية ركن من أصول الاحتجاج اللغوي أو النحوي، ولا يشترط في ذلك تواترها، بل يكفي فيها نقل الثقة المستجمع لشروط التحمل والأداء مع العدالة والضبط.

وكان من أبرز الكتب الجامعة للقراءات المتواترة (متن الشاطبية) نظم أبي القاسم محمد بن فيرّه الرعيني، الذي نظم به (التيسير في القراءات السبع) لأبي عمرو الداني، فأوفى النظم على المتن، فجاء بالعجب العجائب في سلاسته، وبديع إحكامه، وفنون إعجازه، فطبق الآفاق، ولا تكاد تخلو مكتبة طالب علم منه، وتواتر الشراح على النظم، يفتقون عن أسرارهم، ويكشفون عن درره وغواليه .

والشاطبي اجتهد بتوفيق الله في نظمها وإخراجها هذا الإخراج المبهّر، والمعجز لغيره من الشعراء والعلماء على حد قول الذهبي في وصفها: «وقد

سارت الركبان بقصيدتيه، حرز الأمانى وعقيلة أتراب القصائد، اللتين في القراءات والرسم، وحفظهما خلق لا يحصون؛ وخضع لهما فحول الشعراء وكبار البلغاء، وحذاق القراء، ولقد أودع وأوجز وسهل الصعب»^(١).
ولعمر الله ما اشتط الشاطي حين أبان عن متانة مبناها، وجزالة لفظها، وقوة سبكها، فقال:

وَقَدْ كُسِيتَ مِنْهَا الْمَعَانِي عِنَايَةً كَمَا عَرِيتَ عَنْ كُلِّ عَوَزَاءٍ مِفْصَلًا
وَتَمَّتْ بِحَمْدِ اللَّهِ فِي الْخُلُقِ سَهْلَةً مُنَزَّهَةً عَنْ مَنْطِقِ الْهَجْرِ مَقُولًا^(٢)
فهي رصينة في معانيها، جزلة في ألفاظها، نُحِتَ نحو الاختصار باختيار الرموز^(٣) لقرائها، مع وفاء المعنى على جهة مبتكرة لم يسبق إليها، فحازت الشرف والسنا، وقصر دوتها ما جاء على سَنَنِهَا.
قال السخاوي في براعة نظمها، وتعليقًا على البيتين السابقين: «وغيره ينظم أرجوزة فيضطره النظم إلى أن يأتي في قوافيها ومقاطعها وأجزائها بما تَمْجُجُهُ الأسماع»^(٤).

(١) معرفة القراء الكبار: ٣١٢.

(٢) متن الشاطبية: ٩٣.

(٣) انظر مثلاً اختيار الرموز (د) لابن كثير في قراءة حذف الهمز من كلمة (القرآن) في قوله: ونقل قرآن والقرآن دواؤنا، فاختيار الرموز لم يكن اعتباطيًا دون أسرار مطوية في الاستعمال.

(٤) فتح الوصيد: ١٣٦٤/٤.

منهج البحث:

تتبع البحث المسائل الصوتية المذكورة في متن الشاطبية على نحو استقرائي، ومُتَقَيِّلاً المنهج الوصفي في دراسة وجوه تعليل الاختيار، وانتهاءً بمقارنة ذلك بما في أصلها (التيسير) لأبي عمرو الداني؛ تعقيماً، أو استدراكاً، أو خلافاً، وعرض مجموع ما سبق على ما ذكره شراح القصيد قَبُولاً أو اعتراضاً. وقد اعتمدت في عرض هذه المسائل ترتيبها بحسب ورودها في المتن، مع عنونة كل مسألة بما يناسب.

مشكلة البحث:

الكشف عن جوانب التوجيه في المسائل الصوتية المذكورة في المتن، ومقدار ما أضافه الشاطبي على أصلها، وكيفية توظيف الخلاف اللغوي في ذلك.

محددات البحث:

المسائل الصوتية التي نص الشاطبي على توجيهها في أصل متنه، وتقصّي معايير التوجيه، ومقارنة ذلك بأصلها (التيسير) للداني؛ لنقف على مقدار أثر الشاطبي فيها.

الدراسات السابقة:

- ١- (منهج الإمام الشاطبي في منظومته، دراسة تحليلية). رسالة دكتوراه للباحث: مصطفى محمد الشنقيطي بجامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية بالسودان، ٢٠١٤م.
وعُني فيه باحثه ببيان المنهج العام لموضوعات الشاطبية دون تخصيص لمباحثها الصوتية، بله منهجه في التوجيه.
- ٢- (منهج الإمام الشاطبي في القراءات). للباحث: محمد بن غوردو، دراسات عليا. كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس. وهي كسابقتها لا علاقة لها بتوجيه القراءات.
- ٣- (توجيه القراءات عند الإمام الشاطبي في حرز الأمانى ووجه التهاني، دراسة نصية) رسالة دكتوراه للباحث عبد الواحد الصمدي، جامعة عبد الملك السعدي بتطوان، عام ٢٠١٧م.
وهي دراسة وإن عُنيت ببعض جوانب التوجيه اللغوية، إلا أنها وظفت دراستها في المقام الأول وفق المنظور النصي الخاص بالدراسات اللغوية الحديثة بمعنى أن عنايتها متوجهة إلى التركيب اللغوي، فلا علاقة له بما نحن فيه من الدرس الصوتي.
- ٤- (اختيارات الإمام أبي القاسم الشاطبي وتوجيهاته في حرز الأمانى) رسالة ماجستير للباحثة: رشا الدغيثر. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٣٤-١٤٣٥م. مطبوعات الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه. عام ٢٠١٨م.

وهذه الرسالة مسجلة في قسم الدراسات القرآنية، وهي قريبة الصلة بما نحن بصددده لولا مباينتها البحث فيما يأتي:

١- مبناهما على اختيارات الشاطبي وما استتبع ذلك من توجيهات لتقوية اختياره، فاختيار التوجيه مبني على اختيار الشاطبي وليست مطلقا كالبحث الحالي.

٢- لم تنظم الباحثة القضايا الصوتية في باب أو فصل.

٣- اعتمدت الباحثة في قضايا التوجيه على شراح القصيد وخلت من المصادر اللغوية المهمة.

٤- غلب على الباحثة النقل والاقتباس من المصادر المذكورة دون تحليل لغوي أو نقد.

٥- (منهج الإمام الشاطبي للقراءات في منظومته حرز الأمان ووجه التهاني جمعا ودراسة) بحث مدعوم بجامعة أم القرى د سالم بن غرم الله الزهراني. ١٤٣٠، وهذا بحث منتمٍ لحقل الدراسات القرآنية عني فيه صاحبه ببيان منهج التوجيه في الشاطبية، ومسالك ناظمها في ذلك، ولم يخل الباحث ببحثه من دراسة بعض المسائل ذات الصلة إلا أنه لم يخص الدراسة الصوتية بمبحث، وإنما عرض لبعض المسائل وفق ما سبق، وعذره أنه ليس من الاختصاص بعلوم العربية، فجاء ببحثه كسابقه بعيداً عن الدراسة اللغوية.

خطة البحث :

وقد انتظم هذا البحث في مقدمة ، ومبحثين :

المقدمة: وفيها بينت أهمية القراءات، ومكانة (حرز الأمانى ووجه التهاني) الشاطبية في علم القراءات مع الإشارة إلى معقد الرسالة وهو التوجيهات الصوتية الواردة في متنها.

منهج البحث.

مشكلة البحث.

محددات الدراسة.

الدراسات السابقة .

التمهيد: التوجيه اللغوي في متن الشاطبية.

المبحث الأول:

معايير التوجيه الصوتي في متن الشاطبية.

المبحث الثاني:

الظواهر الصوتية في متن الشاطبية.

التمهيد

التوجيه:

لغة: أصله من الوجه وهو مُستقبلٌ لكل شيء، ووجهُ الشيء: جعلته على جهة^(١).

وفي الاصطلاح: هو «علم يُقصد منه تبيينُ وجوه وعلل القراءات، والإيضاح عنها، والانتصار لها»^(٢).

وكما هو ظاهر من التعريف فموضوعه الكلمات القرآنية المختلف في قراءتها أصولاً أو فرشاً.

فهو علم مختص بالكشف عن وجوه القراءة من جهة أصولها من قواعد العربية، ومعرفة منزع من قرأ بها، وهي تحقق شرطاً مما أشار إليه ابن الجزري من الشروط الثلاثة الواجب توافرها في القراءة الصحيحة، وهي: موافقة وجه من قواعد العربية، حيث قال: **فَكُلُّ مَا وَافَقَ وَجْهَ نَحْوٍ**^(٣)

وقد تعددت مصطلحات هذا العلم، فمما وقفت عليه منها:

- ١- الوجوه: ولعله أسبقها ظهوراً، فهناك مصنفٌ لهارون بن موسى الأعور (ت ١٧٠ هـ) اسمه: (وجوه القراءات)^(٤) ومن الكتب التي استخدمت هذا المصطلح: (المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها) لأبي

(١) معجم مقاييس اللغة: ٦ / ٨٨، ولسان العرب: ١٣ / ٥٥٨.

(٢) مفتاح السعادة: ٢ / ٣٣٥.

(٣) متن طيبة النشر: ص ٣٢.

(٤) غاية النهاية في طبقات القراء: ٢ / ٣٤٨.

الفتح عثمان بن جني و (الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها) لمكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧هـ).

٢- معاني القراءات: ومن ذلك (معاني القراءات) الأزهري (ت ٣٧٠هـ).

٣- الحجة: ومن ذلك: (الحجة للقراءات السبع) لأبي علي الفارسي (ت

٣٧٧هـ) و(الحجة في القراءات السبع) لابن خالويه (ت ٣٧٠هـ).

٤- الاحتجاج للقراءات: ومن ذلك (احتجاج القراءات) لأبي بكر محمد

بن الحسن بن مقيس العطار (ت ٣٦٢هـ).

٥- إعراب القراءات: ومن ذلك (إعراب القراءات السبع) لابن خالويه.

٦- تعليل القراءات: ومن ذلك (تعليل القراءات العشر) لمحمد بن سليمان

المعروف بابن أخت غانم (ت ٥٢٥هـ).

٧- تخريج القراءات: ومن ذلك (المستنير في تخريج القراءات المتواترة)

للدكتور محمد سالم محيسن (ت ٢٠٠١م).

وتوجيه القراءات القرآنية الواردة في الشاطبية هو بعض مما عناه الشاطبي

بقوله:

وَأَلْفَافُهَا زَادَتْ بِنَشْرِ فَوَائِدٍ فَلَقْتُ حَيَاءً وَجْهَهَا أَنْ تُفَضَّلَا^(١)

قال أبو شامة (ت ٦٦٥هـ): «فتلك الألفاف نشرت فوائد زائدة على ما

في كتاب التيسير من زيادة وجوه، أو إشارة إلى تعليل، أو زيادة أحكام»^(٢).

(١) متن الشاطبية: ٦.

(٢) إبراز المعاني: ١ / ١٩٧.

ووافقه السمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ) فقال: «باب مخارج الحروف وصفاتها، ومنها الثناء على قراءة، ومنها التعليل لوجوه القراءة، وما تضمنته من اللغة وصياغة الأدب وزيادة وجوه في القراءات»^(١).

ومما زاده أيضًا باب: (اتفاقهم في إدغام إذ وقد وتاء التأنيث وهل ويل)^(٢).

ومن زيادات الشاطبي ما كان خاصًا بالرواية والنقل، كاختياره الإبدال للسوسيّ دون الدُّوري الراويين عن أبي عمرو بن العلاء^(٣).

ومثل ذلك زيادة وجه النقل لحمزة وقفًا في المفصول نحو: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ [البقرة: ١١٤] في باب: (نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها)^(٤).

ومن ذلك زيادة إبدال الهمزة ياء عن السوسي في ﴿بَارِيكُمْ﴾ [البقرة: ١١٤] في باب: (باب الهمز المفرد)^(٥).

والأصل في زيادات الشاطبي مما جاء في باب الرواية أنها من طرق الداني الأخرى في غير كتابه (التيسير في القراءات السبع) نحو كتابه (جامع البيان في القراءات السبع المشهورة).

(١) العقد النضيد: ٢٥٨ / ١.

(٢) متن الشاطبية: ٢٣.

(٣) متن الشاطبية: ١٠.

(٤) متن الشاطبية: ١٩.

(٥) متن الشاطبية: ١٨، وهذه الزيادة أخذها الشاطبي من جامع البيان للداني.

مفهوم التوجيه الصوتي:

والمراد بالتوجيه الصوتي في هذا المبحث هو القراءات التي وقع الخُلف فيها بين القراء على وجه من وجوه البحث الصوتي وبخاصة في باب الأصول، إذ غالب بنائه على الجانب الصوتي، كالمدة، وتخفيف الهمز بأنواعه المختلفة، والإمالة، والإدغام، والإبدال، ويجمع ذلك كله التغيرات الحاصلة في حروف الكلم.

أنماط التوجيه عند الشاطبي:

كان للشاطبي طرائق مختلفة في عرض أنماط توجيه ما ورد من قراءات جعلته ينماز بها عن أصلها، وبعد تقصّي لي في قراءة الشاطبية وحفظ لها بحمد الله، أورد بعضاً مما يسر الله لي الوقوف عليه، كلُّ بدليله:

١- استخدام الكلمات الرامزة لترجيح وجه من القراءة على غيرها:

٩٢٨ كَمَا فِي نَدِّ الْأَيْكَةِ اللَّامُ سَاكِنٌ مَعَ الْهَمْزِ وَخَفِضُهُ وَفِي صَادَ غَيْطَلَا

جاء في (الأَيْكَةُ) [الحجر: ٧٨] قراءتان:

الأولى: ليكة الثانية: الأيكة:

فالغين في (غيطلا) رمز للبصري والكوفيين، و(الغيطل): ما التفّ من الشجر وغلظ، وقراءة هؤلاء اجتمع فيها همزتان، والهمز صوت ثقل عمد العرب فيه إلى ضروب من التخفيف لتسهيل النطق به، وهذا الرمز إشارة إلى ثقل القراءة بهذا الحرف.

ونظيره قوله:

٩٣٧ - مُدُونِي الإِدْغَامُ فَازَ فَتَقَلَّأَ^(١)

قرأ حمزة بإدغام النونين في ﴿أَتُمِدُّونَ﴾ [النمل: ٣٦]، ويومئ حرف الرمز من كلمة (فَازَ) إلى ترجيح قراءة الإدغام^(٢)؛ بما يقتضيه سياق الاعتزاز بما أوتي سليمان من قوة ومال، واستغناء بما أغناه الله.

٢- التوجيه اللغوي من خلال الرمز للقارئ:

١٠١ - وَوَصَّلَكَ بَيْنَ السُّورَتَيْنِ فَصَاحَةً

فالمروي عن حمزة المرموز له بالفاء من (فصاحة) وصل آخر السورة بأول التي تليها دون بسملة؛ لبيان إعراب آخر الكلمة، فعبّر بـ(فصاحة) للإشارة إلى قوة اختياره؛ إذ الأصل بيان إعراب أواخر الكلم. ولهذا نظائر تركتها خشية الإطالة، ومن طالع الشاطبية وأدمن النظر فيها تحليلاً وفقهاً، وطالع مختلف الشروح عليها لن يعدم ما يؤيد قوله من ذلك، وهذه عادة منه رحمه الله في متنه، نجده منشوراً مثله في مواطن مختلفة، ومن وقف عليها وجد تصديق ما قلناه.

(١) متن الشاطبية: ٧٥.

(٢) جاء في شرح المفصل لابن يعيش: «والإدغام بالتشديد من ألفاظ البصريين، والإدغام بالتخفيف من ألفاظ الكوفيين» ٥١٢/٥.

٣- تضمين الأبيات التوجيه النحوي والصرفي:

وقد يسترسل الشاطبي في توجيه المسألة النحوية، مستعرضاً ما قيل فيها:

- ٩٣٤- أَلَا يَسْجُدُوا رَأَوْا وَقِفْ مُبْتَلَىٰ أَلَا وَيَا وَاسْجُدُوا وَأَبْدَأْهُ بِالضَّمِّ مُوَصَّلًا
٩٣٥- أَرَادَ أَلَا يَا هَؤُلَاءِ اسْجُدُوا وَقِفْ لَهُ قَبْلَهُ وَالْعَبْرُ أَذْرَجَ مُبْدَلًا
٩٣٦- وَقَدْ قِيلَ مَفْعُولًا وَأَنْ أَدْعُمُوا بِأَلَا وَلَيْسَ بِمَقْطُوعٍ فَقِفْ يَسْجُدُوا وَلَا^(١)

فقد وجه قراءة الكسائي بتخفيف اللام في (ألا) على أن أصل الكلام: ألا يا

هؤلاء اسجدوا، فحذف المنادى اكتفاءً بحرف النداء .

أما في التوجيه الصرفي فنحو قوله:

- ٥٣٨- وَيَحْسَبُ كَسْرُ السِّينِ مُسْتَقْبَلًا سَمًا رِضَاهُ وَلَمْ يَلْزَمْ قِيَاسًا مُوَصَّلًا^(٢)

حَسِبَ ----- يَحْسَبُ ----- يَحْسِبُ

الوجه الثاني خرج عن القياس إذ الأصل: فَعِلَ يَفْعَلُ، وفي هذا الموطن لم يعتد بالقياس.

٤- الإشارة إلى اللغات والخلاف النحوي مطلقاً:

وأعني أن الشاطبي في بعض الأبواب قد يومئ إلى سعة الخلاف الوارد في

الباب، فلا يعرّج على التوسع فيه مراعاة لمقصده العام، نحو قوله:

- ٣٧١- وَلَمْ يَرَهُ فِي الْفَتْحِ وَالنَّصْبِ قَارِيٌّ وَعِنْدَ إِمَامِ النَّحْوِ فِي الْكُلِّ أُعْمِلُ^(٣)

وهذا حديث في الخلاف اللهجي في الرّوم في باب الوقف على أواخر الكلم.

(١) متن الشاطبية ص ٧٤.

(٢) متن الشاطبية، ص ٤٣.

(٣) متن الشاطبية، ص ٣٠.

ومثله:

١٩٩ وَأَيْمَةً بِالْخُلْفِ قَدْ مَدَّ وَخَدَهُ وَسَهَّلَ سَمًا وَصَفًا وَفِي النَّحْوِ أُبْدِلَا^(١)
فالشاطبي في هذا الموطن يعرض لبعض الخلاف النحوي، والتنوع اللهجي
كحكايته لإبدال الياء من الهمزة في (أئمة)، وهو وجه مروي لغة وقراءة إلا أنه لا
يقرأ به من طريق الشاطبية وأصلها .

ونظيره أيضًا:

٢٥٤ وَفِي الْهَمْزِ أَحْمَاءٌ وَعِنْدَ مُحَاتِهِ يُضِيءُ سَنَاهُ كُلَّمَا اسْوَدَّ أَلِيلًا^(٢)

وهذا دليل على سعة علمه بالعربية، ووقوفه على أوجه الخلاف بين النحويين
بما أقدره على تلمس وجه اختيار القراءة دون غيرها.

٥- الإشارة إلى التوجيه اختصارًا:

نحو ما أشار إليه في قراءة نافع (حتى يقول الرسول) برفع لام (يقول) منفردًا
عن سائر القراء، فقال:

٥٠٦ وَفَتَحْتُكَ سَيْنَ السَّلَامِ أَصْلُ رِضَى دَنَا وَحَتَّى يَقُولَ الرَّفْعُ فِي اللَّامِ أَوْلَا^(٣)

تأويل رفع اللام من قوله تعالى: ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ﴾ [البقرة: ٢١٤] على
حكاية الحال الماضية.

(١) متن الشاطبية، ص ١٦.

(٢) متن الشاطبية، ص ٢١.

(٣) متن الشاطبية، ص ٢١.

المبحث الأول: معايير التوجيه الصوتي عند الشاطبي

ثمة ما وقف عليه الباحث من طريقة الشاطبي في توجيه القراءات المبنية على الخلاف الصوتي بين القراء، يبيده الاستقراء والمقارنة بين ما جُمع من قراءات الخلاف بما يصل بنا إلى ما نطلق عليه تجويزًا معايير في توجيه بعض دون بعض.

١- توجيه ما قَوِيَ فيه الخلافُ بين القراء.

وقوة الخلاف مبنية على اختلاف الرواية، فهي مستند التعليل والتوجيه، ولا اعتداد بما وافق القياس أو ضاده في عرض مثل هذه الخلافات ، ورائده في ذلك شيخ شيخه أبو عمرو الداني حيث يقول في تقرير ذلك : « وأئمة القراءة لا تعتمد في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة، والأقيس في العربية؛ بل على الأثبت في الأثر، والأصلح في النقل، والرواية إذا ثبتت عندهم لا يردّها قياس عربية، ولا فُشُو لغة؛ لأن القرآن سُنّة متبعة يلزم قبولها والمصير إليه »^(١).

٢- ما تَمَحَّضَ له رأياً في مسألةٍ من المسائل الخلافية.

وأعني به -وفق استقصائي لأقوال شراح الشاطبية- بعض الآراء التي يمكن عزوها للشاطبي والتي لم أجد من أشار إليها من قبل، نحو إشارته تحقيق الانسجام الصوتي في ترقيق لفظ الجلالة في قوله :
وكل لدى اسم الله من بعد كسرة يرفقها حتى يروق مرتلاً^(٢)

(١) جامع البيان: ٥١/١ .

(٢) متن الشاطبية: ٣٠ .

ومثله في إشارته إلى علة إمالة أواخر فواصل السور الإحدى عشرة في قوله:

ومما أمالاه أواخر آي ما بطه وآي النجم كي تتعدلا^(١)
ومصطلح التعديل ورد في كتب المتقدمين، إلا أن توظيفه هاهنا ملمح بارز.

٣- ما أهمل الداني الإشارة إليه في كتابه التيسير، جرياً على أن التوجيه من باب الزيادات التي زادها الشاطبي، وقد يرد عليّ بأن كتاب التيسير هو نقل وحسب، وعليه فلا وجه لذكر هذا المعيار هاهنا، والجواب عن ذلك أن صاحب التيسير قد ضمّن كتابه بعض التوجيه كما ذكره في امتناع الإدغام من قوله تعالى: (تُؤَيِّدُ) [المعارج: ١٣] لعروض همزته^(٢)، علماً بأن الشاطبي أغفل ذكره.

٤- الإشارة إلى أن غاية الخلاف الصوتي بين القراء هو مراعاة التخفيف، وتيسير النطق به على أعضاء النطق، وما جاء خلاف ذلك فهو ضعيف في القياس شاذ.

٥- الاحتجاج بالتوجيه الصوتي لردّ بعض شواذ الروايات المنقولة.

(١) متن الشاطبية: ٢٥ .

(٢) التيسير: ٣٩ .

٦- اعتماد النص والرواية في إثبات القراءة والأخذ بها، وما التوجيه والقياس إلا ضرب من الاستثناس لا يعول عليه مفردًا، فالقياس والتعليل تابع للرواية لا يصادمها، وقد أكد ذلك في مواطن من منظومته، ومنها قوله:

٣٥٤ وَمَا لِقِيَاسٍ فِي الْقِرَاءَةِ مَدْخَلٌ فَدُونُكَ مَا فِيهِ الرِّضَا مُتَكَفِّلاً^(١)

فالقياس المقبول هو قياس الأمثلة بعضها على بعض وتتبع النظائر، لا قياس قاعدة كلية على أخرى^(٢).

وفي موطن آخر، ينكر على من يقيس ترقيق الراء إذا جاء بعدها ياء أو كسر على ترقيقها إذا سبقت بهما، فيقول:

٣٥٣ وَمَا بَعْدَهُ كَسْرٌ أَوْ أَلْيَا فَمَا لَهُمْ بِتَرْقِيقِهِ نَصٌّ وَثِيقٌ فَيَمْتُلًا^(٣)

(١) متن الشاطبية، ص ٢٩.

(٢) الوافي شرح الشاطبية: ٢٨٥.

(٣) متن الشاطبية، ص ٢٩.

المبحث الثاني: الظواهر الصوتية في متن الشاطبية

انتهج الباحث في عرض هذه المسائل الصوتية وفق ترتيبها في المتن، مبتدئاً بشرح الشاهد من كل بيت، مبيناً وجه احتجاجه من العربية، وعرضه على ما تيسر من مصادر اللغة، والنحو، وشروح القصيد.

مسائل الإدغام: وفيه ثماني مسائل أوردتها وفق ترتيبها في المتن :

- ١- إدغام الكاف في الكاف في قوله تعالى: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ﴾ [لقمان: ٢٣].
- ١٢٢- وَقَدْ أَظْهَرُوا فِي الْكَافِ يَحْزُنُكَ كُفْرُهُ إِذِ النُّونُ تُخْفَى قَبْلَهَا لِتُجَمَّلَا^(١)

اختار جماعة من القراء إظهار الكاف في هذا الموطن لأمر:

- ١- بقاء الكلمة على صورتها، وهو المقصود بقوله: (لتجمل)، وللجمال فيما أرى وجهان: الأول: صوتي، والآخر: صرفي، أما الوجه الصوتي فهو النأي بالكلمة عن شناعة الثقل الصوتي الحاصل بترادف الإخفاء والإدغام، والوجه الصرفي حاصل بالخفاء الدلالي المحتمل من إنهاك الكلمة بتتابع التغيير المؤذن بغموض الدلالة.
- ٢- أن امتناع الإدغام في هذا الموطن جرى وفق قياس منعه في الضمائر، كامتناع تائي المُخْبِر،

(١) متن الشاطبية: ١٠.

والمخاطَب في قوله تعالى: ﴿كُنْتُ تُرَابًا﴾ [النبا: ٤٠] و﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ﴾ [يونس: ٩٩]^(١).

٣- قد يكون مانع الإدغام أنه مسبوق بإخفاء النون في الكاف، والإخفاء فيه شبهة من الإدغام، والحرف المدغم لا يدغم في غيره، حاله حال امتناعه في قوله تعالى: ﴿مَسَّ سَقَرَ﴾ [القمر: ٤٨]، والعربية تتحاشى ورود أكثر من تغيير على كلمة واحدة إلا فيما قل.

وللجعبري (ت ٧٣٢هـ) رأي في أن امتناع الإدغام راجع إلى صعوبته بتلوه الغنة الصادرة من الخيشوم^(٢)، ولعله يقصد تقارب الأنفي والفموي في إنتاج الكلمة بما ينزعها إلى الثقل.

والضمير في (لتجملا) يُحتمل عوده على الكاف، أو النون، وجماهما بإظهار الكاف وإخفاء النون، واختار أبو شامة (ت ٦٦٥هـ) أن الضمير عائد على الكلمة^(٣)؛ لتكون الكلمة على تمام صياغتها دون تغيير يوهن بُنيته، ويخل بتركيبها، جرياً على أصالة إظهار حروف الكلمة؛ إذ الإدغام ضرب من ضروب التخفيف الطارئة.

(١) إبراز المعاني: ص ٨٢، جاء في الإتحاف فيما يخص (أنت): «ولا يخفى أن في إطلاقهم تاء الضمير على نحو: (أفأنت تكره) تجوز إذ التاء فيه ليست ضميراً على الصحيح، بل حرف خطاب» إتحاف فضلاء البشر: ص ٣١.

(٢) كنز المعاني: ٢٤٥.

(٣) فتح الوصيد: ٢٢٦، شرح الفاسي: ١١٥، وشرح شذلة ١ / ٣٦٧، وإبراز المعاني: ٨٢.

وما ذكره الشاطبي مذكور في أصله، حيث قال الداني: «فإنه لم يدغمه لكون النون ساكنة قبل الكاف، فهي تُخفى عندها»^(١)
وقد روى جماعة من القراء إدغامه احتجاجا بأن الإخفاء ضرب من الإظهار على خلاف ما ذكره من سبق، قال ابن الباذش (ت ٥٤٠هـ): «ولروايته وجه»^(٢).

قال ابن عصفور (ت ٦٦٩هـ) في حقيقة الإخفاء: هو «وسيلة بين الإظهار والإدغام»^(٣)، وبيان ذلك أن الاكتفاء بصفة النون -وهي الغنة- وإفاء طرفية اللسان منها هو ضرب من الإدغام، فالإدغام تغشية حرف في حرف، إلا أنه لم يتحقق في الحرف التالي له، والإخفاء على هذا الوجه أشبه ما يكون بالإدغام الناقص بإبقاء صفة الإطباق للطاء عند إدغامها ف التاء في نحو: (أحطت)، و(بسطت).

٢- إدغام أواخر كلمات محذوفة للجزم:

- ١٢٣- وَعِنْدَهُمُ الْوُجْهَانِ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ تَسْمَى لِأَجْلِ الْحَذْفِ فِيهِ مُعَلَّلًا
١٢٤- كَيْبَتْنِغٍ يَجْزُومًا وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا وَيَخْلُ لَكُمْ عَنْ عَالَمٍ طَيِّبٍ الْخَلَا^(٤)
روي عن السوسي عن أبي عمرو الوجهان: الإظهار والإدغام في الكلم الثلاث:
١- ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا﴾ [آل عمران: ٨٥].

(١) التيسير: ٢٠.

(٢) الإقناع في القراءات السبع: ٨٩، وانظر أيضا: الكامل للهدلي: ٣٥١، إتحاف الفضلاء البشر: ٣٣ / ١.

(٣) الممتع: ٣٦٧.

(٤) الخلا: العشب الرطب، وفيه استعارة عن الحديث الحسن، أو العلم الوفير. متن الشاطبية: ١١.

٢- ﴿وَإِنْ يَكُ كَذِبًا﴾ [غافر: ٢٨] ^(١).

٣- ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾ [يوسف: ٩].

فموجب من أظهر مراعاة أصل هذه الكلم، وعدم الاعتداد بعارض الجزم، ومن أدغم راعى حالها بعد الجزم بالتقاء الحرفين المتماثلين، واعتداداً منه بالعارض ^(٢).

والمراد بقوله: (معللاً): مطلق الإعلال من حذف وإبدال ونحو ذلك من صور التغيير الصوتي الطارئة على الكلمة، فهو استعمال لغوي لا تصريفي، وهذا الحكم محصور في هذه الكلم الثلاث، ولا يشركها فيه غيرها. واختار ابن مجاهد الإظهار محتجاً بكرهة توالي إعلالين في الكلمة الواحدة، مرة بالحذف بسبب الجازم، ومرة بالإدغام، فلذلك جنح إلى اختيار الإظهار، ومثله: ﴿يَكُ كَذِبًا﴾ [غافر: ٢٨] مضافاً إلى ما سبق حذف نونها تخفيفاً لكثرة الاستعمال، فيكون معلولاً من ثلاثة أوجه.

وبمثل ما اختار ابن مجاهد أخذ أبو عمرو الداني، مفسراً ما ورد فيها بالإدغام بأنه إخفاء، ومراده الاختلاس، أي اختلاس الكسر في (يتغ)، والضم في (يك)، و(يخل) ^(٣).

(١) الأصل (يكن) بجزم النون، ثم حذفت تخفيفاً.

(٢) فتح الوصيد: ٢٢٧، وشرح الفاسي: ١١٦، وشرح شعله: ٣٦٧/١، وإبراز المعاني: ٨٢، وكنز المعاني: ٢٤٥، وسراج القاري: ٤٣.

(٣) فتح الوصيد: ٢٢٧.

قال الداني: «فأهل الأداء مختلفون فيه، فمذهب ابن مجاهد وأصحابه الإظهار، ومذهب أبي بكر الداجوني وغيره الإدغام، وقرأته أنا بالوجهين»^(١). ومثله في الإقناع، ومال إلى الإظهار، ونقل عن الخزاعي اتفاق الأئمة عليه^(٢).

وجاء في الإقناع نقلاً عن الداني استقباح الإدغام في (يخل لكم)؛ لأنه منقوص، والساكن قبله غير مد، قال: والوجه فيه أن يكون مخفياً^(٣). قال الباقولي (ت: ٥٤٣هـ) في الفرق بين إدغامي (يخل لكم) و(يبتغ غير): «مع استوائهما في أنهما منقوصان، والفرق بينهما أن (يبتغ) كلمة طويلة؛ فاحتملت الإدغام، و(يخل) كلمة على ثلاثة أحرف، وقد سقطت منها الواو، فلو أدغمت ل بقي بينهما حرفان؛ فكان ذلك مؤدياً إلى الإجحاف بهما»^(٤).

أما ابن الجزري فقال: «وردَّ الداني هذا المانع بإدغام ﴿لَكَ كَيْدًا﴾ [يوسف: ٥] إجماعاً؛ إذ هو أقل حروفاً من (آل).... ولعل أبا عمرو بن العلاء أراد بقوله: لقلة حروفها؛ أي: لقلة دورها في القرآن، فإن قلة الدور وكثرته معتبر

(١) التيسير: ٢١.

(٢) الإقناع: ٧٣، ٨٩.

(٣) الإقناع: ٨٩.

(٤) إعراب الباقولي: ٢٢٧/١.

كما سيأتي في المتقاربين، على أن أبا عمرو من البصريين ولعله أيضاً راعى كثرة الاعتلال وقلة الحروف مع اتباع الرواية»^(١).

وترجيح الإظهار هو ما يتواءم وقواعد النحويين في هذا الباب، فالمحذوف لعله كالثابت، ولذلك أنكر ابن هشام قول من قال بأن النون أُدغمت في النون مع فاصل الهمزة التي حذفت قياساً في قولهم: إن أنا قائم، محتجاً بهذه القاعدة ومنظراً لها بتنوين الكسر تنوين العوض عن حرف الياء في قولهم: هذا قاضٍ، لا بالرفع، مع إمكانية ضم الضاد كونه حرفاً صحيحاً، إلا أنه عدل عنه لتقدير ثبوت الياء وفق القاعدة المذكورة^(٢).

٣- إدغام الكلمات قليلة الحروف:

١٢٦- وَإِظْهَارُ قَوْمٍ آلَ لُوطٍ لِكُونِهِ قَلِيلَ حُرُوفٍ رَدَّهُ مَنْ تَنَبَّأَ^(٣)

١٢٧- بِإِدْغَامِ لَكَ كَيْدًا وَلَوْ حَجَّ مُظْهِرٌ بِإِعْلَالِ ثَانِيهِ إِذَا صَحَّ لَاعْتَلَا^(٤)

روى بعضهم^(٥) إظهار ﴿آلَ لُوطٍ﴾ [الحجر: ٥٩]، ومنع الإدغام لقلة الحروف، إذ فيه الإجحاف بالكلمة، ورُدَّ هذا الاحتجاج بالاتفاق على إدغام ما هو أقل حروفاً، وهو قوله تعالى: ﴿لَكَ كَيْدًا﴾ [يوسف: ٥]، كما أن

(١) النشر في القراءات العشر: ٢٨١/١.

(٢) مغني اللبيب: ٣٦.

(٣) (تنبل): اختار الأنبل فالأنبل، أو صار نبياً في العلم بمعنى جليل القدر والمنزلة، والمقصود به أبو عمرو الداني.

(٤) متن الشاطبية: ١١

(٥) ابن مجاهد وغيره من البغداديين، والإدغام هو اختيار الداني. السبعة في القراءات: ص ١١٧، والتيسير في القراءات السبع: (ص ٢١).

الاتفاق قد انعقد على إدغام المماثل له وزنًا في ﴿قَالَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، فأَي فرق بينهما؟!

وكان الأولى بمؤلاء المانعين في ذلك الاحتجاج بالتغيير الحاصل في ثاني كلمة (آل)، فاختر إظهار الكلمة؛ لئلا يتوارد على الكلمة تغيير بعد تغيير، وفي هذا إنْهَكَكَ لبنية الكلمة فَعُدل عنه، وعليه فالإدغام هو المختار، ولا اعتداد بشبه المظهرين.

وقد ردَّ أبو شامة التعليل بقلة الحروف؛ إذ لا وجه له في (آل) فهو مكون من ثلاثة أحرف لفظًا، وإن كان في الخط على حرفين، وعليه فالتعليل عليل لا ينهض حجة لقائله^(١).

وكلمة (آل) هناك قولان في أصل عينها:

١ - أبدلت الهاء من الهمزة، ثم قلبت أَلْفًا على المقرر في اجتماع الهمزتين الثانية منهما متحركة بإبدالها حرف مدٍّ من جنس حركة ما قبلها، وهو اختيار سييويه.

٢ - ما ذهب إليه الكسائي أن أصلها واو من (أَوَّل) بمعنى رجع، تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت أَلْفًا^(٢).

٤ - إدغام حرف المد:

١٢٩ - وَوَاوُ هُوَ الْمَضْمُومُ هَاءَ كَهُوَ وَمَنْ فَأَدْغِمَ وَمَنْ يُظْهِرُ فَبِالْمَدِّ عَلَّلَا

(١) إبراز المعاني: ٨٣.

(٢) فتح الوصيد: ٢٢٩، وشرح الفاسي: ١١٨، وشرح شعلة: ٣٦٩/١، وإبراز المعاني: ٨٣، وكنز المعاني: ٢٤٨، وسراج القاري: ٤٤.

١٣٠- وَيَأْتِي يَوْمٌ أَدْعَمُوهُ وَنَحْوُهُ وَلَا فَرْقَ يُنْجِي مَنْ عَلَى الْمَدِّ عَوَّلًا^(١)

وقع الخلاف بين القراء في إدغام الواوين في قوله تعالى: ﴿لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ﴾ [الأنعام: ٥٩]، و﴿كَانَهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ﴾ [النمل: ٤٢] فمذهب الجمهور الأخذ بالإدغام للسوسي؛ لتحقيق اجتماع المثليين، وذهب قلة من القراء^(٢) إلى الإظهار؛ تعليلاً بأن الإدغام يُفضي إلى إدغام حرف المد^(٣)، وهو محذور كحظره في نحو: ﴿قَالُوا وَهُمْ﴾ [الشعراء: ٩٦] و﴿الَّذِي يُوسِّسُ﴾ [الناس: ٥].

وامتناع إدغام حروف المد متقرر أصلاً في كتب النحويين ولا نزاع عليه؛ إذ المدة تقوم مقام الفاصل بين المتماثلين^(٤)، مع أنها في الميزان توزن ساكنة، إلا أنه سكون جاء بسبب المطل.

ثم نقض الناظم هذا الاحتجاج بالاتفاق على الإدغام في: ﴿يَأْتِي يَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، ﴿نُودِيَ يَكْمُوسَى﴾ [طه: ١١]؛ إذ ما ذكره المانعون متحقق في هذين المثالين، فلا موجب للتفريق، وما احتجوا به من حرف المد لا يسلم لهم

(١) متن الشاطبية: ١١.

(٢) ابن مجاهد ومن معه.

(٣) وصورة ذلك أن الإدغام يقتضي تسكين الواو، وما قبلها ساكن، فتحققت صورة حرف المد.

(٤) اللباب في علل الإعراب والبناء: ٤٧١/٢.

به، فلمد في نحو ﴿هُوَ وَيَعْلَمُ﴾ [الأنعام: ٥٩] تقديري في الذهن، وهو في نحو: ﴿قَالُوا وَهُمْ﴾ [الشعراء: ٩٦] متحقق^(١)، فافترقا.

ونقل ابن الباذش الاتفاق على الإدغام^(٢).

قال السخاوي (ت ٦٤٣هـ) معترضاً على المظهرين: «وهذه الحجة لا تستقيم؛ لأن واو (هو) إنما دخلها السكون من أجل الإدغام، فلمد داخل على الإدغام، بخلاف ﴿ءَامَنُوا وَكَلَّاتُوا﴾ [يونس: ٦٣]؛ إذ الواو في ذلك ساكنة على كل حال، ولا أصل لها في الحركة؛ فلو أدغمت لكان الإدغام داخلاً على المد»^(٣).

وقد احتجَّ أبو شامة للمظهرين بعلل أخرى منها:

- ١- أن الواو زیدت تقوية لهاء الضمير، والإدغام محلٌّ بينيتها.
- ٢- أن تشديد الواو ماثور في لغة قوم من العرب، فإدغامها يوهم الاستئنان بهذه اللغة، وترك الفاشي في لسان العرب، وهي اللغة الفصيحة التي نزل بها القرآن الكريم.
- ٣- أن الأصل تشديد الواو، ثم خِفَّتْ، فاستغني بهذا الضرب من التخفيف عن تخفيف الإدغام.

(١) فتح الوصيد: ٢٣١، وشرح الفاسي: ١٢٠، وشرح شعله: ٣٧٤/١، وإبراز المعاني: ٨٦، وكنز

المعاني: ٢٥٣، وسراج القاري: ٤٥.

(٢) الإقناع: ٩٦.

(٣) فتح الوصيد: ٢٣١.

قال أبو شامة: «وكل هذه علل حسنة للإظهار لا بأس بها»^(١).

قال الداني في إدغام ﴿إِلَّا هُوَ وَالْمَلَكُ﴾ [آل عمران: ١٩]: «وكان غيره

[ابن مجاهد] يأخذ بالإدغام، وبذلك قرأت، وهو القياس»^(٢).

ونقل ابن الجزري وجهين للمنع من الإظهار، الأول: صيرورة الواو إلى حرف مد ولين، والثاني: لقلة الحروف. وقد سمعنا بالمانعين الضعيفين، وإن كانا لهما اعتبار لديه، إلا أنه مال إلى قول الداني في الإدغام؛ إلحاقاً بنظائرها^(٣).

وإنما يعتد بالمد مانعاً من الإدغام إذا كان من كلمتين نحو: ﴿قَالُوا وَهُمْ﴾

[الشعراء: ٩٦]، أما إذا كان في كلمة واحدة نحو: (مغزو)، و(مرمي) فلا؛

وعلة ذلك عروض اجتماع الكلمتين^(٤).

٥- إدغام العارض:

١٢٩- وَقَبْلَ يَسْنَ الْيَاءِ فِي اللَّاءِ عَارِضٌ سُكُونًا أَوْ اصْلًا فَهُوَ يُظْهِرُ مُسْهَلًا^(٥)

إنما امتنع إدغام الياء المنقلبة عن همزة في ﴿وَالَّتِي﴾ في الياء من ﴿يَسْنَ﴾

[الطلاق: ٤] لأنها عارضة، وعروضها من وجهين:

الأول: أن الياء منقلبة عن همزة؛ فليست أصلاً.

(١) إبراز المعاني: ٨٦.

(٢) التيسير: ٢١.

(٣) النشر في القراءات العشر: ٢٨٣/١.

(٤) شرح الرضي: ٣ / ١٤٠.

(٥) متن الشاطبية: ١١.

الثاني: أن سكون الياء عارض، والأصل عند القراء عدم الاعتداد بالعارض في غالب مسائله^(١).

كما أن الإبدال في هذا الموطن ليس جاريًا على القياس، إذ الأصل تسهيلها لا إبدالها.

والمأخوذ به من طريق الشاطبية هو الإظهار، أما الإدغام فهو من طرق طيبة النشر^(٢).

وقد يكون مانع الإدغام جريان أكثر من تغيير في الكلمة من وجهين:
الأول: حذف الياء من (اللائي)، تخفيفًا.
الثاني: ذهاب الهمزة.

فإذا أدغمت جرى عليها تغيير ثالث، وهذا مُنْهَك لبنية الكلمة^(٣).
وقد أورد أبو شامة على من منع الإدغام لعارض السكون بحصوله في نحو: ﴿فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ﴾ [القلم: ٤٨]، و﴿وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ﴾ [الحجرات: ١١]^(٤).

(١) خالف ناظر الجيش من النحويين ذلك فقال: «ولا شك أن الأكثر في كلام العرب عدم الاعتداد بالعارض، وقد اعتدَّ به قليلا، وكثيرا ما يَغْتَدُّ به القراء رضي الله تعالى عنهم» تمهيد القواعد: ٥١١٨/١٠.

(٢) البدور الزاهرة: ١ / ٣٢٢.

(٣) فتح الوصيد: ٢٣٣، وشرح الفاسي: ١٢١، وكنز المعاني: ٢٥٧، وسراج القارئ: ٤٦.

(٤) إبراز المعاني: ٨٦.

وعليه فالسلامة من هذا الإيراد ترجيح القول بامتناع الإدغام لكثرة التغيرات^(١).

قال الرضي (ت: ٦٨٦هـ): «الكلمة بالإعلال أخفُّ منها بالإدغام»^(٢)، فالإدغام ليس جاريًا على التخفيف في كل أحواله، فقد اتَّفَق على امتناع إدغام الهمزتين في غير عين الكلمة نحو: سأل، وما ذاك إلا للثقل الحاصل. بل الإعلال في بعض صورهِ أخف عليهم من النطق بالأصل، ولهذا نظائر منها قولهم: يقول، بدلًا من يَقُول، ومع ذلك فإن إطلاق القول في مثل هذه التغيرات لا يحسن، وإنما يضبطه قانون التعديل الصوتي والتجانس الإيقاعي بين الأصوات حال تركيبها، ولكلِّ وجه مذكور في بابهِ، جارٍ على سننهِ. وما علله الشاطبي مذكور في أصلهِ التيسير فقد قال الداني: «فلا يجوز إدغامها؛ لأنَّ البدل عارض، وقد عَصَّدَ ذلك ما لحق هذه الكلمة من الإعلال بأن حذفت الياء من آخرها، وأبدلت الهمزة ياءً، فلو أدغمت لاجتمع في ذلك ثلاث إعلالات»^(٣).

(١) وقد خالف الرضي الاحتجاج بكثرة التغيرات في منع الإدغام ونحوه فقال: «وقولهم لا يجمع بين إعلالين في كلمة واحدة فيه نظر» وراح يورد جملةً صالحة من المفردات تؤيد مذهبه في ذلك. شرح الرضي على شافية بن الحاجب: ٣ / ٩٣.

(٢) شرح الرضي على شافية ابن الحاجب: ٣ / ١٢٠.

(٣) التيسير: ٢٢.

ونقل ابن الباذش عن أبيه إنكار الإظهار، فقال: «ولا يمكن فيها إلا الإدغام، وتوالي الإعلال غير مبالٍ به إذا كان القياس مؤدياً إليه»^(١)، وعده ابن الباذش -مؤيداً أباه- من الإدغام الصغير، وصوّبه أبو شامة^(٢).

وجاء في الحجة لأبي علي الفارسي في إبدال الهمزة ياء قوله: «وهو تخفيف إبدال على غير قياس، ومثل هذا البديل من الهمز لا يُقدّم عليه إلا بسمع»^(٣).

وعند محك النظر نجد أن ما منعوا إدغامه له نظير في المقروء به متواتراً، فالمروى عن أبي جعفر إدغام الهمزة بعد إبدالها فيما بعدها في قوله تعالى: ﴿رُءْيَا﴾ [يوسف: ٤٣] هذا وجه، والوجه الآخر: الاعتداد بلغات العرب الواردة في اللائي حيث قالوا: اللائي فلقبي الساكن مثله فوجب إدغامه على الأصول المقررة ومنه قول الشاطبي:

١١٨ - وما أول المثلين فيه مُسَكَّنٌ فلا بدّ من إدغام ما كان أولاً^(٤)

٦ - إدغام القاف في الكاف:

١٣٥ - وَادْغَامُ ذِي التَّحْرِيمِ طَلَّقَكُنْ قُلْ أَحَقُّ وَبِالتَّأْنِيثِ وَالْجُمُعِ أَثْقَلًا^(٥)

(١) الإقناع: ٥٨.

(٢) النشر في القراءات العشر: ٢٨٤/١.

(٣) الحجة للقراء السبعة: ٤٦٦/٥.

(٤) متن الشاطبية: ١٠.

(٥) متن الشاطبية: ١١.

أشار الشاطبي إلى أن علة الإدغام هي تخفيف النطق باللفظ، وهذه الكلمة (طَلَّقَكُنْ) [التحريم: ٥] وإن كانت لم تستوف شروط الإدغام، وهي تحرك ما قبل القاف وتلو الميم لها في هذا الموطن إلا أن الثقل الحاصل بها أولى بمراعاته من غيره مما هو أخف منه نطقاً وقد جرى فيه الإدغام. ووجه الثقل هو الجمع والتأنيث، وقد أشار إليه الداني^(١). في مقابل ذلك فقد اعتل من أظهر بأن الإدغام يوجب اجتماع ثلاث مشددات في كلمة واحدة، وهذا متناه في الثقل، فعدل عنه إلى الإظهار^(٢). قال الرضي: «إذ الكلمة يتدرج ثقلها بتزايد حروفها»^(٣). وقال أبو جعفر بن الباذش: «والقياس الإدغام»^(٤). قال علم الدين السخاوي (ت ٦٤٣هـ): «قال الشيخ عبد الواحد: وإلزامه ذلك أبا عمرو يؤذن بأنه لم يكن يرى إدغامه»^(٥). واكتفى أبو علي الفارسي لما عرض لهذه الكلمة بالقول إن إدغام القاف في الكاف حسن؛ لأنها من حروف الفم^(٦)، ولم يشر إلى التعليقات السابقة أو المفاضلة بين الإظهار والإدغام على نحو ما ذكرناه عن أئمة القراء.

(١) التيسير: ٢١.

(٢) فتح الوصيد: ٢٣٧، وشرح الفاسي: ١٢٤، وشرح شعله: ٣٨٢، وإبراز المعاني: ٨٨، وسراج القارئ: ٤٨.

(٣) شرح الشافية: ٢٧/١.

(٤) الإقناع: ٨٨.

(٥) جمال القراء: ٥٩٧.

(٦) الحجة للقراء السبعة: ٣٠٣/٦.

٧- إدغام تاء الخطاب:

١٤٨- وَفِي جِئْتِ شَيْئًا أَظْهَرُوا لِحِطَابِهِ وَنُقْصَانِهِ وَالْكَسْرُ الْإِدْغَامَ سَهْلًا^(١)

قوله تعالى: ﴿جِئْتِ شَيْئًا﴾ [مریم: ٢٧] فيه قراءتان: الإظهار والإدغام، ولكل وجه من القياس، فمن أظهر فلوجهين: الأول: كون تائه للخطاب. والثاني: ما طرأ عليها من حذف العين^(٢) بعد لحوق التاء بها، وهو المعبر عنه بالنقصان في كلام الشاطبي، وقد ذكرنا من قبل استئصال توارده أكثر من تغيير على الكلمة، فلأجل ذلك اختير الإظهار.

ومن اختار الإدغام فلرفع ثقل الكلمة الحاصل بكسر التاء، فأدغم لتسهيل النطق، وهو ما عناه الشاطبي بقوله: والكسر الإدغام سهلاً.

أما مفتوح التاء في نحو: ﴿جِئْتِ شَيْئًا إِمْرًا﴾ [الكهف: ٧١] فمظهر بلا خلاف، ومثله مضموم التاء في نحو ﴿كُنْتُ تُرَابًا﴾ [النبا: ٤٠]^(٣).

وقدم الجعبري عبارة الداني على عبارة الشاطبي، حيث أشار الداني إلى قوة الكسر في موجب الإدغام وهو الذي لم يشر إليه الشاطبي في نظمه، إذ قوة الكسر يستتبعه ثقل الكلمة^(٤).

(١) متن الشاطبية: ١٢

(٢) حَوَّلَ فَعَلَ المفتوح العين الأجوف اليائي إلى فَعَلَ مكسور العين عند اتصاله بالضمير، وسكنت لام الفعل وهي الهمزة، وتعذر قلب الباء نقلوا كسرة الباء إلى الجيم، فحذفت الباء للساكنين.

(٣) التيسير: ٢٦، وفتح الوصيد: ٢٤٩، وشرح الفاسي: ١٣٨، وشرح شعله: ٣٩٢، وإبراز المعاني: ٩٦، وكنز المعاني: ٢٨٧، وسراج القارئ: ٥٢.

(٤) كنز المعاني: ٢٨٧.

قال الداني: «وأقرأني أبو الفتح (لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا) [مريم: ٢٧] بالإدغام لقوة الكسرة، وقرأته أيضًا بالإظهار؛ لأنه منقوص العين»^(١). وذكر أبو جعفر ابن الباذش أن أهل الأداء يأخذون له بالوجهين^(٢).

٨- إدغام ما قبله حرف صحيح ساكن:

- ١٥٦- وَإِدْغَامُ حَرْفٍ قَبْلَهُ صَحَّ سَاكِنٌ عَسِيرٌ وَبِالإِخْفَاءِ طَبَّقَ مَفْصِلًا
١٥٧- خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ ثُمَّ مِنْ بَعْدِ ظَلَمِهِ وَفِي الْمَهْدِ تُمَّ الْخُلْدِ وَالْعِلْمُ فَاشْتُمَلَا^(٣)

إذا أدغم الحرف فيما يليه، وسبق بحرف صحيح ساكن، نحو: (الْعَفْوُ وَأْمُرٌ) [الأعراف: ١٩٩] و(مَنْ أَلْعَلِمَ مَا لَكَ) [البقرة: ١٢٠] فللقراء فيه وجهان صحيحان:

الأول: الإدغام المحض، وهو الموصوف بالعسير في متن الشاطبية، ويوسم بأنه اختيار المتقدمين.

الثاني: الإخفاء بالحركة، أو اختلاصها^(٤) طلبًا للتخفيف، وهو اختيار المتأخرين، وهو الموصوف ب(طبق مفصلاً)، من قولهم: طَبَّقَ السيفُ المفصلَ، إذا أصاب المفصل وأمكن القطع، وهو مختار الشاطبي^(٥).

(١) التيسير: ٢٦.

(٢) الإقناع: ٧٨، ومثله جاء في النشر: ٢٨٨/١.

(٣) متن الشاطبية: ١٣.

(٤) وقد يعبر عنه بالروم إضافة إلى الإخفاء والاختلاس.

(٥) فتح الوصيد: ٢٥٦، وشرح الفاسي: ١٤٦، وشرح شعلة: ٤٠٠/١، وإبراز المعاني: ١٠١، وسراج القاري: ٥٥.

وإنما وصف الأول بالعسير؛ لاقتضائه اجتماع ساكنين على غير حِدِّه، ولا يمنع الإدغام لو سبق بحرف مد ولين نحو: ﴿قَالَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، أو لين، نحو: ﴿كَيْفَ فَعَلَ﴾ [الفجر: ٦]، وما أساغ الإدغام إلا وجود المد، فالمد يسيغ ما استعصى النطق به، إذ المد يقوم مقام الحركة، ونظيره ما نجده في المد المتصل الذي سهل النطق بالهمزة مع ما فيها من عسر النطق وتكلف الأداء.

قال شعلة الموصلي (ت: ٦٥٦هـ): «ومن عبر عن ذلك بالإخفاء فقد أصاب، لأن الإدغام هاهنا ممتنع، بل هو إخفاء»^(١).

وأنكر الجوهري القول بالإدغام المحض وشنَّع على قائله في نحو: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ [البقرة: ١٨٥] وذكر أن ذلك غير موجود مثله في لغات العرب، ولا اعتداد بروايته عن القراء، فهم لا يحصلون هذا الباب، ورمي القراء بالضعف في علوم العربية جار على ألسنة النحاة، ومنه ما أنكر ابن جني (ت ٣٩٢هـ) ثبوته عن أبي عمرو من تسكين أواخر الكلم من (يأمركم) و(ينصركم) وغيرهما، وعده وهماً في سماع القارئ^(٢)، وما هو بسكون، وإنما اختلاس لا يحسن القراء ضبط سماعه^(٣).

(١) شرح شعلة: ٤٠٠/١.

(٢) الكتاب لسيبويه ٤ / ٢٠٢، وشرح كتاب سيبويه للسيرافي ٥ / ٧٤، والخصائص لابن جني ١ / ٧٣، ٢ / ٣٤٢.

(٣) إبراز المعاني: ١٠١.

وقريب مما ذكره الجوهري من التشنيع على القراء ما قاله ابن جني: «وإنما هو والإدغام والإمالة فضل من فضول العربية، وأكثر من يسأل عن الإدغام والإمالة القراء للقرآن؛ فيصعب عليهم؛ لأنهم لم يعملوا أنفسهم فيما هو دونه من العربية»^(١).

وفي هذا أيضًا يقول الرضي: «وأما ما نسب إلى أبي عمرو من الإدغام في نحو (حُذِ الْعَفْوَ) [الأعراف: ١٩٩]، و(شَهْرُ رَمَضَانَ) [البقرة: ١٨٥]، فليس بإدغام حقيقي، بل هو إخفاء أول المثليين إخفاء يشبه الإدغام، فتجوز بإطلاق اسم الإدغام على الإخفاء لما كان الإخفاء قريبًا منه، والدليل على أنه إخفاء لا إدغام أنه روي عنه الإشمام والروم فيه»^(٢).

ومال ركن الدين الاستراباذي (ت ٧١٥هـ) إلى خلاف ذلك مؤيدًا منهج القراء في ذلك، مثبتًا الإدغام المحض حيث يقول بعد نقاش له طويل في هذه المسألة: «إذا ثبت ذلك كان المصير إلى قول القراء أولى؛ لأنهم ناقلو القرآن عمن ثبتت عصمته من الغلط في مثله؛ لأن ما نقله القراء من القراءات تواتر، وما نقله النحاة آحاد، فقولهم أرجح. ولئن سلمنا أنه ليس تواترًا، لكن القراء أكثر وأعدل، فكان الرجوع إلى قولهم أولى»^(٣).

(١) المنصف شرح التصريف: ٣٤٠/٢.

(٢) شرح الشافية: ٢٤٧/٣.

(٣) شرح الشافية: ٩٠٥/٢.

-مسائل الهمز

وفيه سبع مسائل، ومسائل الهمز في متن الشاطبية^(١) مقسمة وفق الأبواب الآتية :

- ١-الهمزتان من كلمة .
- ٢-الهمزتان من كلمتين .
- ٣-الهمز المفرد .
- ٤-نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها .
- ٥-وقف حمزة وهشام على الهمز .

٢٠٠- وَمَدُّكَ قَبْلَ الضَّمِّ لَبَّى حَبِيبُهُ يُخْلِفُهُمَا بَرًّا وَجَاءَ لِيَقْصِلَا^(٢)

٩- ألف المد بين الهمزتين:

قرأ قالون بلا خلاف وهشام وأبو عمرو بخلف عنهما بإدخال ألف مدّ بين الهمزة المفتوحة والمضمومة، ووجهه كما صرح به الناظم هو فصل أولى الهمزتين عن أخراهما؛ ليسهل النطق بالمضمومة. ومع أن المضمومة مسهلة إلا أنها بزنة المحققة، فلم يفارقها التّقلُّ في نطقها، فحسّن المجيء بالمدِّ تخفيفاً^(٣).

(١) ١٥.

(٢) متن الشاطبية: ١٧ .

(٣) التيسير: ٣٢، وفتح الوصيد: ٣٠٤، وشرح الفاسي: ١٩٣، وشرح شعله: ٣٥٤، وإبراز المعاني: ١٣٩، وكنز المعاني: ٤١٨، وسراج القارئ: ٧٥.

قال علم الدين السخاوي (ت: ٦٤٣هـ): «والسبب في تخفيف الهمز أنه حرف جَلَدٌ متكَلَّفٌ في النطق بعيد المخرج»^(١).

وللعرب فيها مذاهب:

١ - تحقيق الهمزتين دون إدخال لألف.

٢ - تحقيق الهمزتين مع الإدخال.

٣ - تسهيل الهمزة الثانية مع الإدخال.

٤ - تسهيل الهمزة الثانية دون إدخال.

قال سيوييه في الكتاب: «وذلك أنهم كرهوا التقاء همزتين ففصلوا، كما قالوا: اخشينان ففصلوا».

واجتماع الهمزتين دون تسهيل أو إدخال رده أكثر النحويين؛ لثقل الهمزة مخرجاً وهي مفردة، فكيف وهي مشفوعة بأخرى.

قال سيوييه: «وقد تتكلم ببعضه العرب، وهو رديء».

وجنح أبو علي الفارسي إلى جواز مثله، محتجاً باجتماع الحرفين من حروف الحلق، فقالوا: فَهْ، وَكَعْ، ونحوهما كثير في استعمال العرب، وقد نقل جواز حصوله ابن أبي إسحاق.

(١) فتح الوصيد: ٢٩٠.

وأبو علي مع طلب الاحتجاج لمثل ما سبق رأى أن اجتماع الهمزتين وتحقيقهما من كلمة واحدة هو أقبح من كلمتين؛ لأن الهمزة الأولى في نحو ﴿أَنْذَرْتَهُمْ﴾ [البقرة: ٦] تنزل ما هو من الكلمة نفسها^(١).

وقد نقل السخاوي إيراد بعضهم أن تخفيف الهمزة الثانية مغني عن ألف الإدخال؛ إذ توارد الزيادات على الكلمة دون مقتضى صوتي أو موجب تخفيف هو ضرب من ضروب إنهاكها، فأجاب بقوله؛ «بأنها وإن سهّلت فهي في زنة المحققة في الاستثقال»^(٢).

وللثقل الحاصل بما ذكر فقد جنحت بعض قبائل العرب إلى إبدال إحداها فرارًا من اجتماعهما، نحو المنقول عن تميم من إبدال الهمزة الثانية عينًا في قول الشاعر:

أَعَنْ تَرَسَّمَتْ مِنْ حَرْقَاءَ مَنْزِلَةً مَاءُ الصَّبَابَةِ مِنْ عَيْنِيكَ مَسْجُومٌ
قال أبو سعيد السيرافي (ت: ٣٦٨هـ): «وإنما يفعلون هذا في الهمزتين إذا اجتمعتا؛ كراهية اجتماعهما، وهذا الذي نسميه عنعنة تميم»^(٣).

١٠ - إبدال الهمز المفرد:

٢١٩ - وَتُؤْوِي وَتُؤْوِيهِ أَحَفُّ يَهْمَزِهِ...^(٤)

(١) الحجة للقراء السبعة: ١ / ١٨١.

(٢) فتح الوصيد: ٢ / ٢٩٩.

(٣) شرح الكتاب: ١ / ٢٣١.

(٤) متن الشاطبية: ١٨.

كلمة (تؤويه، وتؤوي) من قوله تعالى: ﴿وَفَصَّلَتْهُ أَلْفِي تُؤْيِهِ﴾ [المعارج: ١٣]، ﴿وَتُؤَيِّ إِلَيْكَ مَنْ شَاءَ﴾ [الأحزاب: ٥١] مما استثني إبدال الهمز فيه للسوسي، وذلك أن إبداله يفضي إلى اجتماع واوين، الأولى ساكنة والثانية متحركة، وحققهما الإدغام إلا أنه عدل إلى الإظهار وعدم الإبدال لعلتين: ١- لأنه أخف في النطق، ولو أدغمت لصار اللفظ بواو مكسورة مشددة بعد ضمة، وفي ذاك بُبُو عن جريان الأصوات بتلاؤم وانسجام. ٢- أنه يفضي إلى إدغام العارض، إذ أصله الهمز لا الواو^(١). وفي هذا يقول الفاسي (ت: ٦٥٦هـ): «تَرَكَ الاعتداد بالعارض في كلامهم أكثر من الاعتداد به، فكان المصير إليه أولى»^(٢). والمقرر في كلام النحويين ترك الاعتداد بالعارض^(٣).

١١- إدغام الهمز المفرد:

٢١٩ - ... وَرَثِيًّا بِتَرَكَ الهمْزِ يُشْبِهُ الِامْتِلَاءَ^(٤)

وإنما استثنيت مما حقه الإبدال للبس في المعنى بعد إدغامها فتصبح: رثيًا، فلا يعلم أهو من الرثي الدال على الامتلاء بالماء أم من الرثاء وهو المنظر

(١) التيسير: ٣٩، وفتح الوصيد: ٣٢٠، وشرح الفاسي: ٢٠٩، وشرح شعله: ٤٧٢، وكنز المعاني:

٤٥٧، وسراج القارئ: ٨٥.

(٢) شرح الفاسي: ٢٠٩.

(٣) المساعد على تسهيل الفوائد: ١٥٣/٤، تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد: ١٠/٥١١٨،

والتصريح بمضمون التوضيح: ٩٠/١.

(٤) متن الشاطبية: ١٨.

الحسن وحسن الصورة، ولا شك أن المراد هو الثاني وهو ما تدل عليه قراءة عدم الإبدال، فكان هو الأولى قراءة^(١).

ويقرن النحويون أن هذا ممتنع فيما هو من كلمة واحدة إذا أفضى إلى اللبس في المعنى، ولا يعولون على غاية التخفيف والتيسير في النطق، فالتلفظ تابع للمعنى يدور على قطبه^(٢).

قال ابن يعيش (ت: ٦٤٣هـ): «الأحكام الموضوعية للتخفيف إذا أدّت إلى نقض أغراضٍ مقصودةٍ تُركت»^(٣).

ومن مُثِّل ذلك امتناع إدغام المتماثلين في نحو: سُرر جمع سَرير بسُرر جمع سُرّة، فلأجل كراهية اللبس في المعنى منع من ذلك^(٤).

وقد استدرك بعضهم أن الكلمة تقتضي المعنى الأول كما اقتضته في الثاني؛ إذ لا يحصل منظر حسن وبهاء صورة في جسد إلا بعد ارتوائه، فجرى الكلمة على السبب والمسبب^(٥).

قال السمين الحلبي: «وفي الإظهار صعوبة لا تخفى، وفي الإدغام إبهام أنها مادة أخرى»^(٦).

(١) التيسير: ٣٩، وفتح الصيد: ٣٢٠، وشرح الفاسي: ٢٠٩، وشرح شعله: ٤٧٢، وإبراز المعاني:

١٥١، وكنز المعاني: ٤٥٧، وسراج القاري: ٨٥.

(٢) المفصل في صنعة الإعراب: ٥٤٥.

(٣) شرح المفصل: ١٠/١٢٢.

(٤) شرح الرضي: ٢/٩٠٣.

(٥) شرح الفاسي: ٢٠٩.

(٦) الدر المصون: ٧/٦٣٠.

وأما قول الشاطبي في باب (وقف حمزة وهشام على الهمز):
وَرِئًا عَلَى إِظْهَارِهِ وَإِدْغَامِهِ^(١)

فإن لحمزة حال الوقف على (رئيا) وجهين:
الأول: الإظهار، فتُقرأ: رِئيا.

الثاني: الإدغام بإبدال الهمزة ياءً مدّية ثم إدغامها في الياء التي بعدها
(رئيا)، جريا على قاعدته التي يقول فيها الشاطبي في الباب نفسه:
فَأَبْدَلُهُ عَنْهُ حَرْفَ مَدٍّ مُسَكِّنًا وَمِنْ قَبْلِهِ تَحْرِيكُهُ قَدْ نَزَلَا^(٢)
وهذا الحكم بوجهيه مطرد في نظائره نحو: (تؤوي)، (الرؤيا)^(٣).

وما سبق من رعاية المعنى وعدم إلباسه بغيره في قبول التغيير الصوتي له
نظائر في اختيار القراء، فالمذهب الرسمي^(٤) في وقف حمزة لا يقبل إلا بثلاثة
شروط:

الأول: صحة النقل عن الأئمة في روايته.

الثاني: عدم اللبس في المعنى.

الثالث: جريان الكلمة على قواعد الصرف بعد التغيير.

(١) متن الشاطبية: ٢٠

(٢) متن الشاطبية: ١٩

(٣) منع النحويون إدغام هذا ونحوه لأن أصل هذه الواو همزة؛ «لأن نية الهمزة وتقديرها يمنع من
الإدغام كما تمنع الهمزة لو كانت حاضرة» المنصف شرح التصريف: ٢٧/٢.

(٤) وهذا ما عناه الشاطبي بقوله: وقد روي أنه بالخط كان مُسَهَّلًا ففي الياء يلي الواو والحذف رسمه.

فحمزة لا يقف على قوله تعالى: ﴿إِذَا هُمْ يَجْرُونَ﴾ (٦٤) لَا تَجْرُوا [المؤمنون: ٦٥] بحذف الهمزة إلحاقاً بنظائرها؛ إنه يفضي إلى أن تكون القراءة يَجْرُونَ، وهي من الجري فخالفت المعنى الأصلي للكلمة، وهو رفع الصوت استغاثة، فألغى المذهب الرسمي ولَزِمَ القياسي، فقرأ عند الوقف (يَجْرُونَ).

١٢- إبدال الهمز المفرد:

٢٢٠- وَمُؤَصَّدَةٌ أَوْصَدْتُ يَشْبَهُ كُلَّهُ تَخَيَّرَ أَهْلُ الْأَدَاءِ مُعَلَّلًا^(١)

في ﴿مُؤَصَّدَةٌ﴾ [البلد: ٢٠] قراءتان:

الأولى: (مؤصدة)، مهموز الفاء من (أصد)، وهي قراءة أبي عمرو بن العلاء وحفص عن عاصم وحمزة ويعقوب من الفعل آصدت، أبدلت الهمزة حرف مد من جنس حركة ما قبلها، فأصل فاء الكلمة همزة، وهذا اختيار أبي عمرو بن العلاء، فلم يبدلها السوسي مراعاة لاختيار شيخه التصريفي، إذ لو أبدلها لكانت واوية، «فالقراءة بالإبدال تؤدي إلى الخروج من لغة إلى أخرى»^(٢).

والثانية: (موصدة)، معتل الفاء بالواو، من (وصد)، مثل أوقدت، وهي قراءة من بقي، من أوصدت حيث الفعل معتل الفاء^(٣).

(١) متن الشاطبية: ١٨.

(٢) الوفي في شرح الشاطبية: ٧٢.

(٣) فتح الوصيد: ٣٢١، وشرح الفاسي: ٢١٢، وشرح شعله: ٤٧٢، وإبراز المعاني: ١٥١، كنز المعاني: ٤٥٨، وسراج القاري: ٨٨.

ولو وقف حمزة على (مؤصدة) لم يكن له إلا الإبدال، فدخل عليه اللبس التصريفي المذكور سابقاً، ولذلك قال خلف بن هشام الراوي عنه مقارناً قراءة شيخه في الوقف بقراءة الكسائي: «وقول الكسائي أعجب إلينا؛ لأنه أبين للإعراب»^(١).

ومراد به بالإعراب أوسع من المفهوم الحادث للمصرف، فهو بمعنى إبانة أصل الكلم.

١٣- الوقف على الهمز:

٢٣٧- وَحَرِّكَ بِهِ مَا قَبْلَهُ مَتَّسِكِينَ وَأَسْقِطُهُ حَتَّى يَرْجِعَ اللَّفْظُ
أَسْهَلًا^(٢)

هذا هو البيت الثالث في باب وقف (حمزة وهشام على الهمز)^(٣)، وهو النوع الثاني من تغيير الهمز عند الوقف، وهو النقل، فتنقل حركة الهمز إلى الساكن قبله، فيتحرك بها ثم تحذف الهمزة سواء كان الهمز متوسطاً نحو: (القرآن)، و(مسؤولاً) أم متطرفاً نحو: (دفع)^(٤).

(١) إيضاح الوقف والابتداء: ٤٠٢/١.

(٢) متن الشاطبية: ١٩.

(٣) وهذا باب مشكل، وقلَّ من يضبطه ويحسنه من القراء، وفيه يقول الجعبري: «ومن ثم عسر ضبطه، وأكد إشكاله أن الطالب قد لا يقف عند قراءته على شيخه، فيفوته أشياء، فإذا عرض له وقف بعد ذلك، وسئل عنه لم يجد له أداءً، وقد لا يتمكن من إلحاقه بنظائره فيتحرَّج» كنز المعاني: ٤٩٤/٢.

(٤) فتح الوصيد ٣٤٧/٢، وشرح الفاسي: ٢/٢٩٨، وكنز المعاني: ٤٩٩/٢.

والهاء في (به) راجعة على الهمز، والتسكين في هذا البيت مطلق، فيدخل ما كان قبل الهمزة فيه حرف صحيح، نحو: (دفع)، أو حرف مد ولين نحو: (سوء)، و(جيء)، أو حرف لين نحو: (السوء)، و(هيئ)، ويستثنى من ذلك أمران:

الأول: ما كان قبله ألف مدّ.

الثاني: الواو والياء الزائدتان.

فلهما حكمان آخران ليس هذا محل بسط القول فيهما.

وعلة اطراد تخفيف الهمز لحمزة وهشام في حال الوقف (أن الوقف في غالب الأمر لا يقف إلا بعد فتور صوته وانقطاع نفسه، فإذا رام - والحالة هذه - أن يأتي بالهمز على وجهه مع قوته وبُعد مخرجه شق عليه ذلك، هذا مع نقله له عن أئمته^(١)).

١٤ - الوقف على الهمز:

٢٤٠ - وَيُدْغِمُ فِيهِ الْوَاوُ وَالْيَاءُ مُبْدِلًا إِذَا زِيدَتَا مِنْ قَبْلُ حَتَّى يُفَصَّلَا^(٢)

هذا البيت من ضمن باب (وقف حمزة وهشام على الهمز)، وفيه أحكام كثيرة، ومن ضمنها هذا الباب، وموجزه أن حمزة يدغم حال الوقف الواو

(١) شرح الفاسي: ٢ / ٢٩٦.

(٢) متن الشاطبية: ٢٠

المضموم ما قبلها، والياء المكسور ما قبلها إذا كانتا زائدتين، نحو: (قروء)،
و(مريئاً) في الهمز الذي يليهما بعد إبدال الهمزة حرفاً من جنس ما قبله:

(قُرُوءٌ) ← [البقرة: ٢٢٨] قُرُوءٌ قُرُوءٌ قُرُوءٌ

(مَرِيئًا) ← [النساء: ٥] مَرِيئًا مَرِيئًا مَرِيئًا

والإدغام جاء مميزاً في الحكم التصريفي بين الواو والياء الزائدتين كالمثالين
السابقين، وبين ما جاء أصلياً نحو: (هيئة)، و(السوء)، حيث الحكم فيه نقل
حركة الهمزة إلى الساكن قبلها وذلك بعد إسقاطها، فتقرآن: (هيئة)، و(السوء)
وهذا وجه الفصل والتمييز الذي عناه الشاطبي في نظمه^(١).

قال الفاسي: «حتى يفصلاً، معناه: حتى يفرق بين الزائد والأصلي؛ لأن
الزائد لا أصل له في الحركة فكان أولى بالإدغام، والأصلي له أصل في الحركة،
فكان أولى بنقل الحركة»^(٢).

والهاء في (فيه) راجعة إلى الهمز، أي: يدغم في المدّ المبدل من الهمز الواو
والياء الزائدتين، والتعبير بالإدغام في الهمز فيه تسمّح، وقوله: (قبل) أي: قبل
الهمز.

١٥ - الوقف على الهمز:

وَالْأَخْفَشُ بَعْدَ الْكَسْرِ وَالضَّمِّ أَبَدَلًا ... ٢٤٥-

(١) التيسير: ٣٩، وفتح الوصيد: ٣٥٤، وشرح الفاسي: ٢٣٩، وشرح شعلة: ٤٩٥، وإبراز المعاني:

١٦٩، وكنز المعاني: ٥٠٩، وسراج القاري: ٩٥.

(٢) شرح الفاسي: ٢٣٩.

٢٤٦- يَاءٌ وَعَنْهُ الْوَاوُ فِي عَكْسِهِ وَمَنْ حَكَى فِيهِمَا كَالْيَا وَكَالْوَاوِ أَعْضَلًا^(١)

هذا أحد الوجهين المرويين عن حمزة في التغير الجاري على الهمز المتحرك الواقع بعد متحرك، والوجه المشهور والمتبع هو الذي عناه قبل هذين البيتين بقوله:

٢٤١- وَيُسْمِعُ بَعْدَ الْكَسْرِ وَالضَّمِّ هَمْزُهُ لَدَى فَتْحِهِ يَاءٌ وَوَاوًا مُحَوَّلًا

٢٤٢- وَفِي غَيْرِ هَذَا بَيْنَ بَيْنَ^(٢) ...

ويتحصل من وجوه تحرك الهمزة وما بعدها تسعة أوجه، وجهان منها بالإبدال، والباقي بالتسهيل بين بين، وسأبين ذلك من خلال الجدول الآتي:

الحالة	المثال	التغيير	الوصف
مفتوح بعد كسر	فئة	فِية	إبدال
مفتوح بعد ضم	يؤيد	يُؤِيد	إبدال
المفتوح بعد فتح	شَنَان	شَنَان	تسهيل
مكسور بعد ضم	سُئِل	سُئِل	تسهيل
مكسور بعد كسر	بارئكم	بارئكم	تسهيل
مكسور بعد فتح	مطمئنين	مطمئنين	تسهيل

(١) متن الشاطبية: ٢٠.

(٢) متن الشاطبية: ٢٠.

مضموم بعد ضم	برؤوسكم	برؤوسكم	تسهيل
مضموم بعد فتح	رءوف	رءوف	تسهيل
مضموم بعد كسر	يستَهزءون	يستَهزءون	تسهيل

وهناك وجه آخر من الإبدال مروى عن حمزة قد قرأ به الأخفش سعيد بن مسعدة وجنح للأخذ به، وهو إبدال الهمزة المضمومة الواقعة بعد كسر ياء مضمومة، نحو: (سَنَقِرُّكَ) تقرأ: (سُنَقِرُّيك)، و(مَسْتَهزِئُون) تقرأ: (مَسْتَهزِئُون).

وهذا ما عناه الشاطبي بقوله: والاختف بعد الكسر ذا الضمّ أبداً بياء^(١).

وبعكس ما قبل يُبدلُ الهمز المكسور بعد الضم واوًا، فيقرأ (سُئِلوا): (سُولوا)، و(سُئِلت): (سُولت).

وهو ما عناه الشاطبي بقوله: وعنه الواو في عكسه^(٢).

ووجه مذهب الأخفش - أعني الإبدال - جارٍ على أمور:

الأول: اتباع مرسوم الخط العثماني، وهو مرعي الجانب في قراءة حمزة.

الثاني: أن وجه تسهيل الهمزة يقرها إلى السكون؛ فيفضي إلى ما لا نظير

له في العربية من واو ساكنة قبلها كسرة، أو ياء ساكنة قبلها ضمة على نحو ما ذكر^(٣).

(١) متن الشاطبية: ٢٠.

(٢) متن الشاطبية: ٢٠.

(٣) فتح الوصيد: ٣٥٩/٢، وإبراز المعاني: ٢٢/٢.

الثالث: أن له نظيراً في إبدال الهمزة الثانية وأوًا عند اجتماع الهمزتين من كلمتين في نحو: (يشاء إلى)

كما هو المروي عن أهل سما أعنى نافعًا وابن كثير وأبا عمرو بن العلاء^(١). وما سبق هي الأوجه المعتبرة المروية عن حمزة، أما شاهد ما نحن بصدد من قوله:

...وَمَنْ ... حَكَى فِيهِمَا كَالْيَا وَكَالْوَاوِ أَعْضَلَا^(٢)

فهو وجه محكي عن حمزة^(٣) في تسهيل الهمزة كالياء في نحو: (سُنْقِرُكُ) [الأعلى: ٦]، حيث تسهل الهمزة بينها وبين الحرف المجانس لحركة ما قبلها أي الياء فتقرأ: (سنقريك)، ومثله في: (سئلوا) فتسهل الهمزة بين حركتها وحركة ما قبلها، وهي الضمة، فتقرأ: (سؤلوا)، وفي المثالين يراعى في تسهيل الهمزة حركة ما قبلها لا حركتها كما هي الرواية المعتبرة.

وهذا الوجه الموسوم بالإعضال هو رواية أنكرها الشاطبي، وهو ما عبر عنه بقوله: (وأعضلا)، أي جاء بما هو عسر في التلفظ به، مخالفاً لما تنحو إليه اللغة من التخفيف وتحقيق الانسجام الصوتي عند اجتماع الصوائت.

أحكام النون الساكنة والتنوين: وفيه مسألتان :

الأولى : إدغام النون والتنوين في اللام والراء، وذلك في قوله :

(١) إبراز المعاني: ٢٤/٢.

(٢) متن الشاطبية: ٢٠.

(٣) وهو وجه آخر للأخفش غير الأول. إبراز المعاني: ٢٤/٢.

٢٨٦- وَكُلُّهُمْ التَّنْوِينَ وَالتَّنُونِ أَذْغَمُوا بِلَا غُنَّةٍ فِي اللَّامِ وَالرَّاءِ
لِيَجْمَعَا^(١)

لا تحسن الغنة مع اللام والراء حال إدغام النون والتنوين فيهما، في نحو:
(وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ) [البقرة: ١٣]، (مَنْ رِيَهُمْ) [البقرة: ٥]، ووجه حسن عدم
الغنة فيهما أنهما حرفان متوسطان يخرجان من مسربين فموي وأنفي، حالهما
حال النون والميم التي لهما مخرجان أنفي وفموي، فإذا غُنَّا فكأنك أضفت
لهما مسرباً ثالثاً، وهذا ثقل على الحرف، وعسير في نطقه.
قال علم الدين السخاوي: «والموجب لإذهاب الغنة أن الغنة هاهنا فيه
كلفة على اللسان»^(٢).

وإدغام النون في الراء واللام في منتهى الحسن ومما يوجبه الطبع السليم،
ولذلك أنكر ابن جني على عاصم قراءة السكت على النون ومنع الإدغام في
قوله تعالى: (مَنْ رَاقٍ) [القيامة: ٢٧]، فقال: «فأما قراءة عاصم: (وَقِيلَ مَنْ
رَاقٍ) [القيامة: ٢٧] ببيان النون من (من) فمعيب في الإعراب، معيب
في الأسماع، وذلك أن النون الساكنة لا توقف في وجوب إدغامها في
الراء»^(٣).

(١) متن الشاطبية: ٢٤.

(٢) فتح الوصيد: ٤٠٧/٢.

(٣) الخصائص: ٩٤/١.

وثمة وجه آخر قد يضاف إلى ما ذكر وهو أن اللام والراء لما كانتا قريبتين من النون صارتا «كالأمثال التي ينوب بعضها عن بعض، وحين بعدا من الواو والياء والميم احتيج إلى بقاء الغنة؛ لتدل على الحرف المدغم الذي اختصت به»^(١).

وبقاء بعض الصفات بعد إدغامها له نظير في أداء القراء، كإبقاء صفة الاستعلاء في الطاء بعد إدغامها في التاء نحو: (أحطتُ)، و(بسطتُ)، غايته إبقاء ما يدل على الحرف المدغم على نحو ما سبق في إبقاء الغنة بعد إدغامها.

وما أحسن ما قاله ابن جني، وهو جارٍ في مهيع ما أسلفت: «وما بقي من رائحة الإطباق لا يخرج الحرف من أن يكون قد قلب إلى لفظ ما بعده؛ لأن شرط الإدغام أن يتماثل فيه الحرفان فجرى الإطباق والغنة بعد الإدغام في قلة الاعتداد بهما مجرى الإشمام الذي لا حكم له»^(٢).

المسألة الثانية: وجوب إظهار النون عند ملاقاتها حروف الإدغام من كلمة واحدة، وذلك في قوله :

٢٨٨- وَعِنْدَهُمَا لِلْكُلِّ أَظْهَرُ بِكَلِمَةٍ مَخَافَةَ إِشْبَاهِ الْمُضَاعَفِ أَثْقَالًا^(٣)

(١) فتح الوصيد: ٤٠٨/٢.

(٢) سر صناعة الإعراب: ٥٦/١.

(٣) متن الشاطبية: ٢٤.

وجوب إظهار النون الساكنة اتفاقاً إذا وقع بعدها ياء أو واو من كلمة واحدة، نحو: ﴿الذُّنْيَا﴾ [البقرة: ٨٥] ﴿صِنَوَانٌ﴾ [الرعد: ٤] وعلة وجوب الإظهار أن الإدغام يلبس بتصريف الكلمة، فلا يعلم تصريفه أهي من: دينا أو دُيًّا، ومثله: صنوان أو صِوَان.

تظهر النون عند ملاقاتها الياء والواو في كلمة واحد اتفاقاً في أربع كلمات من القرآن الكريم ﴿قِنَوَانٌ﴾ [الأنعام: ٩٩] و﴿صِنَوَانٌ﴾ [الرعد: ٤] و﴿بُنَيْنٌ﴾ [الصف: ٤] و﴿الذُّنْيَا﴾ [البقرة: ٨٥]، وعلة ذلك أن الإدغام ملبس بين ما أصله النون وبين ما أصله التضعيف، فلا يدري أهو قِنَوَانٌ أم قنوان؟ ومثله في اليائي من (دنيا) أهو من دنيا أم من دُيًّا؟

وهذا اللبس لأجل التضعيف ذكرنا نظيره من قبل في كلمة ﴿وَرِيَاءٌ﴾ [مريم: ٧٤] عن السوسي.

أما إذا كانا من كلمتين فلا محذور لبسٍ ثمة^(١).

قال ابن يعيش: «إذا أدى التخفيف إلى فسادٍ عُدل عنه إلى الأصل، وكان احتمال التثقيب أسهل عندهم»^(٢).

والمقرر عند النحويين أن الإدغام أخص بالأفعال منه في الأسماء، وذلك أن الإدغام ضرب من التخفيف، وغلب على الفعل الثقل في مقابل خفة

(١) فتح الوصيد: ٤١١، وشرح الفاسي: ٣١٢، وشرح شعله: ٥٤٥، وإبراز المعاني: ٢٠٢، وسراج القاري: ١١٦.

(٢) شرح المفصل: ١٠/١٢٢.

الاسم، فما كانوا ليجمعوا بين تخفيفين؛ إذ هذا ضرب من إنهاك الكلام،
فناسب أن يوازن هذا بهذا؛ ليتحقق مقصود التعديل.

جاء في التصريح: «والإدغام فرع الإظهار، فحُصَّ بالفعل لفرعيته»^(١).

باب الترقيق: وذلك في قوله :

٣٤٥ - ... وَتَكَرَّرَهَا حَتَّى يُرَى مُتَعَدِّلًا^(٢)

ما جاء من نحو ﴿فِرَارًا﴾ [الأحزاب: ١٣] و﴿ضِرَارًا﴾ [التوبة: ١٠٧]
كان الأصل فيه ترقيق رائه الأولى لموجب كسر ما قبلها إلا أنه عدل عن
ذلك تحقيقاً للتجانس الصوتي بين الرائين تفخيماً، فالثانية مفخمة فألحقت
الأولى بها، وهذا مقصوده من قوله: (حتى يرى متعدلاً)^(٣).

قال علم الدين السخاوي: «والإمالة هاهنا مخرجة للفظ عن التعديل
والاستواء»^(٤).

قال أبو شامة: «فإذا فخمت الأولى اعتدل اللفظ وانتقل اللسان من
تفخيم إلى تفخيم فهو أسهل»^(٥).

(١) التصريح بمضمون التوضيح: ٧٥٩/٢.

(٢) متن الشاطبية: ٢٨

(٣) التيسير: ٥٦، وفتح الوصيد: ٤٨٧، وشرح الفاسي: ٣٨٦، وشرح شعله: ٦٠٢، وسراج
القاري: ١٣٦.

(٤) فتح الوصيد: ٤٨٧/٢

(٥) إبراز المعاني: ٢٥٠.

ونظير ما فُحِّمَ لأجل مفخم ما أماله القراء لأجل ممال مجاور، نحو إمالة الألف الأولى لأجل إمالة الألف الثانية في كلمة (تراء)، وقالوا: (رأيت عِمادًا) أمالوا الألف المبدلة من التنوين من أجل إمالة الأولى الممالة لأجل الكسرة قبلها^(١).

قال أبو علي الفارسي في سبب الإمالة لأجل الإمالة: «ووجه قول من أمال للإمالة: أن الألف الممالة مقرّبة من الياء للانتحاء بها نحوه، فكما تمال الألف للياء، ولما كان من جنسه وهو الكسرة، كذلك أميلت لما انتحي به نحو الياء وهو الألف الممالة»^(٢).

ومن هذا الضرب منعهم إمالة الألفات إذا سُبقن بحرف من حروف الاستعلاء السبعة: الصاد، والضاد، والطاء، والظاء والغين، والقاف، والخاء. والحال كذلك إذا ولين الألفات، وعلة طلب التجانس الصوتي إذ الإمالة تتسفل، وأولاء الحروف المستعلية تَتَصَعَّدُ إلى الحنك الأعلى فتنافرا. قال سيبويه: «ولا نعلم أحدًا يميل هذه الألف إلا من لا يؤخذ بلغته»^(٣). ومصطلح التعديل جرى على ألسنة المتقدمين، والمراد به تحقيق أكبر قدر من التجانس الصوتي بين الأصوات، والنأي بها عن كل صور التنافر المرفوضة في بنية الكلمة الواحدة، أو في سياق الجملة.

(١) الشائع في كتب النحو أن أسباب الإمالة الستة، وقد أوصلها بعضهم إلى عشرة. شرح المفصل لابن يعيش: ١٨٩/٥، وشرح الرضي على الشافعية: ٥/٣، وتوضيح المقاصد على الألفية: ١٤٩١/٣.
(٢) التعليقة على كتاب سيبويه: ١٧٧/٤.
(٣) الكتاب: ١٢٢.

فهذا هو أبو الحسن الرماني يقول مسألة تصريفية طرأت عليها تغييرات:
«وإنما المطلوب في هذا الباب تعديل الحروف؛ لما فيه من خفة التشاكل؛ ولما
فيه من الحسن المنافي للتنافر»^(١).

باب الإمالة: وفي ذلك مسائل:

المسألة الأولى : إمالة ذوات الياء

٢٩١- وَحَمَزُهُ مِنْهُمْ وَالْكَسَائِيُّ بَعْدَهُ أَمَالًا ذَوَاتِ الْيَاءِ حَيْثُ تَأَصَّلًا^(٢)

أمال حمزة والكسائي كل ألف متطرفة أصلية منقلبة عن ياء، في نحو ﴿سَعَى﴾
[البقرة: ٢٠٥] و﴿هُدَى﴾ [البقرة: ١٢٠] فعلة الإمالة انقلاب الألف من الياء،
فالإمالة إشارة لأصلها.

والإمالة فاشية في قبائل تميم وأسد، وقيس، وعامة النجديين، وللحجازيين
استعمال لها قليل^(٣)، وقراءة أئمتهم تشهد لهم بذلك، فابن كثير المكي لا
إمالة له، ونافع براوييه مثله، وإن كان ثمة إمالة فهو تقليل ورش على الخلاف
كما هو المعروف من قراءاته، وخاصة برواية الأزرق عن ورش.
والأصل في الإمالة أن تكون لاحقة بالأسماء المتمكنة والأفعال.
قال السخاوي: «وهو أكثر أنواع الإمالة استعمالاً»^(٤).

(١) شرح الكتاب (ط): ١١٢، وللاستزادة ينظر: الدرس الصوتي عند الرماني: ٦٨٣.

(٢) متن الشاطبية: ٢٤

(٣) ارتشاف الضرب: ٥١٨/٢.

(٤) فتح الوصيد: ٤١٨.

وما ذكره السخاوي يوهّم أن الياء أقوى أسباب الإمالة بحسب المأثور عن القراء، وليس كذلك فإن الكسرة أقوى من الياء في سبب الإمالة؛ إذ لم تؤثر إمالة سببها ياء ظاهرة سوى عن ورش في نحو: (الخيرات)، و(حيران)^(١). والألف في (تأصّلا) عَوِّدَ على الياء، أي حيث كان الياء أصلا.^(٢)

الثانية : إمالة أواخر فواصل سور مخصوصة

٣٠٦- وَمِمَّا أَمَالَهُ أَوَاخِرُ آيِ مَا بَطِهَ وَآيِ النَّجْمِ كَيْ تَتَعَدَّلَا^(٣)

أمال حمزة والكسائي رؤوس آي السور الإحدى عشرة مطلقاً إلا ما استثنى وفق قواعده المذكورة في مظاهرها، وقد وجه الشاطبي ذلك بقوله: كي تتعدلا، والعدل هو المساواة، فيمال ما آخره واو من الكلم كما يمال ما آخره ياء.

قال السخاوي: «وأما ما ألفه من ذلك منقلبة عن واو فإنما أميل ليأتي لفظ الفواصل كله على طريقة واحدة»^(٤). وقد اعترض أبو شامة على هذا التعديل من جهة أن اختيار الفتح أو ترك الإمالة أولى في التناسب من الإمالة لأمر:

(١) ارتشاف الضرب: ٥٢٩/٢.

(٢) فتح الوصيد: ٤١٨، وشرح الفاسي: ٣١٦، وشرح شعله: ٥٤٩، وإبراز المعاني: ٢٠٥، وسراج القاري: ١١٩.

(٣) متن الشاطبية: ٢٥.

(٤) فتح الوصيد: ٤٣٠.

الأول: في أواخر الآي من هذه السور ما لا يمال مطلقاً، فأين التعديل في ذلك؟

الثاني: لا حاجة للناظم بذكر إمالة أواخر الآي؛ لأن اليائي منه جار مجرى أصوله أصلاً ورسمًا، والواوي منصوص عليه في محالها، فلم يعد لذكر هذه السور غاية، وصاحب التيسير -وهو الأصل- تجاوزها ولم يذكرها. وعليه فترك الإمالة كان الأوفق لغاية التعديل^(١).

الثالثة : إمالة (كلا)

٣١٣- إِنْأَهُ لَهُ شَافٍ وَقُلْ أَوْ كِلَاهُمَا شَفَا وَلِكَسِرٍ أَوْ لِيَاءٍ تَمَيَّلَا^(٢)
مما أماله حمزة والكسائي من الكلمات المفردة ﴿إِنَّهُ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، و﴿كِلاهُمَا﴾ [الإسراء: ٢٣] وقد بين الشاطبي وجه إمالته من أحد وجهين:
الأول: كسر الكاف. والثاني: انقلاب ألفه عن ياء.
وإنما نصَّ على ذكرها؛ لأنَّ أَلْفَهُ لم ترسم في المصاحف ياء^(٣).
ووجه إمالة ألفها لأمرين:
الأول: كسر الكاف قبلها، ولم يعتدَّ باللام فاصلاً؛ لأن مثلها لا يحجر.
الثاني: قلب ألفها ياء لو سميت بها، وهذا قول سيبويه.

(١) شرح الفاسي: ٣٣٣، وشرح شعله: ٥٦٢، وإبراز المعاني: ٢١٥، وسراج القاري: ١٢٣، والوافي: ٢٣٧.

(٢) متن الشاطبية: ٢٦

(٣) فتح الوصيد: ٤٤٠، وشرح الفاسي: ٣٣٩، وشرح شعله: ٥٦٧، وإبراز المعاني: ٢٢٠، وسراج القاري: ١٢٥.

وكلاهما سببان مجوّزان للإمالة على ما هو مقرر في كتب النحو والصرف^(١).

والسبب الأول هو المعتمد في الإمالة، لأن الكسرة أقوى من الياء سبباً للإمالة مطلقاً.

قال المرادي : « فذهب الأكثرون إلى أن الكسرة أقوى من الياء، وأدعى إلى الإمالة، وهو ظاهر كلام سيويه، فإنه قال في الياء: لأنها بمنزلة الكسرة، فجعل الكسرة أصلاً، وذهب ابن السراج إلى أن الياء أقوى من الكسرة، والأول أظهر لوجهين، أحدهما: أن اللسان يتسفل بها أكثر من تسفله بالياء. والثاني: أن سيويه ذكر أن أهل الحجاز يميلون الألف للكسرة، وذكر في الياء أن أهل الحجاز وكثيراً من العرب لا يميلون للياء، فدل هذا من جهة النقل أن الكسرة أقوى »^(٢).

وقال أبو حيان: (ت: ٧٤٥هـ): «انقلاب الألف عن الياء -وهو سبب تقديري- ضعيفٌ ليس في قوة الكسرة والياء، نحو فتى ورمى»^(٣). والاعتلال للأمر الثاني للدلالة على أصل الألف، ومثله شائع في سبب الإمالة، نحو إمالة (طاب)، و(خاف)، و(سعى)، و(قضى) فهو دليل تصريفي لبيان أصل الكلم.

(١) الكتاب: ١١٩/٤، والمقتضب: ٤٢/٣، وشرح المفصل لابن يعيش: ١٨٩/٥، الكشف عن وجوه القراءات: ١٧٣/١.

(٢) توضيح المقاصد: ١٤٩١/٣.

(٣) ارتشاف الضرب: ٥٣٠/٢.

وقد يكون من ضمن الأسباب في إمالة (كلا) - وإن لم يذكر عن أحد فيما اطلعت عليه في (كلا) - حصول الفرق بين الاسم والحرف، وإن كان هذا من الأسباب الشاذة على نحو ما يقرره أبو حيان، وقد ذكره في علة إمالة نحو با تا من حروف المعجم؛ لأنها أسماء ما يُلفظ بها^(١).

تغليظ اللامات: وذلك مسألة واحدة، وهي ترقيق لفظ الجلالة

٣٦٣- وَكُلُّ لَدَى اسْمِ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ كَسْرَةٍ يُرْقِّفُهَا حَتَّى يَرُوقَ مُرْتَلًّا^(٢)

اتفق القراء على ترقيق لفظ الجلالة إذا سبق بكسرة، نحو: (لِلَّهِ الْأَمْرُ)

[سورة الروم: ٤]، و(أَفِي اللَّهِ شَكٌّ) [إبراهيم: ١٠]، ولو كان الكسر

عارضاً، نحو: (قُلِ اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ) [الرعد: ١٦] وعلل ذلك بقوله: حتى

يروق مرتلاً، أي يحسن لفظ الجلالة ترتيباً لمراعاة التلاؤم الصوتي بين الكسرة والترقيق^(٣).

قال السخاوي: «وإنما رُقِّفت بعد الكسرة؛ كراهة التصعُّد بعد التسفُّل، واستثقالاً له»^(٤).

(١) ارتشاف الضرب: ٥٣٤/٢.

(٢) متن الشاطبية: ٣٠.

(٣) فتح الوصيد: ٥١٣/٢، وشرح الفاسي: ٤١٦، وشرح شعلة: ٦٢٧، وإبراز المعاني: ٢٦٥، وسراج القاري: ١٤٠.

(٤) فتح الوصيد ٥١٣.

وبضد ذلك تفخم اللام إذا وليت المفتوح والمضموم، ويعلل السخاوي ذلك بقوله: «والضمة والفتحة يستعليان في الحنك، والاستعلاء خفيف»^(١). وفي قول الشاطبي: (حتى يروق مرتلا) يعلل الفاسي ذلك بـ: «تناسب اللفظ واعتداله، وحُسن الاسم الكريم في سماع السامع»^(٢).

(١) فتح الوصيد ٥١٣.

(٢) شرح الفاسي: ٤١٦.

الختام:

النتائج

- ما تضمنته الشاطبية من بعض التوجيهات الصوتية للشاطبي تدل على سعة له في علم العربية مكنته نقد بعض القراءات استناداً إلى القواعد الفاشية من الاستعمال اللغوي عند العرب.

- تعد بعض التوجيهات الصوتية في متن الشاطبية مما زادته على أصلها التيسير.

- الأصل في كتاب التيسير إنما هو بيان اختيار القراء دون التعليل للاختيار، وقد تبعه الشاطبي في كثير من نظمه، علماً أن كتاب الجامع في القراءات السبع للداني تضمن وجوه الاختيار على نحو أوسع، وهو وحده يحتاج إلى دراسة خاصة تبين أثره في الشاطبية، وهذا مشروع آخر لعل أحداً من الباحثين ينهض لتحقيقه.

- أن الغالب عند القراء عدم الاعتداد بالعارض، وقد جاء في مواطن اعتدادهم به، وهذا مما يؤكد مراعاة الجانب الصوتي في تحقيق التلاؤم في نظم أصوات الكلمة الواحدة .

- كراهة توالي أكثر من تغيير صوتي على الكلمة الواحدة، كالإعلال، والإدغام، وهذا مؤذن بانهاكها، وجريان الغموض على دلالتها .

- غلب التوجيه اللغوي وخصوصاً الصوتي منه في باب الأصول، وقل نظيره في باب الفرش من متن الشاطبية .

- أنكر الشاطبي بعض الأداءات الصوتية الشاذة مع أن لها وجهاً في العربية حاول شرح القصيد التمثل لها بجرياتها على بعض الأصول مما بين في متن البحث.

- تعددت أنماط التوجيه في الشاطبية إما بالتوسع في ذكر الخلاف اللغوي، أو الاكتفاء بالإشارة إليه، أو إهمال ما لا حاجة داعية ملحة إليه.

- القياس والتعليل عند توجيه القراءة إنما هو للاستئناس، ومعرفة وجه الاختيار وليس للاعتماد والنص، فهذا باب الرواية والتقي عن أفواه الضابطيين كما هو منهج أئمة القراءة، يأخذه الآخر عن الأول دون تحريف أو زيادة.

المصادر والمراجع:

- (١) إبراز المعاني من حرز الأماني، عبد الرحمن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، دار الكتب العلمية.
- (٢) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر، أحمد بن محمد بن البناء الدمياني، تحقيق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٦م.
- (٣) اختيارات الإمام أبي القاسم الشاطبي وتوجيهاته في حرز الأماني، رشا الدغيث، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٣٤-١٤٣٥هـ. مطبوعات الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه. عام ٢٠١٨م.
- (٤) ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي، تحقيق: رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي، بالقاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- (٥) إعراب القرآن المنسوب للزجاج، علي بن الحسين بن علي، أبو الحسن نور الدين جامع العلوم الأصفهاني الباقولي، تحقيق: إبراهيم الإياري، دار الكتاب المصري - القاهرة، ودار الكتب اللبنانية - بيروت، الطبعة: الرابعة - ١٤٢٠هـ.
- (٦) الإقناع في القراءات السبع، أبو جعفر أحمد بن علي الغرناطي المعروف بابن الباذش، دار الصحابة للتراث، القاهرة.
- (٧) إيضاح الوقف والابتداء، أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري، تحقيق: محيي الدين رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٧١م.
- (٨) البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، من طريق الشاطبية والدرة، عبد الفتاح القاضي، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- (٩) التصريح بمضمون التوضيح في النحو، خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاوي الأزهري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

- (١٠) التعليقة على كتاب سيبويه، أبو علي الفارسي، تحقيق: عوض بن حمد القوزي، الطبعة: الأولى، ١٩٩٠م.
- (١١) تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، محمد بن يوسف بن أحمد، محب الدين الحلبي ثم المصري المعروف بناظر الجيش، تحقيق: علي محمد فاخر وآخرون، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ.
- (١٢) توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، المؤلف: أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي المصري المالكي، تحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، الطبعة: الأولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م.
- (١٣) التيسير في القراءات السبع، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، تحقيق: أوتو تريزل، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م.
- (١٤) جامع البيان في القراءات السبع، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني، جامعة الشارقة- الإمارات، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- (١٥) جمال القراء كمال الإقراء، أبو الحسن علم الدين السخاوي، تحقيق: د مروان العطية، د محسن خراية، دار المأمون، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٩٩٧م.
- (١٦) الحجة للقراء السبعة، أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي، تحقيق: بدر الدين قهوجي، وأحمد يوسف الدقاق، دار المأمون، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٣م.
- (١٧) الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة، القاهرة.
- (١٨) سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: حسن هندراوي، دار القلم، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٩٨٥م.
- (١٩) سراج القارئ المبتدي وتذكار المنتهي، أبو القاسم علي بن عثمان بن محمد المعروف بابن القاصح، تحقيق: محمد عبد القادر شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

(٢٠) شرح المفصل، أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، قدم له د إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

(٢١) شرح شافية ابن الحاجب، نجم الدين محمد بن الحسن الرضي الإستراباذي، تحقيق: حمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

(٢٢) شرح كتاب سيويه، أبو سعيد السيرافي الحسن بن عبد الله بن المرزبان، المحقق: أحمد حسن مهدي، علي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٨م.

(٢٣) العقد النضيد في شرح القصيد، أبو العباس أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: أيمن رشدي سويد، دار نور المكتبات، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

(٢٤) غاية النهاية في طبقات القراء، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، مكتبة ابن تيمية، عني بنشره لأول مرة عام ١٣٥١هـ ج. برجستراسر (٢٥) فتح الوصيد في شرح القصيد، أبو الحسن علي محمد السخاوي، تحقيق: مولاي محمد الإدريسي الطاهري، مكتبة الرشد، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢هـ - ٢٠٠٢م. (٢٦) الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها، أبو القاسم يوسف بن علي الهذلي، تحقيق: جمال بن السيد الشايب، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.

(٢٧) الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيويه، المحقق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

- (٢٨) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها (وهو شرح كتاب التبصرة في القراءات)، أبو محمد مكّي بن أبي طالب القيسي، المحقق: د محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- (٢٩) كنز المعاني في شرح حرز الأمان ووجه التهاني، إبراهيم بن عمر الجعبري، تحقيق: أحمد اليزيدي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المملكة المغربية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- (٣٠) اللآلئ الفريدة في شرح القصيدة، أبو عبد الله محمد بن حسن الفاسي، تحقيق: عبد الله عبد المجيد نمكاني، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى.
- (٣١) اللباب في علل البناء والإعراب، أبو البقاء محب الدين عبد الله بن الحسين بن عبد الله، تحقيق: غازي طليمات، دار الفكر، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٩٩٥م.
- (٣٢) لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤هـ..
- (٣٣) مَثْنُ «طَبِيبَةِ النَّشْرِ» فِي الْقِرَاءَاتِ الْعَشْرِ، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف المحقق: محمد تميم الزعبي، دار الهدى، جدة، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- (٣٤) متن الشاطبية = حرز الأمان ووجه التهاني في القراءات السبع، القاسم بن فيره بن خلف بن أحمد الرعيني، أبو محمد الشاطبي، تحقيق: محمد تميم الزعبي، مكتبة دار الهدى ودار الغوثاني للدراسات القرآنية، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- (٣٥) المساعد على تسهيل الفوائد، بهاء الدين بن عقيل، تحقيق: د. محمد كامل بركات، مطبوعات جامعة أم القرى، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
- (٣٦) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

- (٣٧) معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن الذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- (٣٨) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق: مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت، الطبعة: السادسة، ١٩٨٥م.
- (٣٩) مفتاح السعادة ومصباح السيادة . أحمد بن مصطفى طاش كبرى زاده . دالر الكتب العلمية، بيروت . الطبعة الأولى، ١٩٨٥م .
- (٤٠) المفصل في صنعة الإعراب، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، تحقيق: علي بو ملح، مكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.
- (٤١) المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد بالمبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب، بيروت.
- (٤٢) الممتع الكبير في التصريف. أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد، الحضرمي الإشبيلي المعروف بابن عصفور، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
- (٤٣) المنصف شرح التصريف، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: إبراهيم مصطفى، وعبد الله أمين، مصطفى الباوي الحلبي، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٩٥٤م.
- (٤٤) النشر في القراءات العشر، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، تحقيق: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى.
- (٤٥) الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع، لعبد الفتاح بن عبد الغني القاضي، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، الطبعة الأولى: ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.

الرسائل الجامعية والدوريات:

- (١) توجيه القراءات عند الإمام الشاطبي في حرز الأمانى ووجه التهاني، دراسة نصية، عبد الواحد الصمدي. جامعة عبد الملك السعدي بتطوان، عام ٢٠١٧م.
- (٢) الدرس الصوتي عند الرماني في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة، رسالة دكتوراه، إعداد: عبد الله بن فهد بن بتال الدوسري، كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ١٤٣١هـ.
- (٣) منهج الإمام الشاطبي في القراءات، محمد بن غوردو، دراسات عليا. كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس.
- (٤) منهج الإمام الشاطبي في توجيه القراءات في منظومته، سالم بن غرم الله الزهراني، مجلة معهد الشاطبي للدراسات القرآنية، جدة، ١٤٤٣هـ.
- (٥) منهج الامام الشاطبي في منظومته، دراسة تحليلية، مصطفى محمد الشنقيطي بجامعة القرآن الكريم والعلوم الاسلامية بالسودان، ٢٠١٤م

Reference:

- Ibrāz al-ma‘ānī min Ḥirz al-amānī, ‘Abd al-Raḥmān Ismā‘īl ibn Ibrāhīm al-ma‘rūf bi-Abī Shāmāh, taḥqīq : Ibrāhīm ‘Aṭwah ‘Awaḍ, Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah.
- Itḥāf Fuḍalā’ al-bashar fī al-qirā’āt al-arba’ ‘ashar, Aḥmad ibn Muḥammad ibn al-binā’ al-Dimyāṭī, taḥqīq : Anas Muhrah, Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, Bayrūt, al-Ṭab‘ah al-thālithah, 2006m.
- Ikhtiyārāt al-Imām Abī al-Qāsim al-Shāṭibī wa-tawjīhātuhu fī Ḥirz al-amānī, Rashā al-Dughaythar, Jāmi‘at al-Imām Muḥammad ibn Sa‘ūd al-Islāmīyah 1434-1435. Maṭbū‘āt al-Jam‘īyah al-‘Ilmīyah al-Sa‘ūdīyah llqrān al-Karīm wa-‘Ulūmih. ‘ām 2018 M.
- Irtishāf al-ḍarb min Lisān al-‘Arab, Abū Ḥayyān Muḥammad ibn Yūsuf ibn ‘Alī ibn Yūsuf ibn Ḥayyān al-Andalusī, taḥqīq : Rajab ‘Uthmān Muḥammad, Maktabat al-Khānjī, bi-al-Qāhirah, al-Ṭab‘ah : al-ūlá, 1418h-1998M.
- I‘rāb al-Qur‘ān al-mansūb llzāj, ‘Alī ibn al-Ḥusayn ibn ‘Alī, Abū al-Ḥasan Nūr al-Dīn Jāmi‘ al-‘Ulūm al-aṣfhāny al-Bāqūlī, taḥqīq : Ibrāhīm al-Ibyārī, Dār al-Kitāb al-Miṣrī – al-Qāhirah, wa-Dār al-Kutub al-Lubnānīyah – Bayrūt, al-Ṭab‘ah : al-rābi‘ah-1420h.
- al-Iqnā’ fī al-qirā’āt al-sab’, Abū Ja‘far Aḥmad ibn ‘Alī al-Gharnāṭī al-ma‘rūf bi-Ibn albādhsh, Dār al-ṣaḥābah lil-Turāth, al-Qāhirah.

- *Īdāḥ al-Waqf wa-al-ibtidā'*, Abū Bakr Muḥammad ibn al-Qāsim ibn Bashshār al-Anbārī, taḥqīq : Muḥyī al-Dīn Ramaḍān, Maṭbū'āt Majma' al-lughah al-'Arabīyah, Dimashq, 1971m.
- *al-Budūr al-Zāhirah fī al-qirā'āt al-'ashr al-mutawātirah, min ṭryqay al-Shāṭibīyah wālddurh*, 'Abd al-Fattāḥ al-Qāḍī, Dār al-Kitāb al-'Arabī, Bayrūt – Lubnān, al-Ṭab'ah : al-ūlá 1401h-1981M.
- *al-Taṣrīḥ bmdmwn al-Tawḍīḥ fī al-naḥw*, Khālīd ibn 'Abd Allāh ibn Abī Bakr ibn Muḥammad aljrjāwī al-Azharī, Dār al-Kutub al-'Ilmīyah, Bayrūt, al-Ṭab'ah : al-ūlá, 1421h-2000M.
- *al-Ta'līqah 'alá Kitāb Sībawayh*, Abū 'Alī al-Fārisī, taḥqīq : 'Awaḍ ibn Ḥamad al-Qawzī, al-Ṭab'ah : al-ūlá, 1990m.
- *Tamhīd al-qawā'id bi-sharḥ Tas'hīl al-Fawā'id*, Muḥammad ibn Yūsuf ibn Aḥmad, Muḥibb al-Dīn al-Ḥalabī thumma al-Miṣrī al-ma'rūf bnāẓr al-Jaysh, taḥqīq : 'Alī Muḥammad Fākhir wa-ākharūn, Dār al-Salām lil-Ṭibā'ah wa-al-Nashr wa-al-Tawzī' wa-al-Tarjamah, al-Qāhirah, al-Ṭab'ah al-ūlá, 1428h.
- *Tawḍīḥ al-maqāṣid wa-al-masālik bi-sharḥ Alfīyat Ibn Mālik*, al-mu'allif : Abū Muḥammad Badr al-Dīn Ḥasan ibn Qāsim ibn 'Abd Allāh ibn 'Alī al-Murādī al-Miṣrī al-Mālikī, taḥqīq : 'Abd al-Raḥmān 'Alī Sulaymān, Dār al-Fikr al-'Arabī, al-Ṭab'ah : al-ūlá 1428h-2008M.

- al-Taysīr fī al-qirā'āt al-sab', Abū 'Amr 'Uthmān ibn Sa'īd al-Dānī, taḥqīq : Ūtū tryzl, Dār al-Kitāb al-'Arabī, Bayrūt, al-Ṭab'ah al-thānīyah, 1984m.
- Jāmi' al-Bayān fī al-qirā'āt al-sab', 'Uthmān ibn Sa'īd ibn 'Uthmān ibn 'Umar Abū 'Amr al-Dānī, Jāmi'at al-Shāriqah – al-Imārāt, al-Ṭab'ah : al-ūlá, 1428h-2007m.
- Jamāl al-qurrā' Kamāl al-iqrā', Abū al-Ḥasan 'ilm al-Dīn al-Sakhāwī, taḥqīq : D Marwān al-'Aṭīyah, D Muḥsin Kharābah, Dār al-Ma'mūn, Dimashq, al-Ṭab'ah : al-ūlá, 1997m.
- al-Ḥujjah lil-qurrā' al-sab'ah, Abū 'Alī al-Ḥasan ibn Aḥmad al-Fārisī, taḥqīq : Badr al-Dīn Qahwajī, wa-Aḥmad Yūsuf al-Daqqāq, Dār al-Ma'mūn, Bayrūt, al-Ṭab'ah : al-thānīyah, 1993M.
- al-Khaṣā'iṣ, Abū al-Faṭḥ 'Uthmān ibn Jinnī al-Mawṣilī, taḥqīq : Muḥammad 'Alī al-Najjār, al-Hay'ah al-Miṣrīyah al-'Āmmah lil-Kitāb, al-Ṭab'ah al-rābi'ah, al-Qāhirah.
- Sirr ṣinā'at al-i'rāb, Abū al-Faṭḥ 'Uthmān ibn Jinnī, taḥqīq : Ḥasan Hindāwī, Dār al-Qalam, Dimashq, al-Ṭab'ah : al-ūlá, 1985m.
- Sirāj al-qārī' al-mubtadī wa-tadhkār al-muntahī, Abū al-Qāsim 'alá ibn 'Uthmān ibn Muḥammad al-ma'rūf bi-Ibn al-Qāṣih, taḥqīq : Muḥammad 'Abd al-Qādir Shāhīn, Dār al-Kutub al-'Ilmīyah, byrwt-Lubnān, al-Ṭab'ah : al-thānīyah, 1425h-2004m.

- Sharḥ al-Mufaṣṣṣal, Abū al-Baqā' Ya'īsh ibn 'Alī ibn Ya'īsh Ibn Abī al-sarāyā Muḥammad ibn 'Alī, qaddama la-hu D Imīl Badī' Ya'qūb, Dār al-Kutub al-'Ilmīyah, Bayrūt, al-Ṭab'ah : al-ūlá, 2001M.
- Sharḥ Shāfiyah Ibn al-Ḥājib, Ḥasan ibn Muḥammad ibn Sharaf Shāh al-Ḥusaynī al'strābādhy, Rukn al-Dīn, taḥqīq : 'Abd al-Maqṣūd Muḥammad 'Abd al-Maqṣūd, Maktabat al-Thaqāfah al-dīnīyah, al-Ṭab'ah al-ūlá 1425h-2004m.
- Sharḥ Kitāb Sībawayh, Abū Sa'īd al-Sīrāfī al-Ḥasan ibn 'Abd Allāh ibn al-Marzubān, al-muḥaqqiq : Aḥmad Ḥasan Mahdalī, 'Alī Sayyid 'Alī, Dār al-Kutub al-'Ilmīyah, Bayrūt – Lubnān, al-Ṭab'ah : al-ūlá, 2008M.
- al-'Iqd al-naḍīd fī sharḥ al-qaṣīd, Abū al-'Abbās Aḥmad ibn Yūsuf al-ma'rūf bi-al-Samīn al-Ḥalabī, taḥqīq : Ayman Rushdī Suwayd, Dār Nūr al-Maktabāt, al-Ṭab'ah : al-ūlá, 1422h-2001M.
- Ghāyat al-nihāyah fī Ṭabaqāt al-qurrā', Shams al-Dīn Abū al-Khayr Ibn al-Jazarī, Muḥammad ibn Muḥammad ibn Yūsuf, Maktabat Ibn Taymīyah, 'uniya bi-nashrihi li-awwal marrah 'ām 1351h J. Birjistrāsir
- Fatḥ al-waṣīd fī sharḥ al-qaṣīd, Abū al-Ḥasan 'Alī Muḥammad al-Sakhāwī, taḥqīq : Mawlāy Muḥammad al-Idrīsī al-Ṭāhirī, Maktabat al-Rushd, al-Ṭab'ah : al-ūlá, 1432h-2002M.

- al-Kāmil fī al-qirā'āt wa-al-arba'īn al-zā'idah 'alayhā, Abū al-Qāsim Yūsuf ibn 'Alī al-Hudhalī, taḥqīq : Jamāl ibn al-Sayyid al-Shāyib, al-Ṭab'ah al-ūlá, 2007m.
- al-Kitāb, 'Amr ibn 'Uthmān ibn Qanbar al-Ḥārithī bālwā', Abū Bishr, al-mulaqqab Sībawayh, al-muḥaqqiq : 'Abd al-Salām Muḥammad Hārūn, Maktabat al-Khānjī, al-Qāhirah, al-Ṭab'ah : al-thālithah, 1408h-1988m.
- al-Kashf 'an Wujūh al-qirā'āt al-sab' wa-'ilalihā wḥijhā (wa-huwa sharḥ Kitāb al-Tabṣirah fī al-qirā'āt), Abū Muḥammad Makkī ibn Abī Ṭālib al-Qaysī, al-muḥaqqiq : D Muḥyī al-Dīn Ramaḍān, Mu'assasat al-Risālah – Bayrūt, al-Ṭab'ah : al-thāniyah, 1401h – 1981M.
- Kanz al-ma'ānī fī sharḥ Ḥirz al-amānī wa-wajh al-tahānī, Ibrāhīm ibn 'Umar al-Ja'barī, taḥqīq : Aḥmad al-Yazīdī, Wizārat al-Awqāf wa-al-Shu'ūn al-'islāmyt-al-Mamlakah al-Maghribīyah, 1419h-1998M.
- al-La'ālī' al-farīdah fī sharḥ al-qaṣīdah, Abū 'Abd Allāh Muḥammad ibn Ḥasan al-Fāsī, taḥqīq : 'Abd Allāh 'Abd al-Majīd nmnkāny, Risālat mājistīr, Jāmi'at Umm al-Qurá.
- al-Lubāb fī 'Ilal al-binā' wa-al-i'rāb, Abū al-Baqā' Muḥibb al-Dīn 'Abd Allāh ibn al-Ḥusayn ibn 'Abd Allāh, taḥqīq : Ghāzī Ṭulaymāt, Dār al-Fikr, Dimashq, al-Ṭab'ah : al-ūlá, 1995m.
- Lisān al-'Arab, Muḥammad ibn Mukarram ibn 'alá, Abū al-Faḍl, Jamāl al-Dīn Ibn manẓūr al-Anṣārī, al-ḥawāshī :

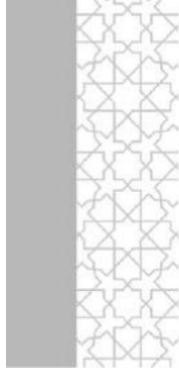
llyāzjy wa-Jamā'at min al-lughawīyīn, Dār Ṣādir – Bayrūt, al-Ṭab'ah : al-thālithah-1414h.

- Matnu « ṭayyibati alnnashri » fī alqirā'āti al'ashri, Shams al-Dīn Abū al-Khayr Ibn al-Jazarī, Muḥammad ibn Muḥammad ibn Yūsuf al-muḥaqqiq : Muḥammad Tamīm al-Zughbī, Dār al-Hudá, Jiddah, al-Ṭab'ah : al-ūlá, 1414h-1994m.
- Matn al-Shāṭibīyah = Ḥirz al-amānī wa-wajh al-tahānī fī al-qirā'āt al-sab', al-Qāsim ibn Fīrruh ibn Khalaf ibn Aḥmad al-Ru'aynī, Abū Muḥammad al-Shāṭibī, taḥqīq : Muḥammad Tamīm al-Zu'bī, Maktabat Dār al-Hudá wa-Dār al-Ghawthānī lil-Dirāsāt al-Qur'ānīyah, al-Ṭab'ah : al-rābi'ah, 1426-2005m.
- al-Musā'id 'alá Tas'hīl al-Fawā'id, Bahā' al-Dīn ibn 'Aqīl, taḥqīq : D. Muḥammad Kāmil Barakāt, Maṭbū'āt Jāmi'at Umm al-Qurá, al-Ṭab'ah al-ūlá 1405h.
- Mu'jam Maqāyīs al-lughah, Aḥmad ibn Fāris ibn Zakarīyā' al-Qazwīnī al-Rāzī, Abū al-Ḥusayn, al-muḥaqqiq : 'Abd al-Salām Muḥammad Hārūn, Dār al-Fikr, 1399h-1979m.
- Ma'rifat al-qurrā' al-kibār 'alá al-Ṭabaqāt wāl'ṣār, Shams al-Dīn Abū 'Abd Allāh Muḥammad ibn Aḥmad ibn 'Uthmān ibn al-Dhahabī, Dār al-Kutub al-'Ilmīyah, Bayrūt, al-Ṭab'ah al-ūlá 1417h-1997m.
- Mughnī al-labīb 'an kutub al-a'ārīb, Ibn Hishām al-Anṣārī, taḥqīq : Māzin al-Mubārak, wa-Muḥammad 'Alī Ḥamad Allāh, Dār al-Fikr, Bayrūt, al-Ṭab'ah : al-sādisah, 1985m.

- al-Mufaṣṣal fī ṣan‘at al-i‘rāb, Abū al-Qāsim Maḥmūd ibn ‘Amr ibn Aḥmad al-Zamakhsharī, taḥqīq : ‘Alī Bū Mulḥim, Maktabat al-Hilāl, Bayrūt, al-Ṭab‘ah al-ūlá, 1993M.
- al-Muqtaḍab, Abū al-‘Abbās Muḥammad ibn Yazīd bi-al-Mubarrad, taḥqīq : Muḥammad ‘Abd al-Khāliq ‘Azīmah, ‘Ālam al-Kutub, Bayrūt.
- al-Mumti‘ al-kabīr fī al-taṣrīf. Abū al-Ḥasan ‘Alī ibn Mu‘min ibn Muḥammad, alḥaḍramy al-Ishbīlī al-ma‘rūf bi-Ibn ‘Uṣfūr, Maktabat Lubnān, Bayrūt, al-Ṭab‘ah al-ūlá, 1996m.
- al-Munṣif sharḥ al-taṣrīf, Abū al-Faṭḥ ‘Uthmān ibn Jinnī, taḥqīq : Ibrāhīm Muṣṭafá, wa-‘Abd Allāh Amīn, Muṣṭafá al-Bābī al-Ḥalabī, al-Qāhirah, al-Ṭab‘ah : al-ūlá, 1954m.
- al-Nashr fī al-qirā‘āt al-‘ashr, Shams al-Dīn Abū al-Khayr Ibn al-Jazarī, taḥqīq : ‘Alī Muḥammad al-Ḍabbā‘, al-Maṭba‘ah al-Tijārīyah al-Kubrā.
- al-Wāfi fī sharḥ al-Shāṭibīyah fī al-qirā‘āt al-sab‘, li-‘Abd al-Fattāḥ ibn ‘Abd al-Ghanī al-Qāḍī, Markaz al-Dirāsāt wa-al-Ma‘lūmāt al-Qur‘ānīyah bi-Ma‘had al-Imām al-Shāṭibī, al-Ṭab‘ah al-ūlá : 1435h-2014m.

Theses and periodicals:

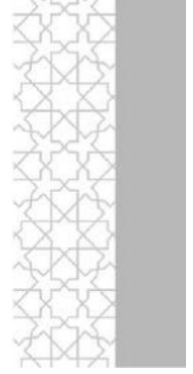
- twjyh alqra'at 'end alemam alshatby fy hrz alamany wwjh althany, drash nsyh, 'ebd alwahd alsmdy. jam'eh 'ebd almlk als'edy bttwan, 'eam 2017m.
- aldrs alswty 'end alrmany fy dw' aldrasat alswtyh alhdythh, rsalh dktwrah, e'edad: 'ebd allh bn fhd bn btal aldwsry, klyh allghh al'erbyh, jam'eh alemam mhmd bn s'ewd, alryad, 1431h.
- mnjh alemam alshatby fy alqra'at, mhmd bn ghwrdd, drasat 'elya. klyh aladab wal'elwm alensanyh bjam'eh mhmd alkham.
- mnjh alemam alshatby fy twjyh alqra'at fy mnzwmth, salm bn ghrm allh alzhany, mjlh m'ehd alshatby lldrasat alqranyh, jdh, 1443h.
- mnjh alemam alshatby fy mnzwmth, drash thlylyh, mstfa mhmd alshnqyty bjam'eh alqran alkrym wal'elwm alaslamyh balswdan, 2014m



المناهج اللغوية بين تقويم المحدثين ومعايير علم اللغة

أ. د. سعود بن عبد الله بن محمد آل حسين التميمي
قسم النحو والصرف وفقه اللغة - كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية





المناهج اللغوية بين تقويم المحدثين ومعايير علم اللغة

أ. د. سعود بن عبد الله بن محمد آل حسين التميمي
قسم النحو والصرف وفقه اللغة - كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

تاريخ تقديم البحث: ١٤٤٦ / ٢ / ٢٩ هـ تاريخ قبول البحث: ١٤٤٦ / ٤ / ٢٦ هـ

الملخص:

انصبَّ اهتمام كثير من المحدثين في علم اللغة، على الحديث عن المناهج اللغوية التي اتبعها القدماء في وصف أنظمة العربية، فكثرت التأليف في هذا الباب، و صارت السمة الغالبة على البحوث والمؤلفات في علوم العربية في هذا العصر، هي إعادة النظر فيما دونه اللغويون والنحاة منهجاً وتقويماً، ونتج عن إعادة النظر هذه الاشتغال بنقد مناهج القدماء، فظهرت مؤلفات وبحوث كثيرة تتضمن نقداً عظيماً لمناهج دراسة العربية، وكثرة ذلك النقد، وتشعبه بحاجة إلى تقويم وإعادة نظر، بناء على ما يتوافر في علم اللغة الحديث من معايير، يمكن أن يكون لها الكلمة الفصل في تقويم ذلك النقد؛ لأن غياب المعايير في ذلك النقد، جعله على غير أسس صحيحة، وكان سبب هذا فيما أرى:

١. أنّ النصوص التي تتحدث عن المنهج، وتاريخ العلم، عند القدماء قليلة ومتناثرة.
٢. أنّ كثيراً ممن تحدثوا عن مناهج القدماء تأثروا بدراسة اللغويين للغات الحديثة وكان موقفهم موقف من يقيس لغة على لغة، لا موقف من يطبق اشتراطات علم اللغة الحديث في دراسة الكلام البشري.

تلك هي مشكلة البحث : نقد كثير لمناهج اللغويين والنحاة دون استحضار للمعايير وخصائص العربية؛ مما يحوج إلى إعادة النظر في ذلك التقويم .

الكلمات المفتاحية: مناهج اللغويين، التقسيم الزمني والمكاني، تعدد الأنظمة، العرفية والفردية في الدلالة .

Linguistic Methods between the Evaluations of Modernists and the Standards of Linguistics

Prof. Saud bin Abdullah bin Mohammed Al Hussein Al Tamimi

Department of Grammar, Morphology and Jurisprudence of Language,
College of Arabic Language, Imam Muhammad ibn Saud Islamic University

Abstract:

Many Modernists focused on the linguistic methods that the Ancients followed in describing the Arabic systems. Therefore, the authorship was increased in this area and the review what linguists and grammarians wrote become the dominant feature of research and writings in the Arabic sciences in this era in both method and evaluation. The result of this review criticized the ancients' methods, so many books and researches appeared that included a great criticism of the methods of studying Arabic. This abundance of criticism needs to be evaluated and reviewed, based on available standards of modern linguistics, which can have the final say in evaluating that criticism, because the absence of standards in that criticism made it not based on right foundations. The reasons of this, in my opinion, were:

1. The texts that wrote about the methodology and history of science among Ancients are few and scattered.
2. Many of those who wrote about the methods of the ancients were influenced by the linguists' study of modern languages, and they measured one language against another.

This is the problem of the research: numerous criticisms were focused on the methods of linguists and grammarians without considering the standards and characteristics of Arabic; which requires reconsidering that evaluation. This research.

Keywords: Methods of linguists, divisions of time and place – multiple systems.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم- وعلى آله، وصحبه أجمعين، أما بعد...

فلقد اتسم نتاج العصر الحديث العلمي في علوم العربية - لغة ونحواً وصرفاً - بإطالة النظر، وكثرة الكتابات والمؤلفات في موضوعات لم تكن تحظى عند القدماء بعناية كبيرة في وصفها، وتشقيق القول فيها وتفصيله، ألا وهي الحديث عن المنهج، وتاريخ العلم، فالمنهج ووصفه، وتعيينه، والتعليل لجودته، وصحة مبادئه، وسلامة نتائجه، لم يكن ظاهراً في حديث القدماء ظهور ما نتج عن ذلك المنهج من نتاج علمي في ضبط قوانين العربية، ووصف نظامها، وجمع مادتها اللفظية، وكذلك الحديث عن تسلسل الأفكار زمنياً، و تتابع التأليف تاريخاً، فلم يهتم القدماء بتدوين تاريخ علم الأصوات، و تاريخ علم الصرف، و تاريخ النحو، وتاريخ المعجم، اهتمامهم بهذه العلوم ذاتها في وصف أنظمتها، وتحرير القول في مصطلحاتها، و تعيين المحددات الدلالية في حدودها، وعرض تباين وجهات النظر في قضاياها؛ لأن القدماء انصرفوا إلى موضوع العلوم ومبادئها، وضبط النظام اللغوي وصفاً، ومعياراً في جميع مستويات الدراسة اللغوية، صوتاً وصرفاً ونحواً ودلالة، فتوصلوا إلى هذا النتاج الفكري العظيم، و إلى تلك الجهود الضخمة في التأليف -على اختلاف في مستوى النضج فيما توصلوا إليه في تلك المستويات- فما توصلوا إليه في مستوى جمع المادة، ووصف الأنظمة الصوتية، والصرفية، والنحوية، يفوق بكثير ما توصلوا إليه في الجانب الدلالي الذي هو فيما أزعم أضعف حلقات الدراسة العلمية في اللغة

العربية عند القدماء، وحسبي أن أشير إلى المعايير الدلالية التي وضعها بعض القدماء فأدنى تأمل فيها سيظهر عدم إحكام القول في مسائل الدلالة.

صحيح أننا لا نعدم مؤلفات تضمنت حديثاً عن المنهج كقول سيبويه رحمه الله: " وإنما تسمع ذا الضرب ثم تأتي بالعلة والنظائر" ^(١) وكقول أبي عمرو بن العلاء لابن نوفل: " أخبرني عما وضعت مما سميت عربية أيدخل فيه كلام العرب كله؟ فقال: لا، فقلت: كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب؟ قال: أحمل على الأكثر وأسمي ما خالفني لغات" ^(٢) فهذان النصان نموذجان.

للحديث القليل عن المنهجية التي تظهر تطبيقاً وتقل تنظيراً في تراثنا اللغوي، ولو تأملنا النصوص التي تتحدث عن تاريخ علوم العربية، فإننا سنظفر بشيء ليس بقليل، فالتأمل في كتاب كالحصائص لابن جني، والصاحبي لابن فارس، والاقتراح والمزهر للسيوطي، ومقدمة تهذيب اللغة التاريخية لعلم اللغة التي وضعها الأزهرى، سيظفر بحديث عن المنهج، وعن تاريخ العلوم اللغوية. ولكن هذه الجهود وغيرها ضئيلة رغم أصالة ما فيها، إذا قيست بالنتائج العلمية في علوم العربية ذاتها معجماً و أصواتاً وصرفاً ونحواً.

وفي العصر الحديث انصبَّ الاهتمام كثيراً عند المحدثين على المنهج والتاريخ، فكثرت التأليف فيهما فصارت السمة الغالبة على البحوث والمؤلفات في علوم العربية، هي إعادة النظر فيما دونه اللغويون والنحاة منهجاً وتاريخاً، ونتج عن إعادة النظر هذه الاشتغال بالمنهج وتاريخ العلم، فظهرت مؤلفات وبحوث كثيرة

(١) الكتاب ٦٢٣/٣.

(٢) المزهر ١٤٦/١.

،أغلبها تتضمن نقداً عظيماً غير مقبول ،وغير قائم على أسسٍ صحيحة لما صنعه القدماء، ولما قرروه وتوصلوا إليه، وكان سبب هذا فيما أرى:

١. أنّ النصوص التي تتحدث عن المنهج، وتاريخ العلم، عند القدماء قليلة ومتناثرة، وحينما رجع إليها الباحثون في هذا العصر صاروا في موقف من يفسر، ويستظهر معالم المنهج، فأضحى الحديث عن مناهج القدماء مجالاً للاجتهاد الفردي في التفسير، وعرضةً للتصور الخاطئ، والتقويم الجائر.

٢. أنّ كثيراً ممن تحدثوا عن مناهج القدماء تأثروا كثيراً بمناهج علم اللغة الحديث واشتراطاته في دراسات الكلام البشري للغات الأخرى، غير آخذين في حساباتهم خصائص العربية، والقدماء رحمهم الله انطلقوا من لغةٍ لها خصائص مؤثرة في المنهج الذي يجب أن تدرس به اللغة العربية، وهو ارتباط اللغة العربية بالقرآن الكريم والحديث الشريف؛ مما يتطلب حضور المستوى اللغوي لهذين النصين الكريمين، وهذا له تأثيرٌ كبيرٌ في تحديد الهدف من وصف اللغة وتقييدها، ثم في اختيار المنهج المعياري، بعد انقضاء مرحلة الوصف.

ولم أطلع على دراسة سابقة وضعت ذلك التقويم والنقد لمناهج القدماء أمام ما استقر في علم اللغة الحديث، وخصوصاً عند دي سوسير في ميزان المعايير وإعادة النظر، وقد بذلت جهدي في تلك المعايير، مقتصرًا على بعض القضايا والأمور التي تعرض لها المحدثون، فحكموا على مناهج القدماء بحكم أرى أنه يخالف ما تقرر في علم اللغة الحديث، وذلك للإجابة عن تساؤلات البحث وهي:

١/ هل منهج نحاة العربية في توظيف كلام العرب، لوصف النظام اللغوي كان سليماً؟ وهل لجعل ما قلّلت في الكلام نماذجها في دائرة الفردية لا العرفية، أثرٌ على سلامة ذلك التوظيف؟

٢/ هل تعدد صور الكلام، يجب أن يؤدي دائماً إلى القول بتعدد الأنظمة، بغض النظر عن كثرة الكلام وقلته؟

٣/ هل كلُّ تغييرٍ في الكلام ، وتحولٍ إلى مستويٍ لغويٍّ جديد ، يجب بناءً عليه تجديد وصف النظام وتغيير القواعد، دون اعتبار لخصائص اللغة ، ودون خضوع للغاية التي توجب اصطفاءً مستويٍ معين من اللغة؟

٤/ أليس في إدراك اللغويين العرب للفرق في الدلالة بين الفردي والعرفي ، ما يجلي بوضوح المنهجية التي انطلقوا منها لمعالجة قضايا العربية ووصف أنظمتها . إنّ هذه الأسئلة هي التي استدعت الإجابة عليها أن أجعل البحث في أربعة مباحث هي:

المبحث الأول : توظيف الكلام ، وتقسيم المسموع قلة وكثرة.

المبحث الثاني : تعدد الكلام، وتعدد النظام.

المبحث الثالث: التغيير في الكلام، وتغيير النظام.

المبحث الرابع: الدلالة بين الفردية ، و بين العرفية النظامية.

راجيا من الله سبحانه التوفيق والسداد نعم المولى ونعم النصير.

تمهيد

إنّ المنهج في الاصطلاح، لا يتعد عن معناه العرفي المعجمي الذي قرره اللغويون مما تعارفت عليه العرب، يقول ابن فارس رحمه الله: "النون والهاء والجيم أصلان متباينان؛ الأول: النهج: الطريق، ونهج في الأمر أوضحه، وهو مستقيم المنهاج، والمنهج: الطريق أيضاً، والجمع المناهج"^(١)، ويقول الجوهري: «هو الطريق الواضح»^(٢).

ويعرف د. عبد الرحمن بدوي المنهج تعريفاً اصطلاحياً لا يتعد عن هذا، يقول: «الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم، بواسطة طائفة من القواعد العامة تهيمن على سير العقل، وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة»^(٣). إنّ المنهج من خلال هذا التعريف هو الطريق الذي يسلكه اللغوي والنحوي للوصول إلى وصف النظام اللغوي، وتحديد سماته، وهذه المنهجية لم تكن غائبة عن القدماء، بل كانت حاضرة وإن لم يتحدثوا عنها بوصف وتعيين. إنّ الباحث حينما يرى صنع الخليل وسيبويه -رحمهما الله- في العين والكتاب سيتضح له أنّ المنهج حاضرٌ عند تأليف الكتابين، فلقد وضع الخليل منهجه على طريق العرف والعادة الاجتماعية للعربية، وتنكّب طريق الفرد في الكلام؛ ولذا جمع الألفاظ في دلالتها العرفية الاجتماعية، وترك الدلالة التي منشؤها تصرف الفرد مجازاً وأسلوباً كما سيأتي، كما أنّه في المشتقات ركّز على ما يؤخذ

(١) مقاييس اللغة نهج ٣٦١/٥.

(٢) الصحاح - نهج.

(٣) مناهج البحث العلمي ٥.

حفظاً وسماعاً (قائمة) ، ولم يلتفت إلى جمع ما يؤخذ عن طريق القواعد الصرفية كتصريف الأفعال ، والاشتقاق الصغير، وقد صار منهجه هذا منهجاً ومبدأً عاماً، أخذ به اللغويون بعده في المعجم العربي.

وإذا نظرنا في كتاب سيبويه رحمه الله ، فإنّ معالم المنهج ظاهرة واضحةً عنده من خلال العمل في وصف اللغة، لا من خلال وصف المنهج الذي اتبعه وارتضاه، وإنّ كنّا لا نعدم عباراتٍ وثيقة الصلة بالمنهج ، كقوله: «وإنّما تسمع ذا الضرب ثم تأتي بالعلّة والنظائر»^(١) وما صنعه سيبويه رحمه الله من دقة في الوصف، وتعليلٍ للأحكام ، وضبطٍ لبعض ما قد حدّ من المصطلحات بعباراتٍ وألفاظٍ ضابطةٍ جامعةٍ مانعةٍ، يدلّل على أنّ المنهج حاضرٌ متبعٌ، ومن أوضح الأمثلة على هذا، تلك الحدود التي وضعها للمهموس والمجهور مثلاً.

فقد قال معرّفاً للمجهور: "فأما المجهورة : حرفٌ أشبع الاعتماد في موضعه، ومنع النَّفس أن يجري معه ، حتى ينقضي الاعتماد عليه ، ويجري الصوت... وأما المهموس: فحرفٌ أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النَّفس معه، وأنّ تعرف ذلك إذا اعتبرت فرددت الحرف مع جري النفس"^(٢).

ففي هذا التعريف للمجهور والمهموس، تظهر الملامح المميّزة لكل صنف، وتظهر لغة العلم الموجزة المختصرة الجامعة المانعة، فالمجهور والمهموس صوتان - إلا أنّ هذا أشبع الاعتماد في موضعه ،والآخر ليس كذلك، وهذا جرى وجرى النَّفس معه، وذلك جرى الصوت ، ولم يجر النفس معه، فلا نفس إلا بعد

(١) الكتاب ٦٢٣/٣.

(٢) الكتاب ٤٣٤/٤.

انقضاء الصوت، ثم أورد التدليل بامتحان واختبارٍ تجريبي يظهر الفرق ويبرزه، وهو ترديد الحرف مع جريان النفس في المهموس.

إنّ الوصول إلى ضبط قوانين العربية ذلك الضبط الشامل في مستويات الدرس اللغوي صوتاً وصرفاً ونحواً ودلالةً، ما كان له أن يكون ويظهر، ويمثّل علوماً لها حدودها وقواعدها وعللها وأقيستها، لولا وجود المنهج، إنّ حضور المنهج السليم وتحكيمه، هو الذي يوصل إلى نتيجة موفقة وصائبة في وصف أنظمة اللغة، لا بل في الدراسة العلمية في كلّ الفنون، والمنهج العلمي القويم له خصائص وسمات، يقول ديفيد كريستال ملخصاً معالم المنهج القويم : " الوضوح التام ،والانتظام ،والثبات ،و الموضوعية^(١)، وإذا كان المنهج عند النحاة واللغويين قد تعرّض للنقد كثيراً، إلا أنّ الأمر في هذا العصر لم يقف عند حد النقد، بل وصل إلى درجة تنفي أن يكون عند القدماء منهج أصلاً، يقول د. محمد عيد -رحمه الله- وهو يتحدث عن المنهج ويقرر مفهومه: المنهج: الطريق الواضح كالمنهج والمنهاج وإنما يكون الطريق واضحاً علمياً إذا فكّر فردٌ أو جماعة من الأفراد في تحقيق هدفٍ لهم، فتصوروا قبل البداية حلاً يعتمد على أسس متكاملة محكمة التدبير، يترقى بهم تحقيقها من موقفٍ لموقف، فكّلما تقدموا خطوةً خطوةً اقتربوا من هدفهم حتى يصلوا إلى الحلّ النهائي الحاسم لما يريدون، وهذه الطرائق الواضحة تحققت الآن في كثيرٍ من الدراسات الإنسانية والتجريبية.... ولا أظنّ أنّ علماء النحو واللغة قد حدث منهم مثل ذلك التدبير المحكم، فقرروا لهم خطةً أو نظريةً اتبعوها وساروا على قوانينها في درس اللغة، واستنباط

(١) أضواء على الدراسات اللغوية د نايف خرما ١٢٥.

القواعد منها" (١)، وهذا الكلام الذي نفى به د محمد عيد رحمه الله المنهجية عن صنيع النحاة واللغويين كلاماً مرسلٌ بلا تثبّت ولا تحقّق، فهل يمكن لدارس يرى دقّة تفريق لغويي العربية بين العلوم ودقّة وصفهم لميادينها، و جعل كلّ قضية ومسألة في بابها أن ينفي المنهجية عن صنيعهم؟ إنّ أوّل كتاب في المعجم العربي، هو كتاب العين للخليل، وهو نموذجٌ لحضور المنهجية الواضحة عند اللغويين والنحاة، و خصوصاً إذا تأمل فيه المتأمل في وضع مادته وترتيبها وشرحها وطبيعتها، ليت الذي يقرّر انعدام المنهجية عند القدماء تساءل عن نضد الكلمات وترتيبها وإخضاعها للجذر، مع أنّ فيها ما هو مشتق، وفيها ما هو جامد، و ليته نظر في سرّ اختيار دلالات والاعتناء بها - وهي الدلالات العرفية التي يعيّن السياق ويحددها، وعدم التعرض لأخرى، وهي الدلالات التي يفرضها السياق ويستحدثها الموقف الكلامي، وهي الدلالات المجازية، ومعاني النصوص الإجمالية، لو تأمل وفكر القائل بنفي المنهجية عن صنيع اللغويين لوجد أنّ المنهجية هي التي دفعت لذلك، وليس سوى ذلك شيء. ولقد كثر من اللغويين المحدثين الحديث عن منهجية علماء العربية، و نقدها نقداً اتسع، و تتابع تتابعاً يستدعي العودة إليه وتقويمه، لأنّه من غير المقبول، ولا المعقول، أن نسمع صوتين متقابلين للحديث عمّا توصل إليه لغويو العربية ونحاتها: صوتٌ هو صوت إكبار، وإعجاب بتلك الجهود التي بذلت في وصف أنظمة العربية صوتاً وصرفاً ونحواً، وجمع مادتها اللغوية ونصوصها، وصوتٌ هو صوت النقد، والتعنيف للمنهج الذي اتبعه النحاة واللغويون، يقول د نايف خرما: "

(١) رواية اللغة والاحتجاج بها ص ١٠٢.

أما ما يتعلق بقواعد اللغة، فقد قدّم سيبويه خدمةً كبيرةً للغاية في كتابه المعروف بالكتاب، والذي أصبح المرجع لمن أتى بعده من اللغويين، وعلى الرغم من أنّ المنهج الذي اتخذه سيبويه في دراسته للغة العربية منهجٌ وصفيٌّ في معظمه..... إلا أنّه وقع في نفس الأخطاء المنهجية التي وقع فيها النحويون الإغريق والرومان من قبل^(١) إنّ مثل هذا الوصف الذي يجمع ثناءً على الجهد المبذول في وصف اللغة وأنظمتها، و يقرُّ بتبريز منقطع النظير آنذاك في جمع مادتها، ثم ينبري ناقداً للمنهج عائباً له ونافيماً لوجوده - وهو كثيرٌ مستشّرٍ عند المحدثين - لحرّيٍّ في رأيي بإعادة النظر والدراسة، وليس بأقلّ من هذا ما نجده من تناقضٍ في تقويم ذلك المنهج، فما يعدّ عند بعض المحدثين عيباً في المنهج، مثل التوسّع في دائرة المسموع لكثير من القبائل، هو عند البعض الآخر يعدّ تقصيراً؛ لأنّه لم يشمل كلّ ما نطقت به القبائل العربية، وإنّ تباين مستوى وتغيُّر، وما نقرأه من اعتزازٍ بتلك الجهود العظيمة المبذولة في وصف اللغة في ذلك الزمن المتقدم، يخالطه ذمٌّ للمنهج حيناً بل نفْيٌ لوجوده أصلاً، وذلك في كلام مضطرب متناقض عن تقرير منهج القدماء، في دائرة تتسع مع تقدم الزمن، ويكثر فيها الخائضون والمقومون في عصرنا الحاضر.

(١) أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ٩٨-٩٩.

المبحث الأول: توظيف الكلام وتقسيم المسموع قلة وكثرة

إنَّ الأساس الأوَّل في المنهج الذي اتَّخذه اللغويون والنحاة في وصف العربية، وتحديد أنظمتها هو التعويل على المحسِّ المسموع القابل للملاحظة، وهو الكلام؛ فاللغة موجودةٌ بالفعل في عقول المتكلمين، في صورة نظامٍ متعارفٍ عليه بين المتكلمين، وصورة ذلك النظام هي الكلام الذي ينطلق مما تُعَوِّف عليه واصطُلِحَ عليه من الأنظمة- ولولا الانطلاق مما تُعَوِّف عليه لما تمَّ التفاهم، ولا ريب في أنَّ الاستغناء في الدراسات العلمية عن دراسة الأشياء المجردة، بدراسة الأشياء الظاهرة أسهل وأجدي لأنَّه أقرب تناولاً وأيسر ملاحظةً، وقد عرَّف ابن جني اللغة منطلقاً مما هو ظاهرٌ منها، فقال: «اللُّغة أصواتٌ يعيَّر بها كلُّ قومٍ عن أغراضهم»^(١)، ويقول ابن خلدون: «اعلم أنَّ اللغة في المتعارف عليه هي عبارة المتكلِّم عن مقصوده، وتلك العبارة فعلٌ لسانيٌّ ناشئٌ عن القصد بإفادة الكلام، فلا بدَّ أنْ تصير ملكةً متقررةً في العضو الفاعل لها، وهو اللِّسان، وهو في كلِّ أمةٍ بحسب اصطلاحاتهم»^(٢).

وقول ابن خلدون -رحمه الله- «وهو في كلِّ أمةٍ بحسب اصطلاحهم» أحسب أنَّها إيماءٌ متميزةٌ والتفاتٌ رائعةٌ، إلى الحقيقة التي توصل إليها المحدثون في اكتمال معالم التفريق بين اللُّغة، وبين الكلام وإيضاحها، فالتَّفَقُّ والمصطلح عليه، هو النظام الذي إنَّ مثله الأداء الفرديُّ بغير مخالفة فهو صورة اللُّغة، وإنَّ خالفه بقي في جانب الفرد، وهذا هو الأسلوب، وليس اللُّغة، يقول دي

(١) الخصائص ٣٤/١

(٢) تاريخ ابن خلدون ٧٥٣/١.

سوسير: «إنَّ الفصل بين اللُّغة والكلام ،يعني الفصل بين ما هو اجتماعي وما هو فردي، فاللُّغة ليست وظيفة الفرد، بل هي نتاجٌ يهضمه الفرد بصورة سلبية.. أما الكلام فعلى العكس من ذلك فهو فعلٌ فرديٌّ وهو عقليٌّ مقصود»^(١).

ويقول أيضاً: إنَّ اللُّغة هي أداة الكلام وحصيلته ،ولكنَّ اعتماد أحدهما على الآخر، لا يمنع من كونهما شيئين متميزين تماماً؛ اللغة موجودة على هيئة ذخيرة من الانطباعات مخزَّنة في دماغ كلِّ فردٍ من أفراد مجتمعٍ معين، ويكاد ذلك يشبه المعجم الذي توزَّع منه نسخ على كلِّ فردٍ في المجتمع، فاللُّغة لها وجودٌ في كلِّ فرد، ومع ذلك فهي موجودة عند المجموع»^(٢).

وما توصل إليه دي سوسير ليس غائباً عند القدماء ؛ ولذلك اختلف منهجهم في التعامل مع المسموع من النصوص ،وفي تقدير وظائفها. اختلافاً باينه موقف المحدثين من النصوص المسموعة وتقدير وظائفها، وإذا كان ما توصل إليه دي سوسير له شواهد عملية تدلُّ على أنَّ القدماء كانوا يراعونه في منهجهم ،فإنَّ الإمام عبد القاهر الجرجاني قد صرَّح بالتفريق بين وظيفتي النصِّ، فهو عنده يمثِّل النظام اللغوي من جهة، ومن جهة يمثِّل ملكة الفرد، وإرادته وقدرته في تأليف الكَلِم ونظمها، يقول: اعلم أنَّنا إذا أضفنا الشعر أو غير الشعر من ضروب الكلام إلى قائله، لم تكن إضافتنا له من حيث هو كَلِم وأوضاع لغةٍ، ولكنَّ من حيث تُوجَّي فيها «النظم» الذي يبيِّن أنَّه عبارةٌ عن

(١) علم اللغة ٣٢.

(٢) السابق ٣٨.

تَوْحَّى معاني النحو في معاني الكَلِم، وذلك أَنَّ من شأن الإضافة الاختصاص، فهي تتناول الشيء من الجهة التي تختصُّ منها بالمضاف إليه، فإذا قلت: «غلام زيد»، تناولت الإضافة «الغلام» من الجهة التي تختصُّ منها بزيد، وهي كونه مملوكًا.....

وإذا كان الأمر كذلك، فينبغي لنا أَنْ ننظر في الجهة التي يختص منها الشعر بقائله،

وإذا نظرنا وجدناه يختصُّ به من جهة تَوْحَّيه في معاني الكلم التي ألفه منها، ما توخاه من معاني النحو، ورأينا أنفُس الكلم بمعزلٍ عن الاختصاص، ورأينا حالها معه حال الإبريسم مع الذي ينسج منه الديباج، وحال الفضة والذهب مع من يصوغ منهما الحلِّي. فكما لا يشتهه الأمر في أَنَّ الديباج لا يختصُّ بناسجه من حيث الإبريسم، والحلِّي بصانعه من حيث الفضة والذهب، ولكن من جهة العمل والصَّنع، وكذلك ينبغي أَنْ لا يشتهه أَنْ الشعر لا يختصُّ بقائله من جهة أنفُس الكَلِم وأوضاع اللغة.

وتزداد تَبَيُّناً لذلك بأنَّ تنظر في القائل إذا أضفته إلى الشعر، فقلت: «امرؤ القيس قائل هذا الشعر»، من أين جعلته قائلاً له؟ أمِنْ حيث قال بالكَلِم وسمعت ألفاظها من فيه، أم من حيث صَنَعَ في معانيها ما صنع، وتَوْحَّى فيها ما تَوْحَّى؟ فإن زعمت أَنَّك جعلته قائلاً له، من حيث إنَّه نطق بالكلم، وسمعت ألفاظها من فيه على النسق المخصوص، فاجعل راوي الشعر قائلاً له، فإنَّه ينطق بها، ويخرجها من فيه، على الهيئة والصورة التي نطق بها الشاعر، وذلك ما لا سبيل لك إليه.

فإن قلت: إنّ الراوي وإن كان قد نطق بألفاظ الشعر، على الهيئة والصورة التي نطق بها الشاعر، فإنّه هو لم يبتدئ فيها النسق والترتيب، وإنّما ذلك شيء ابتدأه الشاعر، فلذلك جعلته القائل له دون الراوي^(١).

إنّ هذا النص في تراثنا لجدير بالاحتفاء به، والاستفادة منه، فهو أوّل نص في تراثنا العربي يُدرك ما توصّل إليه دي سوسير -حسب علمي- ولو انطلق منه الباحثون المحدثون من العرب عند حديثهم عن مناهج علوم العربية وتاريخها؛ لما قرروا ما لا يقبله العقل، والمنطق الطبيعي للأشياء، ولما عادوا باللائمة التي لا مبرر لها، والنقد غير الصائب لما قرره القدماء منهجاً وتعليلاً. وقد وضع د. نايف خرما العلاقة بين اللغة والكلام توضيحاً متميزاً فقال: «إنّ الكلام عمل، واللغة حدود هذا العمل، والكلام سلوك، واللغة معايير هذا السلوك، والكلام نشاط، واللغة قواعد هذا النشاط، والكلام حركة، واللغة نظام هذه الحركة، والكلام يُحسّ بالسمع نطقاً، وبالبصر كتابة، واللغة تفهم بالتأمل في الكلام»^(٢).

ولقد عوّّل النحاة واللغويون على وصف أنظمة اللغة العربية من خلال الكلام، يقول د. نوزاد أحمد: «والاتجاه الذي اهتدى به سيبويه إلى دراسة اللغة، هو أنّ اللغة يبرز وجودها من خلال الاستعمال، أي التداول الفعلي لها، ويتضح من العبارات التي يستخدمها في كتابه تحديد هذه الخصيصة»^(٣).

(١) دلائل الإعجاز ٣٠٣.

(٢) أضواء على الدراسات اللغوية، ١١٦.

(٣) المنهج الوصفي في كتاب سيبويه، ٤٢.

إنّ اتخاذ المنطوق بالفعل والاستعمال سمةً وعلامةً على النظام اللغوي الباطن حق لا مرأى فيه، واتخاذ وصف اللغة بأنظمتها المتعددة من خلال المنطوق أمرٌ طبيعيٌّ فطريٌّ لا إخال أحداً ينازع فيه، وعلى هذا فالنصّ هو وجه اللغة الظاهر، وهو ميدان دراستها و وصفها، وإذا كان القدماء والمحدثون من اللغويين فيما أعلم مجمعون على أنّ النصّ هو وجه اللغة الظاهر، والناس لا يتكلمون إلاّ بجملٍ ونصوصٍ، فهل اللغويون متفقون على النظرة إلى أبعاد النصّ؟ وما المستوى الذي يكون منه معياراً للنظام؟

إنّ الإجابة على هذا السؤال هي مبدأ التباين بين القدماء والمحدثين في مدى توظيف النصوص شواهد وحججاً عند وصف الأنظمة، لقد كان القدماء كما قلت يميزون بين ما للفرد، وما للمجتمع من النصوص والشواهد، فهم يفرقون بين عمل الفرد وأدائه، وبين ما استقرّ عليه النظام العرفي، فاستبعدوا في اللغة والمعجم كلّ خروج بالدلالة عن الدلالة العرفية، فلم يدونوا في المعجم كلّ انحراف مجازي استعاري عند جمع الألفاظ، يقول ابن الأثير: إنّ المرجع في هذا وما يجري مجراه إلى أصل اللغة، التي هي وضع الأسماء على المسميات. ولم يوجد فيها أنّ الوجه المليح يسمى شمساً، ولا أنّ الرجل الجواد يسمى بحراً، وإنّما أهل الخطابة والشعر توسعوا في الأساليب المعنوية، فنقلوا الحقيقة إلى المجاز، ولم يكن ذلك من واضع اللغة في أصل الوضع؛ ولهذا اختصّ كلّ منهم بشيء اخترعه في التوسعات المجازية^(١).

(١) المثل السائر ٨٧.

والنحويون لم يعالجوا الأدوات والجمل بحسب ما تؤول إليه عند تداول الخطاب، بحسب أغراض الناطقين الفردية، ففعل الأمر وأسماء الاستفهام لو أخرجها السياق إلى دعاء، أو تعجب فإنهم يصفونها بحسب ما استقر لها في العرف، لا بحسب خروجها من العرف إلى مراد الفرد.

وقد أشار إلى هذا ابن هشام - رحمه الله - حين عرض لأغراض المتكلم في الحذف والذكر، فقال: الحذف الذي يلزم النحوي النظر فيه، هو ما اقتضته الصناعة؛ وذلك بأن يجد خبراً بدون مبتدأ أو بالعكس، أو شرطاً بدون جزاء أو بالعكس، أو معطوفاً بدون معطوف عليه، أو معمولاً بدون عامل...، وأما قولهم في نحو «وسراييل تقيكم الحر» إن التقدير والبرد... ففضول في فـ النحو، وإنما ذلك للمفسر، وكذا قولهم يحذف الفاعل لعظمته وحقارة المفعول، أو بالعكس، أو للجهل به، أو للخوف عليه، أو منه، ونحو ذلك، فإنه تطفل منهم على صناعة البيان^(١).

إن معرفة النحاة واللغويين لوظيفة النص، وهو أنه تمثيل للنظام اللغوي، وتمثيل لإرادة المتكلم، وملكته، ومقدرته، هو الذي جعل النحاة واللغويين يوظفون النص التوظيف السليم فهم يستدلون به على جعله ممثلاً للنظام اللغوي الكامن في أذهان الجماعة، إن وافق بناؤه بناء كلام المتكلمين باللغة أو أكثرهم، فإن خالف بناؤه بناء كلام المتكلمين أو أكثرهم قصره على

(١) مغني اللبيب ١/٨٥٣.

الأفراد متكلمين أو رواة، ولذا لم يتحرّجوا في وصف بعض ما سمعوا بأنّه غلطٌ أو سهوٌ، يقول الخليل رحمه الله:

«وملّيت السّويق، ومن العرب من يقول ملّأت السّويق، وهذا غلط»^(١).

ويقول:

«ويقال للرجل الشجاع : ما يُفري فَرِيه، خفيفةً، ومن ثَقُل فقد غلط»^(٢).

ونسب رحمه الله الغلط إلى الراوي أحياناً فقال:

«النّسُ: السّوق اللطيف، ومن روى بسّاً فقد غلط، لأنّ البسّ من البّسيس وهو دقيق يُلْتُ بالسّمن»^(٣).

وهذا الأمر قد فعله سيبويه -رحمه الله- فنسب الغلط إلى المتكلم والراوي،

وحيناً إلى بعض الأحياء من العرب، فقال:

«ومن العرب من يقول في ناب: نُوب فيجيء بالواو... وهو غلط

منهم»^(٤)، ويقول: «واعلم أنّ ناساً من العرب يغلطون فيقولون: إنّهم أجمعون

ذاهبون»^(٥) وعندما ذكر الفراء -رحمه الله- صنّع العرب في «ملّأت» السابقة

قال: هو من غلطٍ قد تغلّطه العرب»^(٦).

(١) العين حلو ٢٩٥/٣.

(٢) العين فرو ٢٨٠/٨.

(٣) السابق خير ٢١١/٤.

(٤) الكتاب ٤٦٢/٣.

(٥) السابق ١٥٥/٢.

(٦) معاني القرآن ٢١٦/٢.

ويقول: «وجاء عن الحسن (الشياطون) وكأنّه من غلط الشيخ، ظنّ أنّه بمنزلة المسلمين والمسلمون»^(١).

وقد نسب رواة الحديث إلى المحدّثين أغلاطاً كثيرة، وكانوا قسمين: فمنهم من يصلحها، ومنهم من كان يقيها على نحو ما كانت عليه^(٢).

إنّ نظرة النحاة واللغويين إلى النصّ وهو أنّه صورة لأداء صاحبه، فربما أخرجه على النظام المألوف، فيكون حينئذٍ صورة للنظام، وربما غلط فيه راوياً أو منشئاً فأخرجه على غير المألوف مما لا يطابق النظام، فيكون غلطاً أو سهواً وقياساً خاطئاً، هذه النظرة هي السائدة عند اللغويين والنحاة؛ لإدراكهم لوظيفة النصّ، ولإدراكهم بأنّ النصوص عند إنشائها إنّما هي أداء الفرد وعمله؛ ولذا قرروا قواعد اللغة ووصفوا نظامها من خلال ما كثرت نماذجه، وما قل حملوه على الغلط والسهو و ردوه للقواعد بالتأويل، و منهج النحاة هذا ليس بمستغرب فيما تقرر في علم اللغة الحديث، فعلم اللغة الحديث يقرر:

١. اللسان له جانب فردي، وجانب اجتماعي، ولا يمكن أن نتصور أحدهما بغير الآخر^(٣).

٢. أنّ اللسان ينطوي على نظام ثابت، كما ينطوي على عملية التطور^(٤).

(١) السابق ٢/٢٨٥.

(٢) ينظر هذا في الكفاية في علم الرواية ١/١٨٦.

(٣) علم اللغو دي سوسير ٢٦.

(٤) السابق ٢٧.

٣. أنّ النظر إلى اللغة والكلام من وجهة نظر واحدة أمر بعيد عن الحقيقة^(١).

٤. أنّ الكلام هو السبب في تطور اللغة^(٢).

إنّ هذه المبادئ المقررة في علم اللغة الحديث، والتي هي في تقديري معايير صائبة، لا يعارضها بل يوافقها و يماشئها ما قام به النحاة واللغويون الأقدمون في منهجهم، حين نظروا إلى أنّ الكلام صورة للنظام الذي يُعْنون بوصفه، وتحديدده، ووضع القواعد له، وهو في هذا من اهتمام اللغوي والنحوي، وهو أيضاً صورة لأداء الفرد وأغراضه، ومقاصده، وهو في هذا تعبير عن ملكاته وأسلوبه، وهو حينئذٍ محل عناية البلاغيين، وأهل الأدب، والأسلوب، وغيرهم ممن تتسع دائرة مباحث الدلالة لاحتوائهم من أصحاب الاختصاصات غير اللغوية.

ولكنّ المحدثين من الدارسين الذين جاؤوا في هذا الزمن الذي اتضحت فيه معالم الكلام واللغة اتّضحاً لا جدال فيه، هم الذين أخطؤوا فتصوروا أنّ النصوص من منشئها ورواتها لا مجال فيها لقدرات الفرد وملكاته - وأنّ المنشئ والراوي ينطلقان من سليقة وحفظ، لا يمكن أن يتطرق إليها الخلل، وهذا خطأ بيّن، ومن هنا ظهرت أقوال كثيرة في علم اللغة عند المحدثين منذ أن حصل الاهتمام بالتأليف في تقويم النحو، واللغة، وتاريخهما، تدم منهج النحاة واللغويين، حين يعدون ما انفرد به المتكلم أسلوباً وينعتونه أحياناً بالخطأ و

(١) السابق ٣٨.

(٢) السابق.

اللحن ،وقد كان في القدماء من يرى هذا لكنهم قليلون، يقول د. أحمد مختار عمر متحدثاً عن رؤية ابن ولاد رحمه الله: «لا يصح الطعن على العربي أو رميه بالّلحن أو الخطأ ،أو تقديم القياس النظري على المادة اللغوية المسموعة»^(١) ، وأما في العصر الحديث فقد كثر لوم المحدثين للقدماء عندما وسموا بعض ما ورد عن العرب بأنه خطأ ،والنحاة واللغويون لم يغلّطوا بناء على القياس النظري، وإنما يغلّطون مثلاً واحداً ،وقول متكلم واحد، في مرآة كلام العرب أجمع، ولا يمكن أن يكون نصّ الواحد معادلاً حال انفراده لنصوص الأمة كلها، وعدم المعادلة في هذه الحال هي ما تقتضيها حقيقة حال النص عند انفراده وتشكيله نموذجاً واحداً، و هو في هذه الحال التي لا يوافق فيها النظام العام أداء فردي خرج به منشؤه عن النظام اللغوي العام(أسلوب).

ويقول د مهدي المخزومي متحدثاً عن تغليب النحاة لبعض الفصحاء، ومغلظاً في ذلك النقد المنهجي: ولا نرى هذا إلا لغو الكلام، إنهم يجهلون أنّ اللغة سليقة، وطبيعة ،ويجهلون أنّ صاحب اللغة لا يغلط في لغته، لأنّها جزء من حياته التي فطر عليها، وعادة من عاداته التي نشأ عليها، وإذا كان الجاهليون يغلطون، والمخضرمون يغلطون، والإسلاميون يغلطون فعلى من بعد هؤلاء يعتمد النحاة؟ وبماذا يحتجون؟ ومن أين جاؤوا بهذه الأصول التي وضعوها، والقواعد التي استنبطوها؟" (٢) إنّ كلام د مهدي هذا ،كلام من لم يستحضر عند قوله هذا الكلام ،حال الفرد ،وتصرفاته ،مع جميع الأنظمة

(١) البحث اللغوي عند العرب ١٥٦.

٢- مدرسة الكوفة ٥٥.

والمعتقدات والأعراف الاجتماعية الأخرى، فالفرد في جميع العادات لن يكون تصرفه صورة مطابقة لما في المجتمع على كلِّ حال، وما اللغة إلا عادة من العادات، وكما ينحرف الفرد في جميع العادات، فيأتي بما ليس صورة مطابقة لما عليه المجتمع، كذلك الحال في أمر اللغة، فالفرد قد ينحرف سهواً أو غلطاً فيعبر بما ليس بمألوف، فالغلط أمر يطرأ على لسان الفرد، وعلى جميع تصرفاته وأفكاره، ولا غرابة في ذلك فهذه طبائع البشر، فمبدأ وسم كلام الفرد بالخطأ والغلط في وجهة نظري أمر لا يستبعد، لأنَّ الفرد في عباراته وجمله التي ينشئها لا يقف موقف من يكرّر ما سمع عندما يتكلم، بل إنَّه يعبر بجمل جديدة لم تُسمع من قبل، وهذا هو ميدان احتمال الغلط والخطأ، إنني لست في صدد مناقشة الحكم على الأمثلة السابقة التي وسمت بأنّها خطأ، ومدى صواب الحكم باللحن في تلك الأمثلة، التي قد يلام النحاة على القول بالتخطئة فيها؛ لكونها روايات مشهورة متداولة، لكن الذي أريد تقريره بأنَّ مبدأ الغلط غير مستبعد من الأفراد، فاللغة ليست إلا واحدة من العادات التي يزاولها الفرد في حياته، وقد يخرج عن المألوف فيها، إنَّ المنهج العلمي السليم الذي تدرس به جميع الأنظمة الاجتماعية ومنها اللغة، والذي ينبثق من تلك المعايير، هو تقرير احتمالية وقوع الخطأ من الفرد، لا القول باستبعاد حدوث الخطأ والغلط منه؛ ولذلك فإنَّ وسم منهج اللغويين والنحاة عند القول بغلط بعض الفصحاء، و الحكم بتوهمه بأنه خطأ منهجي، ليس بصحيح في تصوري.

المبحث الثاني: تعدد الكلام وتعدد النظام

إنّ الكلام هو الصورة الظاهرة للغة، والكلام هو مجموعة النصوص التي أنتجها المتكلمون، والنحاة واللغويون قد اعتمدوا مصادر النصوص، وهي القرآن الكريم، وقرآته والشعر وأقوال العرب و الحديث الشريف، واتخذوا من هذه النصوص مادة يعتمد عليها في وصف النظام اللغوي والنحوي، ولذلك جمعوا نصوص العربية التي رويت عن عرب الجاهلية والإسلام وتلقّفوها من أفواه الفصحاء في زمن السماع، واتخذوها حجة، فلا يفاضلون بينها إلا أن يكثر هذا ويقلّ ذاك، يقول ابن جني^(١):

اعلم أنّ سعة القياس تُبيح لهم ذلك، ولا تحظره عليهم، ألا ترى أنّ لغة التميميين في ترك إعمال «ما» يقبلها القياس، ولغة الحجازيين في إهمالها كذلك؛ لأنّ لكل واحد من القومين ضرباً من القياس يؤخذ به، ويُخلد إلى مثله. وليس لك أن تردّ إحدى اللغتين بصاحبتهما؛ لأنّها ليست أحقّ بذلك من رسلتهما. لكن غاية مالك في ذلك أن تتخيّر إحداها فتقويها على أختها، وتعتقد أنّ أقوى القياسين أقبل لها، وأشدّ أنساً بها. فأما ردّ إحداها بالأخرى فلا. أو لا ترى إلى قول النبي -صلى الله عليه وسلم: «نزل القرآن بسبع لغات كلها كافٍ شافٍ».

هذا حكم اللغتين إذا كانتا في الاستعمال والقياس متدانيتين، متراسلتين، أو كالمتراسلتين.

(١) الخصائص ٢/٢٢٠.

فأما أن تَقِلَّ إحداها جدًّا وتكثر الأخرى جدًّا، فإنك تأخذ بأوسعهما رواية ،وأقواهما قياسًا، ألا تراك لا تقول: مررت بك ولا المال لك، قياسًا على قول قضاة: المال له ومررت به، ولا تقول أكرمْتُكِش ولا «أكرمْتُكِس» قياسًا على لغة من قال: مررت بكش، وعجبت منكس.

ويقول ابن الأنباري: «وأدلة صناعة الإعراب ثلاثة: نقل، وقياس، واستصحاب حال؛ فأما النقل فالكلام العربي الفصيح، المنقول النقل الصحيح الخارج عن حدِّ القلة إلى حدِّ الكثرة»^(١) وهذا المنهج في اعتماد المسموع تتساوى فيه المدارس النحوية واللغوية^(٢) وهو منهج يتسم بـ:

١. الاتفاق مع المبدأ اللغوي القائل: إنّ اللغة نظام صورته النص.
٢. أنّه ليس بإمكان اللغوي، أن يقول: إنّ هذا النص أولى من هذا النص في تمثيل النظام اللغوي دون داع خارجي عن النص، وهو الكثرة والقلة.
٣. أن هذا المنهج عام اتبعه القدماء، ولم يحيدوا عنه، بل اتفقوا عليه، ورأوا أنّ كل المسموع الفصيح، جدير بالأخذ به، ما لم يَقِلَّ أو يعترضه لحن أو سوء أداء.

وإننا حين نعرض هذه الأصول الثلاثة على الفكر النحوي واللغوي في العصر الحديث نجد إجماعًا على أنّ النص هو صورة النظام، وبعد ذلك يظهر التباين الغريب الذي لا يتماشى مع ما يتطلبه المنهج العلمي من الشمولية،

(١) الإعراب في جدل الإعراب ٤٥.

(٢) ينظر أصول التفكير النحوي د أبو المكارم ٣٤، النحو والنحاة المدارس والخصائص ٢٥٠-٢٥٢.

ولا مع ما يتطلبه انعدام المفاضلة بغير القلّة والكثرة، لقد رأى المحدثون أنّ لغة العرب فيها نموذجان؛ نموذج لهجي ونموذج أدبي، يقول د. أنيس -رحمه الله- لسوء الحظ لم يقصروا تقعيد القواعد العربية على مصدر واحد، وهو لغتها النموذجية الأدبية كما كان الواجب، بل أقحموا معها اللهجات العربية القديمة بصفاتها وخصائصها المتباينة، وهكذا حاولوا تقعيد القواعد من عدة مصادر»^(١) وهذا النقد الذي أشار إليه د أنيس رحمه الله يكاد يصير سمةً عامةً عند المحدثين، يسمون بها صنيع القدماء، وبه يعيبون منهجهم وينتقدونه يقول د. السيد رزق الطويل: «وهذه الألوان من النقد التي سأشير إليها، وجهها إلى النحاة كثير من الباحثين المعاصرين، ومنها: عدم ملاحظة النحاة لاختلاف اللهجات العربية، فالنحاة كان يأتيهم السماع، والنقل عن العرب الفصحاء على اختلاف لهجاتهم وقبائلهم، فيسارعون إلى صبّ هذه النقول في قوالب من قواعدهم، وتكون النتيجة الخروج بقواعد، قد تكون مطابقة للواقع اللغوي في قبيلة، ومجافية له في قبيلة أخرى»^(٢) وقد خلص إلى مثل هذا د. علي أبو المكارم رحمه الله حين رأى أنّه في محلّ يمكن معه أن يقوّم الفكر النحوي، فقال: ثمة ظاهرة واضحة في البحوث اللغوية المأثورة عن العرب، وهي ظاهرة تكشف عن فهم خاص للغة، وتدلُّ على تصور محدد لها، تلك الظاهرة هي الخلط بين مستويات الأداء اللغوي واللهجي، دون

(١) من أسرار اللغة ٢٩.

(٢) الخلاف بين النحويين ٤٧٧.

تفرقة بين ما ينسب إلى لهجة من اللهجات القبلية، وبين ما ينتمي إلى اللغة الفصحى، واعتبار الكل لغة واحدة»^(١).

ويقول: «وهكذا أباح لهم منهجهم أن يسمعوا من النساء والصبيان والمجانين أيضاً»^(٢) ثم يقول منتهياً إلى التقويم الذي هدف إليه:

"وقد كان لهذا التصور الخاطئ للغة، آثاره البعيدة في دراستها على تعدد مستوياتها، وتنوع أساليبها، فإن آثار الخلط بين الخصائص المختلفة للغة الفصحى، واللهجات القبلية موجودة في كافة مجالاتها: الصوتية، والصرفية، والنحوية، والمعجمية أيضاً»^(٣).

لقد تصوّر المحدثون تصورات غريبة عن الواقع اللغوي العربي، يتمثل ذلك في:

١. انقسام لغة العرب بين لغة أدبية تقال في المحافل، ولغة أخرى لهجية، وهذا التصور تصور خاطئ، فالعربي ليس له نظامان لغويان، وهو يتنقل بين هذا وذاك، فالأمية هي السائدة عند العرب، والأميون في جميع الأمم لا ينطقون لغتهم بنظامين متباينين، وهل يُتصوّر أنّ أصحاب القصائد من الشعراء المشهورين لهم لسانان؛ لسان أدبي ولسان لهجي، والمواقف تملّي استعمال هذا أو ذاك!!! هذا ما لا صحة له، والتباين اللهجي بين لغات العرب كان أظهره في الأصوات، مما لا تخرجه ولا تمثّله الكتابة، و أكثر القصائد غزلاً، ومدحاً،

(١) تقويم الفكر النحوي ١٧٧.

(٢) السابق ١٧٨.

(٣) السابق ١٨٠.

وفخراً، وراثاً، إنما حُوطبت بها القبيلة، قبل نقلها إلى القبائل الأخرى، وهي تعبير عن معاناة الفرد، وتجاربه في الحياة، قبل أن تكون رسالة للآخرين فكيف يُتصوّر أنه قالها بمستوى لغوي لقبيلة أخرى؟.

٢. أنه ليس باستطاعة اللغوي والنحوي أن يقف موقف المتخبر، الذي يرى أنّ النصوص في قبيلة هي التي تمثّل اللغة، وهي في لغة قبيلة أخرى لا تمثّل اللغة مع عدم تغير مستواها اللغوي، إنّ اللغوي لا حقّ له في هذا، فهل من المعقول أن يصطفي لدراسة موضوع لغوي النصوص الواردة عند قريش، ويتجاهل ما يناظرها في الموضوع ذاته عند تميم!! إنّ المطالبة بهذا ضرب من العجب، ولا أدري كيف استساغ من يُقوّمون الدرس النحوي واللغوي لأنفسهم قول مثل هذا القول!!! مع أن مبدأ الاختيار والاصطفاء من المبادئ المرفوضة في الدرس اللغوي الحديث، ما لم تتعدد المستويات اللغوية، فالمنهج الوصفي يرفض هذا، والمنهج المعياري يعاب لأجل هذا.

٣. أنّ التعدد في مستويات الدرس اللغوي: صوتاً، وصيغة، وتركيباً، ودلالة أمر لا منكر له، بل هو الأصل، يقول أبو الحسن الأخفش -رحمه الله-: «اختلاف لغات العرب إنّما جاء من قبل أنّ أوّل ما وضع منها وضع على خلاف، وإنّ كان عمله مسوقاً على صِحّة وقياس»^(١) والذي قاله الأخفش -رحمه الله- ظاهر في كلام العرب، ولا يمكن للنحوي واللغوي أن يأخذ بهذا دون ذاك - فهل من الممكن أن يقال إنّ الألف عند وصف نطقها تمثّلها لغة الفتح

(١) الخصائص ٣١/٢، المزهر ٤٦/١.

لا الإمالة؟ وهل يقال في المعجم إن أسماء الأشياء في اللغة يمثلها المنطوق عند قريش دون تميم؟

٤. غاب عمن ناقش موضوع الأخذ من جميع القبائل أنَّ العرب جميعاً تداولوا تلك اللغات منذ اجتماعهم في دولة الإسلام، وأنَّها لم تعد خاصة من حيث الاستعمال، وإن كانت خاصة تسميةً ونسبةً، يقول ابن فارس متحدثاً عن اللهجات: وكلُّ هذه اللغات مسمّاة منسوبة إلى أصحابها، وهي وإن كانت لقومٍ دون قوم، فإنَّها لما انتشرت تعاورها كلٌّ^(١)، وهذا المبدأ فطري معروف يدركه المتكلمون باللغة، قبل نشأة علم اللغة والنحو، فالواقع اللغوي في زمن المصطفى صلى الله عليه وسلم يشهد بهذا، ففي حديث المرأتين اللتين ذهب الذئب بابلن إحداهما فتحاكما إلى داود، وسليمان عليهما السلام، فقال سليمان: «أئتوني بالسكين أشقُّه بينكما، فقالت الصغرى: لا تفعل، هو ابنها، فقضى به للصغرى، قال أبو هريرة: والله ما سمعت بالسكين إلا يومئذ، وما كنا نقول إلا المديّة»^(٢) وقراءات القرآن شاهدة على هذه الحال من التعاور اللهجي. ويؤيد هذا حال العرب في اجتماعهم تحت لواء الإسلام في دولة واحدة، وفي مدن واحدة؛ مما يقوّي ويؤيد ما ذكر ابن فارس، فلم يعد هناك فواصل مكانية بين اللهجات، ومن هنا فالقول إنَّ إحدى هذه اللهجات هي التي كان ينبغي أن تكون دليلاً للنظام اللغوي العربي دون سواها قول خاطئ. والنظرة الصواب هي ما أخذ بها النحاة واللغويون، وهي ضرورة الاعتماد في

(١) الصاحبي ٢٧.

(٢) صحيح البخاري ١٦٢/٤.

وصف كلام العرب على المنطوق عند الجميع ، دون التعويل على لهجة معينة، و تصورات هؤلاء الباحثين المقومين والناقلين لمناهج القدماء في العصر الحديث أرى أنها ليست بصواب، بل هي شطط من القول، على أنه لم يقف رأيهم عند حدّ الدعوة إلى اعتماد لهجة دون سواها، بل قد ذهب بعضهم، إلى المطالبة بوضع قواعد لكل لغة، يقول عباس حسن رحمه الله بعد أن أشار إلى منهج النحاة وأنه سبب التناقض والتضارب مقترحاً ما يوجبه الحیطة وأصالة الرأي: «وضع نحو خاص لكل قبيلة، يساير لغتها، ولهجتها، ويلائم لسانها، دون غيرها من القبائل، فيجئ صافياً لا بلبلة فيه ولا اشتراك»^(١) وهذا الرأي وإن أشار إلى بعض مساوئه رحمه الله، يمثل رأي من لم يدرك العلاقة بين النصوص المسموعة والنظام اللغوي، ومن لم يستحضر معيار تفاضل النصوص، ومن يقوم المنهج ويقترحه بناء على تعدد المجتمعات الناطقة بلغة واحدة فقط، دون تصور لمن يتكلمون بقياس على ما نطق في تلك المجتمعات القبلية، إنَّ النصوص في اللغة متعددة، ومعيار التفاضل عند تحكيمها لوصف النظام هو الكثرة والقلة، والذين يتكلمون بقياس من المتأخرين، ليس قياسهم على لهجة قيس، أو تميم، بأولى من قياسهم على لهجة قريش، ولو رُوِّعيت حال الذين يتكلمون بقياس عند من يتحدثون عن المنهج؛ لظهر أنَّ وصف النظام في العربية من خلال النصوص مع استعمال معيار الكثرة والقلة هو الأجدى والأأنفع عائدةً، وهو الصواب منهجاً، وهذا ما كان عليه النحاة واللغويون.

(١) رأي في بعض الأصول اللغوية والنحوية ٥١.

المبحث الثالث: التغيُّر في الكلام والنظام

اللغات لا تثبت على حال، بل لا بد أن يعترئها تغيُّر ما، تغير يجعلك حيناً أمام مستويين لغويين النظام اللغوي فيهما مختلف، وتغيُّر لا يصل إلى هذا الحد، وهو التغيُّر المتصل بالدلالات التي لا تجعلك أمام مستويين لغويين مختلفين، وذلك مثل التغيُّر الدلالي الذي حصل للعربية بانبثاق نور الإسلام فقد تغيَّرت دلالات، وظهرت دلالات، وماتت ألفاظ وهجرت، ولم يقل أحد إننا أمام مستوى لغوي جديد، وصفه لا ينطبق مع وصف المستوى اللغوي بعده؛ لأنَّ أمر الاستعمال في الألفاظ المعجمية والدلالات قائم على سعة الاختيار من المتعدد الذي لا يمكن استعماله كلُّه، ففي جميع اللغات، ما يستعمل من الثروة اللفظية في المعجم أقلُّ بكثير مما يدون في المعاجم، وقد أجمع اللغويون قديماً وحديثاً، على أنَّ الكلام هو صورة اللغة الظاهرة المحسوسة، وهو ينطوي على انتظام وتجانس وتطابق نظامي كبير، ولولا هذا الانتظام لما حدث التفاهم، ولا يؤثِّر على هذا الانتظام، ولا يحول دون التفاهم، وجود عناصر غير متجانسة يستدعيها أداء الأفراد الخاضع للملكات والقدرات والأغراض الفردية.

إنَّ ذلك القدر الكبير من التجانس والانتظام، هو الذي يمثِّل النظام اللغوي الواحد، واللغة الواحدة، وهو الذي يفرض وجوده نوع الدراسة ومنهجها، وهو الذي يصحُّ جعله معياراً للسلامة المنهجية في اختيار النصوص التي يجب أن نجعلها ممثلة للنظام، والنصوص التي يصح استبعادها مما لا يمثِّل النظام.

إنَّ الكلام لو اشتمل على عناصر متعددة متعاقبة، شيء منها حلَّ محل شيء آخر، لكان من الواجب أن تكون الدراسة تاريخية (دياكروني)، ولكنه ما دام متعددًا وليس بمتعاقب، بل يستعمل في جيل واحد فهو متزامن، تستوجب دراسته ووصفه المنهج الوصفي التزامني (السنكروني)، يقول دي سوسير: «لا يدرس علم اللغة الدياكروني العلاقات بين العناصر الموجودة في حالة لغوية، بل [يدرس] العلاقات بين عناصر متعاقبة، يحلُّ كل عنصر منها محل العنصر الآخر بمرور الزمن»^(١)، فدراسة العناصر اللغوية التي حلَّ شيء منها محل شيء في صورة تعاقبية هو ميدان الدراسة التاريخية، وأما الوصف فهو يتعلق بالنظر إلى مستوى لغوي واحد، لا تتسع الفروق بين عناصره، يقول دي سوسير: «ليست الحالة اللغوية في الواقع نقطة، بل فترة من الزمن يكون فيها المجموع الكلي للتغيُّرات الحاصلة ضئيلاً جداً ينحصر في الحدود الدنيا، وقد تضم هذه الفترة عشر سنوات أو جيلاً أو قرناً بل أكثر من ذلك»^(٢).

وليس معنى هذا أنَّ التغير لا يلحظ على اللغة في كل عَقْد أو قرن، إنَّ التغير حاصل بلا شك، ولكن التغيُّرات التي تحيِّم الأخذ بالمنهج التاريخي، إنما هي التغيُّرات الكبيرة التي تجعلنا أمام مستويين لغويين متعاقبين حل أحدهما محل الآخر، وأما التغيُّرات التي لا تمثِّل نظامين متعاقبين، فوجودها لا يمنع من الأخذ بالمنهج التزامني الوصفي، أمَّا حين تتعدد المستويات متعاقبة، فإنَّه لا

(١) علم اللغة ١٦٣.

(٢) السابق ١٢٠.

يمكن اعتبارها عند الوصف تمثّل نظاماً واحداً، وهذا الشيء قد غاب عن بعض المحدثين حينما ناقش مناهج القدماء يقول د غالب فضل: "والذي يظهر أنّه لا يجوز أن نقف بالاستشهاد عند حدّ معين من حيث الزمان والمكان؛ لأنه تستجدُّ تراكيب وصيغ جديدة مع تقدُّم الزمن"^(١)، وهذا كلام غير مقبول في الحديث عن المنهج الوصفي، فمع تعدد المستوى وتعاقبه لا يمكن أن يطبق المنهج الوصفي، وإنّا لو استعرضنا منهج اللغويين والنحاة في العربية القدماء لوجدنا أنّهم حرصوا عند تطبيق المنهج الوصفي على اتحاد المستوى وتقاربه، وهذا ذاته هو ما فعلوه عند وصف العربية في القرن الثاني، فقد اعتمدوا عند السماع على السماع ممن لم تباين اللغة عندهم ما كانت عليه في الجاهلية والإسلام، وأمّا من جدّد عندهم مستوى لغوي، فقد أخذوا بما روي عن أسلافهم وتحافوا السماع منهم، تحقيقاً لذلك المبدأ، ولم أجد وصفاً للمنهج الذي اتبعوه مثل ما قرره الفارابي في كتاب الحروف؛ لأنّ القدماء من النحاة واللغويين تصوروا المنهج، والنظام، وعملوا به، ولكنهم لم يصفوه إلا نادراً، وقد تولّى وصفه الفارابي، وهو أحد تلامذة المبرد في اللغة، وإنّ اشتهر بالفلسفة.

إنّ نص الفارابي الذي تحدّث فيه عن منهج اللغويين والنحاة في تقسيم المسموع، يوضح أن من ذلك المسموع ما رأوه مستوى واحداً، ويمثّل لغة واحدة، ويُنْناول على أنّه تطبيق لنظام لغوي واحد، ومنه ما رأوه متعاقباً يمثّل

(١) الاحتجاج اللغوي بين النظرية والتطبيق ٧٩.

مستويين لغويين مختلفين، فالفارابي في نصّه المشهور يتكلم عن المنهج السليم في اصطفاء النصوص الدالة على نظام المنطوق الفعلي الأصيل الذي من خلاله توصف اللغات يقول: وقد يجب لذلك أن يُعلم من الذين ينبغي أن يُؤخذ عنهم لسان تلك الأمة. فنقول إنّه ينبغي أن يُؤخذ عن الذين تمكّنت عاداتهم لهم على طول الزمان في ألسنتهم، وأنفسهم تمكّنا يحصّنون به عن تحيّل حروف سوى حروفهم والنطق بها، وعن تحصيل ألفاظ سوى المركّبة من حروفهم، وعن الناطق بها ممّن لم يسمع غير لسانهم ولغتهم، أو ممّن سمعها وجفا ذهنه عن تحيّلها، ولسانه عن النطق بها، وأمّا من كان لسانه مطاوعاً على النطق بأيّ حرف شاء ممّا هو خارج عن حروفهم، وبأيّ لفظ شاء من الألفاظ المركّبة عن حروف غير حروفهم، وبأيّ قول شاء من الأقاويل المركّبة من ألفاظ سوى ألفاظهم، فإنّه لا يؤمن أن يجري على لسانه ما هو خارج عن عاداتهم الممكنة الأولى، فيعود ما قد جرى على لسانه، فتصير عبارته خارجة عن عبارة الأمة، و يكون خطأً و لحناً وغير فصيح... ولما كان سكّان البريّة في بيوت الشعر، أو الصوف، والخيام، والأحسية من كلّ أمة، أجفى وأبعد من أن يتركوا ما قد تمكّن بالعادة فيهم، وأحرى أن يحصّنوا أنفسهم عن تحيّل حروف سائر الأمم، و ألفاظهم عن النطق بها، وأحرى أن لا يخالطهم غيرهم من الأمم للتوحّش والجفاء الذي فيهم، وكان سكّان القرى وبيوت

المدرّ منهم أطبع، و كانت نفوسهم أشدّ انقياداً لتفهّم ما لم يتعودوه.... كان الأفضل أن تؤخذ لغات الأمة عن سكّان البراري"^(١).

فالفارابي يقرر المنهج الذي به يعرف شأن من ينبغي أخذ لسان الأمة عنهم: إنّه ينبغي أن يؤخذ عن الذين تمكّنت عاداتهم لهم على طول الزمان، في ألستهم، وأنفسهم، تمكناً يُحصّنون به عن تحيّل حروف سوى حروفهم، والنطق بها.. وأما من كان لسانه مطاوعاً على النطق بأي حرف شاء مما هو خارج عن حروفهم.. فإنّه لا يؤمن أن يجري على لسانه، ما هو خارج عن عاداتهم.. فتصير عبارته خارجة عن عبارة الأمة، ويكون خطأً ولحنًا، وغير فصيح «وبعد أن ذكر طباع الحضرة في المياسرة وتقبّل ما لم يألّفوا، وذكر البادية وطبعها في المعاصرة ورفض ما لم يألّفوا، وما لم يكن من العادة، قال: «وأنت تتبيّن ذلك، متى تأملت أمر العرب في هذه الأشياء، فإنّ فيهم سكان البراري، وفيهم سكان الأمصار، وأكثر ما تشاغلوا بذلك من سنة تسعين، إلى سنة مائتين، وكان الذي تولّى ذلك من بين أمصارهم أهل الكوفة، والبصرة، فتعلموا لغتهم، والفصيح منها، من سكان البراري، منهم دون أهل الحضرة،... ثمّ من سكّان البراري من كان في أوسط بلادهم، ومن أشدهم توحشاً وجفاءً، وأبعدهم إذعائاً، وانقياداً، وهم قيس وقيم وأسد وطيّ ثمّ هذيل، فإنّ هؤلاء هم مُعظّم من نُقل عنه لسان العرب، والباقي فلم يؤخذ عنهم شيء؛ لأنهم كانوا في أطراف بلادهم، مخالطين لغيرهم من الأمم

(١) الحروف ١٣٤.

،مطبوعين على سرعة انقياد ألسنتهم لألفاظ سائر الأمم المطيعة بهم ،من الحبشة، والهند ،والفرس ،والسريانيين، وأهل الشام، وأهل مصر^(١).

إنَّ الفارابي في هذا النص، قد أحكم الحديث عن وصف منهج اللغويين والنحاة في أمر المسموع، الذي يجب أن يؤخذ دليلاً ومستنداً في وصف اللغة؛ لأنه لا يزال يمثل الفصحى في مستواها الذي كان على ألسنة الجاهليين والإسلاميين، والمسموع الذي يجب أن يتجنبوه لأتته صار يمثل مستوى آخر، وذلك لتغيُّره؛ فإنَّه لا يمكن قبوله في الدراسة الوصفية التي تنطلق من وصف ما تشابه وتقارب من اللغة، لا مما تغيَّر، وتعاقب، وحلَّ شيء منه محلَّ آخر، ولم يكن هذا النص حديثاً عن المروي عن عرب الجاهلية والإسلام والقرن الأول من أهل تلك النواحي، فكلُّ ما روي عن هؤلاء لم يقسَّم تقسيماً زمنياً ولا مكانياً.

إنَّ هذا النص من أعظم النصوص التي لها أثر في تاريخ الدراسات اللغوية والنحوية عند العرب، وخصوصاً عند الحديث عن منهج الدراسات اللغوية ، وقد حُمِّل ما لا يحتمل من الاستنتاجات، التي لا يحتملها إطلاقاً عند كثير من الباحثين المحدثين، الذين انطلقوا منه لتقويم الدراسات اللغوية والنحوية عند العرب^(٢)، وليت منطلق الكثيرون كان من قراءة صائبة لهذا النص، بل قرؤوه قراءة خاطئة، وحملوه مالا يحتمل، وتباينت اتجاهاتهم فيما استنتجوا من خلاله: ففريق من الباحثين ناقشه مستدلاً به، على سوء المنهجية التي وقع

(١) السابق ١٤٥.

(٢) من تاريخ النحو العربي ٢١.

فيها اللغويون ،والنحاة، حين قسّموا جزيرة العرب قسمةً مكانيةً ،وزمانية، فاستشهدوا بنصوص ،وتحافوا عن أخرى، يقول سعيد الأفغاني رحمه الله : وهذا هو الضابط في التصنيف الزماني ،والمكاني ،الذين مرا بك، فأنت تعلم إسقاط العلماء الاحتجاج بشعر أمية بن أبي الصلت ،وعدي بن زيد العبادي، وحتى الأعشى عند بعضهم، لمخالطتهم الأجانب ،وتأثّر لغتهم بهذه المخالطة، حتى حمل شعرهم عدداً غير قليل من ألفاظ ومصطلحات لا تعرفها العرب، وكل هؤلاء شعراء جاهليون^(١). ولا أدري كيف تسنى للأستاذ سعيد الأفغاني رحمه الله قول هذا الكلام وتقريره؟ هل غاب عنه حضور أشعار من أشار إليهم من أعلام الفصحاء في كتب النحو واللغة؟ أم أنّ الرجل قرأ نصّ الفارابي قراءة خاطئة، ثم راح يصف منهج النحاة واللغويين من خلال ما تصوّر؟ الحقّ أنّه قرأ النصّ قراءة خاطئة، ثم راح يصف المنهج، ويقرره من خلال ما تصوّر، لقد غاب عنه أنّ النصّ حديث عن التقسيم المكاني لما يُسمع ويُؤخذ مشافهةً ومباشرةً من الناطقين في القرن الثاني، أما ما رُوي عن فصحاء الجاهلية والإسلام فلم يُفرّق فيه بين بدوي ،و حضري، ولا حجازي ونجدي، ولذا فالحجاز ،واليمامة، لم يؤخذ عن سكّنها أخذاً مباشراً في القرن الثاني، أما ما روي وحفظ مما قيل عن أهلها في الجاهلية والإسلام فلا منازعة فيه، ومثّل قراءة د. إبراهيم السامرائي لهذا النصّ اتجاهاً آخر، فقد جعله ممثلاً للمنهج البصري، وأنّه منهج خاطئ في دراسة اللغة ،يقول:

(١) المدارس النحوية أسطورة وواقع ٢٥.

"ولا نعلم كيف يتفق هذا التشدد في حصر الأخذ عن قبائل معينة، وما قيل عن فصاحة قريش، وأتَّهم أفصح العرب، وأنَّ الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم قد قال " أنا أفصح من نطق بالضاد ،بيد أني من قريش " إننا نعلن أنَّ قريشاً قد أُتيح لها أن تتصل بالقبائل الكثيرة، وبجمهرة من أقوام شتى من غير العرب، فكيف سلمت لغتهم، وكيف جاز للنحاة أنَّ يوافقوا على فصاحتهم "(١) والذي استشكله د إبراهيم في هذا النص رحمه الله، مصدره عدم توقُّفه عند دلالة مصطلح " الأخذ" الوارد في النص الذي وصف منهج النحاة واللغويين، لقد رأى أنَّه مرادف ،ومساوق، لمصطلح الاستشهاد، فتصوَّر أنَّ عدم الأخذ من أهل الحجاز ،هو استبعاد للمنطوق عند قريش في جميع المراحل الزمنية، وإخراجه من دائرة ما يحتج به نحواً، ولغة، في جميع العصور، ولو تبَيَّن أنَّ مصطلح الأخذ إنما هو مرتبط ،ومقصود على الأخذ المباشر مشافهةً في القرن الثاني، لما قال هذا،

و هذا الفهم موجود لدى غير د السامرائي، يقول د. إبراهيم بن مراد: «وهذا الرأي كان سائداً في عصر الاحتجاج رغم وجود بعض الاختلاف؛ إذ نجد من يُقضي أهل الحجاز حسب ما يُستنتج من النصّ المشهور الوارد في كتاب الحروف لأبي نصر الفارابي»^(١) وليس من إقصاءٍ لما روي عن عرب الحجاز، ولكن عند تعيّر لغتهم في القرن الثاني ،و عندما لم يعد المسموع منهم مقارباً لما روي عن سبقيهم، لم يؤخذ عنهم الأخذ المباشر القائم على

(١) المثال والشاهد ٥٣.

المشافهة، وهذا هو المنهج السليم، ففي زمن الأخذ مباشرة، ومشافهة، في القرن الثاني، في الحجاز، والأمصار التي امتنع النحاة عن مشافهة قاطنيها، صرنا أمام مستوى متغيّر من اللغة، ولا يمكن جعله مع المستوى اللغوي المروي عن أولئك العرب جاهلية و إسلاما في مستوى واحد عند الدراسة، و وصف اللغة، لو فعل النحاة هذا لكانوا حقاً مخطئين؛ لأنّ اللغة إذا تغيّرت وتحوّل مستواها، تدرس دراسة تاريخية، تُعنى برصد التطور والتغير ولا تدرس دراسة وصفية، ولو فعلوا هذا لكنا أمام وصف للغة في حالين مختلفين، ولقد بقيت العربية بعيدة عن التغير السريع الطارئ بسبب الظروف السياسية والاجتماعية في الجاهلية والإسلام، فكانت التغيّرات فيها ضئيلة، وهي في الدلالة أكثر مما هي في غيرها، ولذا فقد جعل النحاة واللغويون لغة العرب في الجاهلية والإسلام مستوى واحداً، ولا غرابة في هذا؛ لأنّ معيار القول بوحدة المستوى إنّما هو مقدار التغيّر الحاصل.

يقول دي سوسير: "ليست الحالة اللغوية في الواقع نقطة، بل فترة من الزمن، يكون المجموع الكلي للتغيّرات الحاصلة ضئيلاً جداً، ينحصر في الحدود الدنيا، وقد تضم هذه الفترة عشر سنوات أو جيلاً أو قرناً، بل أكثر من ذلك، فقد لا تتغير لغة ما طوال فترة طويلة من الزمن ثم يقع فيها تغيير جذريّ في بضع سنوات"^(١) و ما قرره دي سوسير هو ما تقرر عند النحاة واللغويين فعند حدوث التغيّر لم يأخذوا ممن تغيّرت لغتهم مشافهة، بل أخذوا

(١) علم اللغة ١٢١

بلغتهم عند الجيل السابق رواية، وهذا الشيء لم يلحظه الذين عادوا إلى المنهج النحوي واللغوي بالتقويم من خلال نص الفارابي، ويرقى سوء التصور لمنهج القدماء عند د. علي أبو المكارم درجة عظيمة في سلم الاضطراب وسوء التقرير، حين قال متحدثاً عن نقد مصادر المادة، وتحديد ما في منهج الجمع من أخطاء: «وأول هذه الأساليب تحديد القبائل التي يُسمع منها ويُروى عنها، فليست كل القبائل العربية سواء، إذ من القبائل ما يُرفض جملةً في الاحتجاج، كما أنّ منها ما يقبل في مجال الاحتجاج.. وتختلف في رفض الاحتجاج بلهجات بعض القبائل، بيد أنّها تلتقي جميعاً في عدم سلامتها؛ لاتصال هذه القبائل بلغات أخرى»^(١).

وهذا الكلام لا حقيقة له، فليس من رفضٍ كاملٍ في الاحتجاج، فأهل الحجاز يحتج بلغتهم، وهم مدار الفصاحة إلا في القرن الثاني، وكذلك أهل اليمن، وأهل اليمامة، فتغيّر لغتهم حال دون قبول المسموع منهم في القرن الثاني، وجعله ممثلاً للفصحى التي يستهدف النحاة واللغويون وصفها، وإنّ من يتأمل حال تردد الشواهد وكثرتها من كلام أهل الحجاز وأهل اليمن وأهل اليمامة سيتضح له أنّ رفض الاحتجاج إنما هو لما سمع من أهل هذه النواحي في القرن الثاني فقط، وهذا هو مفهوم الفارابي ومنطوقه عندما عبر بمصطلح "الأخذ"، أما ما روي عن شعراء هذه النواحي وغيرها مما روي عن العرب في الجاهلية والقرن الأول، فليس من ترددٍ في اعتماده عند وصف أنظمة

(١) أصول التفكير النحوي ٥٩.

الفصحى ، ووضع قواعدها، وجمع مفرداتها، وتحديد دلالتها، وكلام هؤلاء الباحثين المقومين للمنهج لا يمكن استيعابه ولا قبوله، ونحن نرى تردد أسماء شعراء تلك النواحي مثل عبد يغوث بن وقاص الحارثي، وعمر بن ربيعة، وجريز، والأعشى، وطرفة، وغيرهم كثير شعراً ونثراً.

إنّ الحقيقة العلمية التي جعلت النحاة لا يشافهون ولا يأخذون بكلام من أشار إليهم الفارابي إنما هي مسألة التغيّر، فقد وجد اللغويون والنحاة مستوى آخر، حلّ محلّ ذلك المستوى المستهدف بالوصف، وقد قدمت بأنّ المنهج الوصفي لا يمكن عمله حينئذ، يقول دي سوسير : " وقد نلاحظ لغتين قائمتين جنباً إلى جنب خلال فترة معينة، تتطور إحدهما تطوراً جذرياً، وتبقى الثانية على حالها من دون أيّ تغيّر يذكر، فتكون الدراسة زمنية للغة الأولى، وتزامنية للغة الثانية"^(١) وعلى هذا فإنّ المنهج الوصفي لا يمكن أن يطبق في حال تغير اللغة ؛لأننا أمام مستويين لغويين حلّ أحدهما محل الآخر. وهذا يوضح بجلاء صحة ذلك المنهج الذي اختاره اللغويون والنحاة رحمهم الله، وسوء تصوّر الذين تكلموا عن منهجهم هو سبب الإشكال، وهو مبدأ النقد الكثير الذي وجه إلى صنيع النحاة، وليس بصواب، وما أكثر الباحثين الذين انطلقوا من تفسيراتهم غير الموفقة لنص الفارابي، ومضوا يحملون منهج النحاة واللغويين تبعات ذلك الفهم الخاطئ في هذا العصر، يقول د يوسف فجال:

(١) علم اللغة ١٢١.

وقول الفارابي: (لم يُؤخذ) بلغات هذه القبائل، يحتمل وجهين: الوجه الأول: أنّ هذه اللغات ضعيفة، وغير فصيحة، ولذا لا يحتج بها؛ ولم يؤخذ بها، الوجه الثاني: أنّ قواعد النحو والصرف واللغة لم تؤخذ من هذه القبائل، مع فصاحتها؛ لمخالفتها اللغة التي نزل بها القرآن، ولغة المحافل العامة عند العرب، التي هي لغة قريش. فإن كان يعني بقوله (لم يُؤخذ) الوجه الأول، وهو ما يؤكده قوله: «... لأنّ الذين نقلوا اللغة صادفهم حين ابتدؤوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت ألسنتهم» بفساد اللسان - فهو مردود بصنيع النحاة واللغويين عامة؛ حيث دونوا لغة هذه القبائل، واستشهدوا بها على مسائل النحو واللغة، دون تحرج أو تحرز،..... أما إن كان يقصد بكلامه الوجه الثاني - مما بينته سابقاً - فهو أمر يؤيده الواقع المعمول به في النحو^(١) هذا هو فهم د يوسف للنص، فقد افترض وجوهاً لا يحتملها النص إطلاقاً، فالنص واضح الدلالة: لغات تطورت وتغيرت عما كانت عليه؛ لأسباب منها المدنية، والتحضر، وكثرة الاختلاط بالشعوب الأخرى، وعدم الاستيحاش من التساهل في الخطاب والتحول إلى ما لم يعهد عند السابقين عرفاً، فما روي من كلامهم قبل التغير يؤخذ به، وهذا هو سبب دوران أسماء شعراء هؤلاء القبائل في كتب النحو، و أما كلامهم في القرن الثاني فلا يسمع ولا يؤخذ به، وإذا كان من الباحثين من

(١) الظواهر اللهجية في لغة ربيعة، ٢٦.

تطلّب التأويلات والتخريجات، فمنهم من حكم على منهج النحاة بتباين حال التنظير لحال التقعيد والتطبيق.

يقول د عاطف فضل مقررّاً تبين الأمر عند النحاة بين التنظير والتطبيق :
إن جل الباحثين المعاصرين يرفضون هذا التحديد المكاني، أو التحجيم القائم على التعسف حيناً، أو الالتواء حيناً آخر، فإنّ من الظلم حصر اللغة في قبائل معينة من العرب لأسباب واهية، أو هي من بيت العنكبوت يتساقط لأقل نسمة هواء، وهكذا أسباب النحاة تتساقط أمام الحقائق^(١) وقائل هذا الكلام واضح أنّه هو ومن يشير إليهم من المحدثين قرؤوا وتصوروا فعل النحاة في ذلك التقسيم المكاني، على غير وجهه تماماً، فتصوّروا أنّ النحاة أخذوا من هؤلاء مشافهة، وتركوا مشافهة أولئك لغير ما سبب، كما تصوّروا أنّ حديثهم عن عدم الأخذ عن سكان الحواضر كان عدم أخذ بالمروى عن من كان منهم في الجاهلية والإسلام وعدم الأخذ بالمسموع أيضاً، وأن موقف النحاة من المروى والمسموع مشافهة في حال واحدة من عدم الاعتداد به عند وصف اللغة وجمع ألفاظها، ولو تبيينوا معنى نص الفارابي وتدبّروا صنيع النحاة لأدركوا الحقيقة، ولما وسموا منهج النحاة واللغويين بما وسموه به.
وإنّ عدم إدراك السرّ في تلك القسمة المكانية التي فرضها التغيّر، وأوجبها الأخذ بالمنهج الوصفي وهو ما أخذ به النحاة، هو الذي جعل بعض

(١) الاحتجاج اللغوي بين التنظير والتطبيق ٧١، وينظر المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق ٣٣، مرويات نحاة الكوفة ١٩٩.

الباحثين لا يقف عند حد تقرير التباين تنظيراً وتطبيقاً، ولا عند توهم أنّ الاستقراء توقّف عند حدود معينة كما رأى د خليل عمايرة^(١).

وما فعله النحاة ليس فيه ترك لوصف اللغة من خلال ما قال العرب جاهلية و إسلاماً، وإنما وقع عدم السماع لبعض القبائل في القرن الثاني لأجل التغيّر، ولأجل ما يفرضه المنهج الوصفي، لا لأجل اختيار واصطفاء المنهج المعياري الذي اصطفي عند المتأخرين من النحاة؛ لأجل خصائص العربية، وارتباطها بالقرآن الكريم، ولو استوعب المحدثون حقيقة منهج المتقدمين لما وقع التناقض فيما قرروا حيال منهج القدماء، يقول د نوزاد حسن أحمد: "إنّ استيعاب منهج سيبويه يضع حداً للتناقض الحاصل في الآراء، فحين يزعم أحد الباحثين المعاصرين أنّ اللغويين الأوائل لم يكتفوا بدراسة لهجة واحدة، وإنما عمدوا إلى دراسة لهجات متعددة تختلف في نواح كثيرة، وبذلك انعدمت وحدة الموضوع الذي اتجهت إليه الدراسة، يتوهم باحث آخر أنّهم اقتصروا في استقراء المادة اللغوية على قبائل معينة"^(٢) وقد قال الصواب د نوزاد.

ولم يقف الأمر عند حد القول بتباين التنظير والتطبيق في مناهج اللغويين والنحاة العرب، بل تعدّى ذلك إلى تقرير ظهور مسألة المعيارية في مناهج اللغويين والنحاة منذ ذلك الزمن المتقدم، يقول د علي زوين: "يمكن أن نستدلّ ببعض المظاهر على المنهج المعياري في الدراسات اللغوية القديمة،

(١) ينظر في نحو اللغة وتراكيبها ٣٢.

(٢) المنهج الوصفي في كتاب سيبويه، ٥٤.

وهي مظاهر مرتبطة بأصول اعتمدها النحاة واللغويون في توجيه أفكارهم وجدلهم، وتتلخص في : الأخذ من بعض القبائل واللهجات ، وترك قبائل ولهجات أخرى ، وبخاصة ما يتعلق بالمفردات والتصريف والتركيب^(١).

والقول بظهور المنهج المعيارى ابتداءً في الدراسات النحوية واللغوية منذ ذلك الزمن المتقدم قولٌ لا صحة له، وذلك التحديد المكاني يفرضه ما يستدعيه المنهج الوصفي كما قلت ولم يفرضه اختيار المنهج المعيارى ابتداءً، فليس من الممكن تطبيق المنهج الوصفي والأخذ به، في دراسة لهجات صار لها مستويان بينهما بعض التباين، مستوى يوافق المروي عن العرب في الجاهلية والإسلام ، ومستوى يبين ذلك ، إذ التغيرُ مانع من تطبيق المنهج الوصفي، فالقول بأنَّ المنهج اللغوي والنحوي بدأ معيارياً قولٌ خاطئ، والدليل على هذا أننا لا نجد تلحيناً للجملات والقبائل، بل نجد ذلك في حق الأفراد الذين من الممكن أن يطرأ على ألسنتهم الانحراف، وأمّا القبائل فلم يحكموا باللحن عليها، يقول الفراء رحمه الله مبيناً علّة القول بضعف هذه اللهجة وقوة تلك، وأنَّ الحكم ليس منطلقه من اللهجة ذاتها، وإنما هو من مقارنتها بغيرها، يقول رحمه الله : "اعلم أنَّ كثيراً مما نهيتك عن الكلام به ، من شاذ اللغات ، ومستكره الكلام ، لو توسّعت بإجازته، رخصت لك أن تقول : رأيت رجلاً، ولقلت : أردت عن تقول ذاك، ولكن وضعنا ما يتكلم به أهل الحجاز وما يختاره فصحاء الأمصار، ولا تلتفت إلى من قال يجوز، فإنّا قد

(١) منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، وانظر: المنهج وأثره في الدراسات النحوية

سمعناه، إلا أننا نجيز للأعرابي الذي يتخير، و لا نجيز لأهل الحضر والفصاحة أن يقولواجيت من عندك، و أشباهه، مما لا نخصيه من القبيح المرفوض^(١).

فالمنهج هو اختيار عند الوصف للأفصح الثابت عند الأغلب وتجنب للمتغير، وهذه هي ضرورة الأخذ بالمنهج الوصفي، وما قاله الفراء، له مثل عند المبرد رحمه الله يقول: كلُّ عربي لم تتغير لغته فصيح على مذهب قومه، وإنما يقال: بنو فلان أفصح من بني فلان، أي أشبه بلغة القرآن، ولغة قريش، على أنّ القرآن نزل بكل لغات العرب^(٢).

إنّ قول المبرد هذا في تحديد منهج النحاة واللغويين عند النظر إلى اللهجات، والقول بتفاضلها هو ذاته الذي ذكره ابن جني في باب اختلاف اللهجات وكلها حجة يقول: " اعلم أنّ سعة القياس تبيح لهم ذلك نولا تحظره عليهمثم قال: هذا حكم اللغتين إذا كانتا في الاستعمال والقياس متدانيتين متراسلتين أو كالمتراسلتين ،فأما أن تقلّ إحداها جداً، وتكثر الأخرى جداً، فإنك تأخذ بأوسعهما روايةً، وأقواهما قياساً ، ألا تراك لا تقول مررت بك، ولا المال لك، قياساً على قول قضاة المال له ومررت به.... فإذا كان الأمر في اللغة المعوّل عليها هكذا، وعلى هذا ،فيجب أن يقلّ

(١) تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة، ٥.

(٢) الفاضل، ١١٣.

استعمالها، و أن يُتخَيَّر ما هو أقوى منها، إلا أن إنساناً لو استعملها لم يكن مخطئاً لكلام العرب، لكنه كان يكون مخطئاً لأجود اللغتين"^(١).

وقد زاد ابن جني رحمه الله ذلك المنهج وضوحاً وتحلية، حينما تكلم عن تقسيم المسموع بين الاطراد والشذوذ، ويبدو أنّ ما قرره علماء اللغة حول منهجهم في التعامل مع اللهجات كان ثقافة عامة عند العلماء، فالحسن البصري ت ١١٠هـ رحمه الله حين رُمي بالخطأ واللحن في منطقه أوضح ذلك، فقد روي " أنّه قال يوماً : توضيت ،ف قيل له : أتلحن يا أبا سعيد !! فقال : إنّها لغة هذيل ،وفيها فساد "^(٢).

إنّ المنهج المعياري لم يكن من دواعيه وأسبابه المفاضلة بين لغات القبائل، و هذه المفاضلة الواقعة بين اللهجات عند وصف العربية كانت من ضرورات الأخذ بالمنهج الوصفي، لكن المعيارية جاءت بعد ذلك ،يقول د نايف خرما : "إنّ منهج سيوييه كان منهجاً وصفيّاً بشكل عام، إلا أنّ من تبعه من اللغويين توقفوا عن الاستشهاد باللغة المستخدمة في زمنهم، وجمّدوها على ما استشهد به سيوييه، فاستعملوا قواعده كقواعد معيارية ،وحاولوا أن يخضعوا لها كلّ ما يقال ويكتب في العصور المختلفة، ولا زال هذا حالنا إلى حد كبير بالنسبة إلى قواعد لغتنا حتى العصر الحاضر"^(٣).

(١) الخصائص ٢ / ١١ - ١٢.

(٢) ألف باء ١ / ٤٦.

(٣) أضواء على الدراسات اللغوية ٩٨.

ولا يمثّل الأخذ بالمنهج المعياري في العصور المتأخرة بعد عصر الفصاحة عيباً، بل هو مطلب فرضته خصائص لغتنا، وارتباطها بالقرآن المقدس، وحضارة الإسلام وآداب العرب^(١)، ولا يمكن أن يُعزل تعليم اللغات عن هذه الغايات ويكون مقصوداً لذاته .

المبحث الرابع: الدلالة بين الفردية والعرفية

لا شيء في اللغة للفرد نصيب وافر منه، وميدان واسع يجري الفرد فيه ويتصرف كالدلالة.

وإنّ كلمة دلالة بكسر الدال وفتحها، تعود إلى معنى لغوي عام جامع، هو كما يقول ابن فارس: «إبانة الشيء بأمانة تتعلمها»^(٢).

وقد وردت مشتقات الكلمة في النصوص العربية، حاملةً معنى الإيماء إلى الشيء والإشارة إليه ولا تبتعد الكلمة في حالها الاصطلاحي عن هذا المعنى، وقد عرّفت في تراثنا بما يعرف به الرمز عموماً فقال الجرجاني: «هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال والثاني هو المدلول»^(٣). وعلى هذا ففي العمل الكلامي دال ومدلول عليه معبرٌ عنه - وسمات متصورة في الذهن، وقد جعله محمد الأنطاكي: أربعة أقسام فقال:

(١) انظر خصائص العربية وأثرها في التعليم ضمن أبحاث ودراسات ١٢٣.

(٢) مقاييس اللغة دل ٢/٢٥٩.

(٣) التعريفات ١٣٩.

يشتمل كلّ لغوي -أي كل اتصال لغوي بين اثنين- على أربعة عناصر، هي:

١. الوجدان: وهو ما يجده المتكلم في نفسه من عواطف، وأفكار، وأحاسيس.

٢. اللفظ: وهو المادة الصوتية المنبعثة من فم المتكلم، في محاولة للتعبير عن وجدانه.

٣. المعنى: وهو الصورة الذهنية المتحصّلة في ذهن السامع من سماعه اللفظ.

٤. المقصود: وهو الحقيقة الخارجية للصورة الذهنية^(١).
ووجود هذه الأمور عند سماع الكلام، تجعل تعريف الدلالة بما يُعرّف به الرمز قاصراً غير مجد؛ لأنّ المدلول هو في الحقيقة ما انبثق في ذهن السامع من تصورات، وسمات عن المدلول عليه.

والميدان الدلالي هو من أول الميادين اللغوية التي عرفتھا الثقافة العربية، ويتمثل ذلك في شرح الغريب من الألفاظ الذي وجده الصحابة رضي الله عنهم في نص القرآن الكريم، والحديث الشريف ثم سألوا عن معناه المصطفى صلى الله عليه وسلم، فقد ورد في الحديث أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يقبض العلم، ويظهر الجهل والفتن، ويكثر الهرج، قيل يا رسول الله وما الهرج؟ فقال: هكذا بيده فعرفها كأنه يريد القتل^(٢) وفي الحديث أنّ

(١) الوجيز في فقه اللغة ٣٦٥.

(٢) صحيح البخاري ٢٨/١ (٨٥).

المصطفى صلى الله عليه وسلم قال: أقيموا صفوفكم لا يتخللكم كأولاد الحَذَف، قيل يا رسول الله، وما أولاد الحَذَف؟ قال: سود جُرد تكون بأرض اليمن»^(١).

إنّ هذه البداية المبكرة لتفسير غرائب الألفاظ، هي بداية ظهور الجهود الدلالية عند العرب، ومع هذا فإنّ علم الدلالة لم يستقلّ بمؤلفات خاصة إلا في العصر الحديث، وقد بُنيت مباحثه مفرقةً بين العلوم؛ لأنّ الميدان الدلالي، ودراسة الدلالة، ليسا بميدان خاص لأهل تخصص محدد، بل هي ميدان واسع، دخل فيه كثيرون، يقول د. تمام حسان: «علم الدلالة أو علم المعنى أو علم السيمانتيك فرع من فروع الدراسات التي تناولها بالبحث أنواع من العلماء تختلف موضوعاتهم، كالفلاسفة، واللغويين، وعلماء النفس، والأنثروبولوجيا، والأدباء، والفنانين والاقتصاديين، وعلماء الدراسات الطبيعية»^(٢) فالمتزاحمون في هذا الميدان كثر، والسبب في هذا التوارد والتزاحم على بحث المعنى والنظر فيه «أنّ المعنى اللغوي من شأنه أن يشغل المتكلمين جميعاً على اختلاف طبقاتهم، ومستوياتهم الفكرية؛ لأنّ الحياة الاجتماعية تُلجئ كلّ متكلم إلى النظر في معنى هذه الكلمة، أو تلك، أو هذا التركيب، أو ذاك، وهكذا أدلى كل متكلم تقريباً بدلوه في هذه المشكلة

(٢) مسند أحمد ٥٨٣/٣٠ (١٨٦١٨)

(٣) - مناهج البحث ٢٤٠.

(٤) علم اللغة - د محمود السعرا ٢٦١.

(٥) أضواء على الدراسات اللغوية ٣١٥.

الخطيرة»^(١). وهذا الالتقاء بين أصحاب التخصصات في هذا الميدان يمثل صعوبة من حيث تقاطع الاهتمامات، وتعدد الأدوار، واختلاف وجهات النظر، يقول د نايف خرما: " وتكمن الصعوبة في أنّ دراسة المعاني، لم تكن في يوم من الأيام مقصورة على عالم اللغة وحده، بل هي باتساعها وتشعبها وتعدد أوجهها تكون نقطة التقاطع لعدد كبير من العلوم الإنسانية " (٥) ولا غرابة مع تعدد الدارسين أن تتعدد المناهج الدراسية، وتتداخل الأدوار، ويتعدد الهدف المنشود من الدراسات الدلالية.

إنّ المنهج الذي ارتضاه المحدثون الآن في الدراسات الدلالية هو بحث كلّ دال لفظي، والنظر في كل مدلول، ومعالجة الدلالة في وجهيهما: الفردي الكلامي، والعرفي النظامي، فازداد الدرس الدلالي صعوبة وتشعباً، يقول د. نايف خرما محددًا الصعوبات التي تقابل الباحث في الدلالة: «أما الصعوبة الثانية التي تواجه الباحث في علم المعاني، فتتعلق بتحديد طبيعة المعنى، أي بما يجب بحثه في إطار نظرية متكاملة من جوانب المعنى المختلفة، هل تتركز الدراسة على دلالة الألفاظ المفردة خارج السياق؟ أم على تحديد دلالة تلك الألفاظ في إطار السياق اللغوي؟ أم على دراسة معاني الجمل؟ أم على هذه المعاني ضمن الإطار اللغوي المحض؟ أم يدخل عنصر المقام أيضًا بالإضافة إلى السياق اللغوي؟

وماذا عن المعنى الاجتماعي للجملة؟ أو المعنى الحضاري؟ إلى آخر هذه الأسئلة التي تشعب الموضوع، بحيث يصبح من غير الممكن حصره»^(١).
ولست أقول مثلما قال د. نايف خرما، بأن الموضوع لا يصعب حصره، بل إنَّ حصره ممكن باستعمال معيار هو -معيار الفردية أو العرفية- النظام أو الكلام.

فالتفريق بين الدلالات التي تحملها الرسالة اللغوية، هو المعيار الصحيح الذي يعطينا الحد الفاصل بين ما هو من اهتمامات اللغوي، وبين ما هو من اهتمامات التخصصات الأخرى، وهذا المعيار هو الذي يظهر في تراثنا اللغوي والنحوي في جميع أنواع الدلالة - الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية، وأما المحدثون فإنَّهم يدرسون الدلالة بوجه عام، دون تفريق بين ما هو نظامي لغوي استقرت عليه العادة والأعراف الاجتماعية للناطقين - وهذا يمكن حصره وتحديدته وتعيين ملامحه الدلالية - وبين ما هو فردي تستدعيه المقامات والظروف والأحوال والأهداف التي لا تنحصر، ولا يمكن التنبؤ بها، لقد اضطرب القول في منهج دراسة الدلالة عند المحدثين فأدخلوا في اهتمامات علم اللغة تلك الدلالات التي ليست عرفاً ولا نظاماً، بل هي بحسب السياقات، وأهداف المتكلمين، فاتسعت دائرة علم الدلالة.
لقد حدد ابن جني -رحمه الله- موقع الدلالة اللفظية والصناعية فقال: «باب في الدلالة اللفظية والصناعية والمعنوية: اعلم أنَّ كلَّ واحد من هذه

(١) أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ٣١٥.

الدلائل معتد مراعى مؤثر، إلا أنّها في القوة والضعف على ثلاث مراتب: فأقواهن من الدلالة اللفظية، ثم تليها الصناعية، ثم تليها المعنوية... فمنه جميع الأفعال، ففي كل واحد منها الأدلة الثلاثة، ألا ترى إلى قام ودلالة لفظه على مصدره، ودلالة بنائه على زمانه، ودلالة معناه على فاعله، فهذه ثلاث دلائل، من لفظه وصيغته ومعناه»^(١). ثم يوضح قوة الدلالة الصناعية، وأنّها أقوى من المفهوم العام للجملة، فيقول: وأينما كانت الدلالة الصناعية أقوى من المعنوية من قبل أنّها وإن لم تكن لفظاً فإنّها صورة يحملها اللفظ، ويخرج عليها، ويستقر على المثال المعترم بها، فلما كانت كذلك لحقت بحكمه، وجرت مجرى اللفظ المنطوق به، فدخلوا بذلك في باب المعلوم بالمشاهدة، وأما المعنى فإنما دلالاته لاحقة بعلوم الاستدلال، وليست في حيز الضروريات»^(٢).

و هذا النص الذي هو من كلام ابن جني، يتضمن الإشارة إلى الدوال اللفظية التي هي وحدات حمل المعنى وتوجيهه، ويوضح أنّ بينها فرقاً، فما لحق منها بالملفوظ من حيث الضرورة فهو الضروري، وما لحق منها بدلائل الاستدلال العقلي والمنطقي والمفهوم العام فليس كذلك.

إنّ هذا التفريق من لغويي العربية قديماً في أمر الدلالة يوضح بجلاء أنّ لهم منهجاً في دراستها وأنّ لديهم وعياً بقضاياها وأشكالها المتعددة، وبما هو من اختصاص اللغوي، وبما هو من ميدان عمل غير اللغوي، والأمر على عكس

(١) الخصائص ٣/١٠٠.

(٢) السابق.

هذا عند المحدثين مما جعلها عرضة وهدفاً لكثير من أصحاب التخصصات ،يقول د. محمود السعران -رحمه الله- «وقد نجم عن اشتراك اللغويين وغير اللغويين من أصحاب العلوم والأفكار المختلفة، أن ظهرت نظريات كثيرة، ومناهج عدة فيما يتعلق بالمعنى من حيث: تحصيله، وماهيته، ودراسته»^(١).

ولأجل هذا فإننا نرى اختلاف الباحثين في موضوع علم الدلالة، فمنهم من يرى أنّ موضوع علم الدلالة هو الاتصال بين المتكلم والمخاطب^(٢)، ومنهم من يرى أن موضوع علم الدلالة هو كلُّ شيء صالح لأن يقوم بدور العلامة والرمز، ويحمل مدلولاً ومعنى^(٣).

يقول د. أحمد مختار عمر «إنّ موضوع علم الدلالة هو أيُّ شيء، أو كلُّ شيء يقوم بدور العلامة، أو الرمز»^(٤).

فالوحدة الدلالية، أو العلامة التي تحمل المعنى لا تقف عند الملفوظ، بل تتخطاه إلى كلّ شيء حمل المعنى، أو وجهه في حال التخاطب. وفي هذه الحال فإنّ الناظر في الدلالة والباحث فيها لن يقف عند شيء، بل سيقوم بجميع الأدوار التي يقوم بها كلُّ من يهتمون بالشأن الدلالي من أصحاب التخصصات، وفي هذه الحال لا فرق بين ما هو عرفي اصطلاحى اتفق عليه أبناء الأمة وصار نظاماً، و بين ما هو فردي فرضه الموقف، واستدعته الحال،

(١) علم اللغة ٢٦١.

(٢) علم الدلالة ٣، مونيك شقارقي، ترجمة د. سعيد.

(٣) الوجيز في علم الدلالة ١٤.

(٤) علم الدلالة أحمد مختار عمر ١١.

والظروف المحيطة بالمتكلم والسامع، فالدلالة الصوتية تأتي عن طريق الأصوات التركيبية، وعن طريق الأصوات فوق التركيبية الأدائية^(١). فالأول عرفي، والثاني فردي.

والنظم وعلم المعاني يدخل في الدلالة النحوية، وإن كان يفارق العرف، ومبناه على توخي الفرد وإرادته. يقول د. عبد العزيز علام متحدثاً عن علم المعاني: «ما مر بنا من تطوافة سريعة مع الدلالة النحوية للوحدات في داخل الجملة، وما رأينا من إسهام عبد القاهر فيه، يعد جزءاً من الدلالة النحوية التي تشملها دلالة النحو»^(٢) لقد انتقل موضوع الدلالة النحوية من دلالة الجملة إلى دلالة النص، وتوخي أغراض المتكلمين به، وهذا انتقال من العرفي النظامي إلى الفردي، وخلط بين الدلالة النحوية، وبين الدلالة البلاغية وغيرها، وهو منهج يغير ما كان مستقراً عند علماء العربية، وكذا يقول د. أحمد مختار عمر معلقاً على تعريف علم الدلالة: «يستلزم التعريف الأخير أن يكون موضوع علم الدلالة أي شيء، أو كل شيء يقوم بدور العلامة، أو الرمز، هذه العلامات أو الرموز قد تكون علامات على الطريق، وقد تكون إشارة باليد، أو إيماءة بالرأس، كما قد تكون كلمات، وجمالاً، وبعبارة أخرى قد تكون علامات، أو رموزاً غير لغوية تحمل معنى، كما قد تكون علامات أو رموزاً لغوية»^(٤).

(١) ينظر في علم اللغة العام ١٦٧-١٧١.

(٢) السابق

إنّ هذا الكلام ينطلق من عموم موضوع وميدان علم الدلالة، فيجعل كلّ عنصر، ودال حمل معنى سواء كان لغوياً، أو غير لغوي، وسواء كان في اللغة مما وقع عرفاً، أو مما وقع في استعمال الفرد و مقتضيات أسلوبه، ولذلك عاب على ماريوباي ربطه علم الدلالة بدلالة الكلمات المفردة^(١)، وماريوباي لم يكن يتكلم عن علم الدلالة مطلقاً بل كان يتكلم عن الدلالة اللغوية، وبسبب عدم استحضار المعيار الفاصل في الشأن الدلالي بين ما هو لغوي، و بين ما هو بلاغي وأدبي بسبب تلك النظرة التي تنظر إلى جميع الدوال على أنها موضوع واحد، وأنها جميعها من عناية اللغوي وقع الاضطراب، ولذلك فالدلالة الصوتية لا تقف عند حد الدال الصوتي التركيبي بل لها طريق ثان هو «التمثل في الطريق الثاني من طرق الدلالة الصوتية وهو المسمى بالأداء»^(٢). نعم كلها دوال -لكن الأول نظامي عرفي تعارف عليه المجتمع، ونسب للأمة الناطقة، والثاني فردي داعية هو سياق الموقف الذي فيه المتكلم والسامع، وهو الذي استدعى لونا خاصا من الأداء، وهكذا يقال في جميع أنواع الدلالة، فجميعها وهي الدلالة، الصوتية، والعرفية، والنحوية والمعجمية يمكن أن تكون في إطار النظام، والعرف، والعادة، ويمكن أن تخرج من خلال الكلام والسياق إلى ما ليس عرفاً ولا عادة، ولا نظاماً اجتماعياً، بل هي من خصائص الكلام الفردي شأنها شأن المعاني العامة للنصوص والرسائل اللغوية، وقد درج كثير من اللغويين على تخصيص الدلالة اللغوية في

(١) السابق هامش ص ١٢ .

(٢) في علم اللغة ١٧١ .

الملفوظ به، فتحدثوا فقط عن الدال اللغوي، إذ عرّفوه بأنه: «الدال، وقوامه، ما يتلفظ به، وهو أحياناً يكون لفظاً مفرداً، وأحياناً مجموعة من الألفاظ، ركب بعضها مع بعض في صورة جمل وعبارات»^(١).

ولذلك يجعلون^(٢) مكونات الدلالة الأساسية:

١. اللفظ المفرد، وأنواع أصواته وارتباطه بمعناه.

٢. تولد ألفاظ جديدة من الأصل الواحد، وارتباطها بمعانيها.

٣. صلة الكلمة بغيرها في العبارات والتراكيب، وهذه المكونات هي التي يقرها العرف الاجتماعي وتحدد دلالتها بمقتضاه بمنأى عن أغراض الناطقين، وخصائصهم الفردية، ودواعي القول بينهم، يقول د. إبراهيم أنيس رحمه الله متحدثاً عن الدلالة الاجتماعية المعجمية: «تلك هي الدلالات المتعددة التي يمكن أن تستفاد من النص المنطوق به، أما تلك الدلالات الأخرى التي تستمد من الظروف والملابسات، أو ما يسمى أحياناً بسياق الكلام فمتشعبة متعددة»^(٣).

إنّ هذا التشعب والاستعصاء على التحديد، والوصف، وعدم القدرة على التنبؤ بما يطرأ على الدلالة عندما يتداول المتكلم والسامع الألفاظ، والجمل، هو الذي جعل اللغويين يعدون الدلالة الاجتماعية العرفية موضوع المعجم وهدفه يقول د. إبراهيم أنيس: «ويعنى اللغوي عادة بالتعرف على

(١) علم اللغة بين القديم والحديث ١٩١.

(٢) السابق، علم الدلالة، د. هلال ٢٢.

(٣) دلالة الألفاظ ٥١.

الدور الذي تقوم به العبارة المنطوقة، أو تلك الأصوات اللغوية التي تصدر من الفم، وتتلقفها الأذن»^(١) ويقول في موضع آخر: «وهذا القدر المشترك من الدلالة هو الذي يسجله اللغوي في معجمه، ويسميه بالدلالة المركزية... وأقصى ما يطمع فيه اللغوي هو أن يجعل تلك الدلالة المركزية واضحة في أذهان الناس»^(٢).

إنَّ الدلالة المركزية التي هي موضوع الدلالة الأساسي وهي ميدان عمل اللغوي تتسم بالآتي:

١. أنَّها قدر مشترك في أذهان الناطقين باللغة في معجمهم الذهني أو المدون.

٢. أنَّها يمكن أن توصف، وتحدد ملامحها التكوينية.

٣. أنَّ وظيفة السياق هو أن يستدعيها محددًا ومعينًا، عند تعددها إن كانت مما دخل في إطار المشترك اللفظي.

٤. أنَّ قسمة الألفاظ بحسب المعاني تباينًا، وترادفًا، واشتراكًا، وتضادًا، مبنية عليها ومركزة على ملامحها.

وأما الدلالات الأخرى فليس الأمر فيها على هذا؛ لأنَّها خاضعة لإرادة الأفراد، وأحوال الناطق، وظروف الكلام، ومسبباته، والتزام المعاجم اللغوية بما هو عرفي هو مما يدلُّ بوضوح على المنهج اللغوي وصرامته لدي لغويي العربية القدماء، فلا يوجد في المعجم شيء من

(١) السابق ٥٤.

(٢) السابق ١٠٧.

هذه الدلالات التي منشؤها تصرف الفرد في اللغة، إلا ما دخل عند توظيف النصوص في المعجم، وعند إدراج غريب القرآن، وغريب الحديث في المعجم العربية، ولذلك فالباحث يجد أنواعاً أخرى من الدلالات، وقد كان إيرادها لكونها سبباً من أسباب الغرابة، فالمعنى المجازي، أو السياقي، أو وجه الكلام ومعناه العام، أحد أنواع الدلالات في كتب الغريب، ومن ثم ظهرت في المعجم^(١) عند إدخال مادة الغريب من القرآن والحديث في المعجم، وقد كان ظهور هذه الدلالات عَرَضاً لا قَصْداً واستهدافاً، إني لا أزعم أنّ هذا المنهج قد استمر عند القدماء أو في العصر الحديث عند جميع اللغويين، بل منهم من تلمّس الفروق من خلال الأسلوب القرآني، وتفضيله استعمال كلمة على كلمة في حال، يقول الجاحظ: وقد يستحسن الناس ألفاظاً ويستعملونها، وغيرها أحق بذلك منها، ألا ترى أنّ الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوع، إلا في موضع العقاب، أو في موضع الفقر المدقع، والعجز الظاهر، والناس لا يذكرون السغب، ويذكرون الجوع، في حال القدرة والسلامة، وكذلك ذكر المطر؛ لأنك لا تجد القرآن يلفظ به إلا في موضع الانتقام، والعامّة وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر وبين ذكر الغيث^(٢).

وما قرره الجاحظ -رحمه الله- من فرق استناداً إلى الاختيار القرآني لا أرى فيه حجة، لأنّ هذه الفروق قد استدعتها ظلال الاستعمال والتغليب في

(١) انظر توظيف النصوص في المعجم العربي وأثره ٣٥٩، والدراسات اللغوية عند ابن الأثير ١٦٦، الغرابة عند أبي عبيد ٨٥.

(٢) البيان والتبيين ٤١/١.

النص الكريم، أما في سائر كلام العرب فالمطر والغيث سواء، ففي حديث المصطفى -صلى الله عليه وسلم- ورد الغيث، والمطر، فقال عليه الصلاة والسلام: «مطرنا بفضل الله ورحمته»^(١).

وقال عليه الصلاة والسلام: "مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً"^(٢).

وقد أطلع بعض المفسرين برصد فروق بين الألفاظ، منطلقين من دلالات استدعائها الأسلوب القرآني، فالتمسوا دلالات جعلوها تنقض ما تقرّر من ترادف بعض الألفاظ، وقد أعجب بهذا بعض اللغويين في العصر الحديث يقول: أ. د. ممدوح إبراهيم: «يتضح لنا أن هناك ألفاظاً قال بعض العلماء بترادفها، وبتأمل مواضع ورودها في القرآن الكريم يتضح أنّ لكل منها خاصية معنوية تختلف عن أختها، وإنّ اتحدت القصة إلا أنّ السياق مختلف»^(٣).

وهذا الرأي هو ما ارتضاه د. عبد الكريم جبل حين جعل من شروط القول بالترادف اعتبار الدلالة الهامشية فقال: «الاتحاد التام في الدلالات المركزية والدلالات الهامشية»^(٤)، ولا أدري كيف تكون الدلالة الأسلوبية و الهامشية معياراً للقول بنفي الترادف !!، إذ هي عائدة للأفراد وتجاربهم في

(١) صحيح البخاري ١٦٩/١ (٨٤٦).

(٢) السابق ٢٧/١ (٧٩).

(٣) دراسات دلالية ٩٩٤/٢.

(٤) في علم الدلالة ٣٦.

(٢) دلالة الألفاظ ١٠٧.

(٣) في اللهجات العربية ١٨٠.

الحياة واختياراتهم الأسلوبية ، وأما الترادف فبابه العرف والاتفاق العام في الاستعمال، يقول د إبراهيم أنيس رحمه الله :أما الدلالة الهامشية فهي تلك الظلال التي تختلف باختلاف الأفراد وتجاربهم في الحياة وأمزجتهم وتركيبهم وما ورثوه عن آبائهم وأجدادهم "(٢).

ولو تحرى هؤلاء الباحثون في المسألة لاتضح لهم أنّ اختلاف الأسلوب وما ينبني عليه من دلالات، وأن تجارب الأفراد وظروف حياتهم وما تملّيه وتستدعيه من معان، هي أمور فردية لا يمكن الاحتكام إليها في تقرير الدلالات اللغوية خاصة، ووصف الأنظمة اللغوية عامة، فالأسلوب الفردي تظهر فيه من الملامح اللغوية الدلالية ما لا يصح جعله عرفاً يحكم به على اللغة أجمع، يقول د. إبراهيم أنيس: «لا معنى لمغالاة بعض المفسرين حين يلتمسون في كل لفظ من ألفاظه شيئاً لا يرونه في نظرائه من الألفاظ الأخرى» (٣).

الختام

الحمد لله فاتحة كل خير وتمام كلّ نعمة، وفي نهاية هذا البحث الذي استعرضت فيه أقوال كثير من المحدثين الذين قوموا مناهج القدماء في وصف اللغة وتقييدها، مبتغيا الوصول إلى ما يمكن ترجيحه من تلك الأقوال وما يمكن رده ، محتكما في الحكم على تلك الأقوال والتقارير ، إلى ما يمكن أن يكون معياراً صالحاً وازناً من المعايير التي قررها بعض اللغويين في علم اللغة الحديث، وما يمكن أن يعد مقياساً يستأنس به للحكم على المنهج الذي درست به العربية، و يستدل به على سلامة وصف أنظمتها، وقد توصلت إلى النتائج الآتية:

١- أنّ النصوص التي تتحدث عن مناهج اللغويين والنحاة في تراثنا قليلة ومتناثرة، ورغم هذا فلا يمكن أن يكون ذلك النتاج الذي يلفت الأنظار جودة وتنظيماً وتنظيراً ومصطلحاً وحداً في تراثنا اللغوي دون منهجية دقيقة كانت تراعى، وإن لم توصف.

٢- الذين قوموا مناهج القدماء من المحدثين ،لم يراعوا خصائص العربية، ولم يطبقوا مقتضى معايير علم اللغة الحديث في دراسة اللغات، وإثماً صدروا عن انطباعات وتصورات ذاتية،

٣- الدراسات اللغوية العربية بدأت وصفية، وتجنب الأخذ المباشر من بعض القبائل لا يناقض ذاك ؛ لأنه من اشتراطات المنهج الوصفي الذي لا يؤخذ به إلا عند عدم تغير المستوى اللغوي.

٤- تطبيق المنهج المعيارى فى العربية جاء بعد مرحلة الوصف لأجل خصائص العربية، وهو ارتباطها بنصوص مقدسة جعلت المستوى اللغوي لتلك النصوص هو المعيار.

٥- أخطا كثير من الباحثين فى فهم نص أبى نصر الفارابى وحرفوه عن مفهومه فاضطربت أحكامهم على منهج اللغويين والنحاة.

٦- كان منهج اللغويين والنحاة فى توظيف الكلام لوصف النظام اللغوي دقيقا ومنضبطا، فقد أدركوا أن من الكلام ما هو فردى لا يمثل إلا أسلوب المتكلم به، ويمكن أن ينحرف فيه عن المؤلف فىأتى بجديد إبداعا، أو يأتى فيه بلحن يخالف المؤلف فى بيئته ومجتمعه.

٧- اعتمد اللغويون والنحاة فى استنباط القواعد، ووصف الأصوات، وتحديد الدلالات، على ما هو عام شائع يمثل العرف والنظام.

٨- ليس تعدد القول دوما يستدعى عند الوصف تعدد الأنظمة، فالأنظمة تبنى عند الوصف على الكثير الشائع.

٩- تفضيل نص على نص فى اعتماده ممثلاً للنظام اللغوي وجعله دليلاً عليه لا بد فيه من داع خارجى وهو كثرة النظر وشيوع الأسلوب أو قلته.

- ١٠- ١١ تغير الكلام وحدوث مستويين لغويين عند بعض القبائل العربية هو الداعي إلى تجنب الأخذ المباشر منها، واشتراط عدم التغير عند وصف النظام هو اشتراط المنهج الوصفي .
- ١١- فهم نص الفارابي عند كثير من الدارسين على غير وجهه، وتوجيهه إلى غير مقتضاه جعل تقويمهم للمنهج اللغوي والنحوي خاطئاً.
- ١٢- إدراك اللغويين والنحاة العرب للفرق في الدلالة بين ما هو عرفي وبين ما هو فردي، دليل على سلامة المنهج ودقة التصور.
- ١٣- توسع المحدثين في التقويم والنقد دون الاسترشاد بمعايير منهجية، جعل تقويمهم للمنهج اللغوي والنحوي أقرب للوصف الإنشائي منه للوصف العلمي، وسعة هذا الميدان وكثرة القول فيه تتطلب دراسات كثيرة.
- والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين.

المصادر والمراجع:

١. الاحتجاج اللغوي بين التنظير والتطبيق د عاطف فضل محمد خليل - مجلة اللغة العربية - العدد ١٨ - المجلس الأعلى للثقافة بالجزائر.
٢. الاستشهاد والاحتجاج باللغة د محمد عيد ط ٣.
٣. أصول التفكير النحوي د علي أبو المكارم ط ١ - دار غريب - القاهرة.
٤. أضواء على الدراسات اللغوية د نايف خرما ط ٢ - ١٣٩٨ - ١٩٧٨ - سلسلة عالم المعرفة.
٥. الإغراب في جدل الأعراب - أبو البركات بن الأنباري تحقيق سعيد الأفغاني ط ٢ - دار الفكر.
٦. ألف باء لابن البلوي - عالم الكتب - بيروت.
٧. البحث اللغوي عند العرب د أحمد مختار عمر ط ٨٢٠٠٣ - عالم الكتب.
٨. البيان والتبيين للجاحظ تحقيق عبد السلام هارون - مكتبة الخانجي - القاهرة.
٩. تاريخ ابن خلدون (ديوان المبتدأ والخبر) تحقيق خليل شحادة ط ٢ - ١٤٠٨ - ١٩٨٨
١٠. التعريفات للجرجاني - مكتبة لبنان - ط ١ .
١١. تقويم الفكر النحوي د علي أبو المكارم - دار غريب - القاهرة.
١٢. تكملة إصلاح ما غلط فيه العامة - أبو منصور الجواليقي - تحقيق عز الدين التنوخي - مجمع اللغة بدمشق.
١٣. توظيف النصوص في المعجم العربي د سعود آل حسين - مجلة الدراسات اللغوية - مركز الملك فيصل - الرياض.
١٤. الخصائص لابن جني تحقيق محمد علي النجار - دار الكتاب العربي - بيروت.
١٥. خصائص العربية وأثرها في التعليم - د سعود آل حسين - ضمن أبحاث ودراسات - مجمع الملك سلمان - الرياض.
١٦. الحروف لأبي نصر الفارابي تحقيق محسن مهدي - دار المشرق - بيروت.
١٧. الخلاف بين النحويين - د السيد رزق الطويل - المكتبة الفيصلية - مكة المكرمة - ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

١٨. دراسات دلالية - د ممدوح إبراهيم - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - عمادة البحث العلمي - الرياض.
١٩. الدراسات اللغوية عند ابن الأثير - د سعود آل حسين - مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض - سلسلة الرسائل الجامعية - ١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م.
٢٠. دلائل الإعجاز - عبد القاهر الجرجاني - تحقيق ياسين الايوبي - ط١ - المكتبة العصرية.
٢١. دلالة الألفاظ - د إبراهيم أنيس - ط٧ - ١٩٨٦م - دار المعارف.
٢٢. رأي في بعض الأصول اللغوية والنحوية - د عباس حسن - مطبعة العالم العربي - ١٣٧١هـ - ١٩٥٠.
٢٣. رواية اللغة والاحتجاج بها - د محمد عيد - عالم الكتب - ط١ - ١٩٨٨م.
٢٤. الصاحبي - أحمد بن فارس - ط١ - ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٢٥. صحيح البخاري - تحقيق - محمد زهير الناصر - ط١ - ١٤٢٢هـ - دار طوق النجاة.
٢٦. الظواهر اللهجية في لغة ربيعة - د يوسف فجال - المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها - ١٠ - ١٤٣٥هـ ..
٢٧. علم الدلالة - أحمد مختار عمر - ط١ - ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م - دار العروبة.
٢٨. علم الدلالة - جينيت شون، مونيك شفارتس - ترجمة - د سعيد بحيري - مكتبة زهراء الشرق.
٢٩. علم الدلالة اللغوية - د عبد الغفار هلال - ط١ - ٢٠٠٠م - جامعة الأزهر.
٣٠. علم اللغة - دي سوسير - ترجمة يوثيل يوسف عزيز - دار آفاق عربية - ١٩٨٥م - بغداد
٣١. علم اللغة - د محمود السعران - دار الفكر - ط٢ - ١٩٩٧م - القاهرة.
٣٢. علم اللغة بين القديم والحديث - د عبد الغفار هلال - مكتبة وهبة - ٢٠٠٢م
٣٣. العين للخليل بن أحمد - تحقيق د مهدي المخزومي وزميله - دار الرشيد - ١٩٨٢م
٣٤. الغرابة في الحديث النبوي عند أبي عبيد - د عبد الفتاح البركاوي - ط١ - مطبعة حسان - مصر - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٣٥. الفاضل للمبرد - تحقيق : عبد العزيز الميمني- ط١- ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م - مطبعة دار الكتب المصرية.
٣٦. في علم الدلالة - د عبد الكريم جبل - دار المعرفة الجامعية - ١٩٧٩م.
٣٧. في علم اللغة العام - د عبد العزيز علام - ط١- دار كنوز المعرفة - ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
٣٨. في اللهجات العربية - د إبراهيم أنيس - ط٦- ١٩٨٤م - الأنجلو المصرية.
٣٩. في نحو اللغة وتراكيبها - د خليل عمايرة ط١- ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م - عالم المعرفة - جدة.
٤٠. الكتاب - سيبويه - تحقيق عبد السلام هارون - ط٣- مكتبة الأنجلو المصرية - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٤١. الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي تحقيق السورقي و زميله - المكتبة العلمية - المدينة المنورة.
٤٢. المثال والشاهد في كتب النحويين والمعجميين العرب - وقائع ندوة جامعة ليون- تنسيق د حسن حمزة وزميلة- دار ومكتبة الهلال - بيروت ٢٠١٠م.
٤٣. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر- ابن الأثير - تحقيق أحمد الحوفي وطبانة- دار نهضة مصر.
- ٤٤.
٤٥. المدارس النحوية أسطورة وواقع - د إبراهيم السامرائي - ص١ - ١٩٨٧م - دار الفكر .
٤٦. مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة - د مهدي المخزومي - دار المعرفة - مصر - ١٩٥٥م.
٤٧. مرويات نخاة الكوفة - د إبراهيم المطرودي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - ط١ - سلسلة الرسائل الجامعية.
٤٨. المزهر - السيوطي - تحقيق محمد جاد المولى ورفيقه- دار الفكر.
٤٩. المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي - د خليل عمايرة - دار وائل للنشر والتوزيع- عمان - الأردن - ط١- ٢٠٠٤م.

٥٠. مسند الإمام أحمد بن حنبل - تحقيق شعيب الأرنؤوط - ط ١-١٤٢١هـ - ٢٠٠١م - مؤسسة الرسالة.
٥١. معاني القرآن للفراء - تحقيق أحمد نجاتي ومحمد علي النجار - ط ١-١٣٧٤هـ - ١٩٥٥ - دار الكتب المصرية.
٥٢. مغني اللبيب - ابن هشام الانصاري - تحقيق د مازن المبارك - دار الفكر - دمشق - ط ٦-١٩٨٥م.
٥٣. مقاييس اللغة - أحمد بن فارس - تحقيق عبد السلام هارون - دار الكتب العلمية - بيروت.
٥٤. من أسرار اللغة - د إبراهيم أنيس ط ٧-١٩٨٥ - مكتبة الأنجلو المصرية.
٥٥. من تاريخ النحو - سعيد الأفغاني - مكتبة الفلاح - الكويت - ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
٥٦. مناهج البحث اللغوي - د تمام حسان - دار النهضة العربية - ١٩٦٣ - القاهرة.
٥٧. مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة - د نعمة رحيم العزاوي - المجمع العلمي - ٢٠٠١م.
٥٨. منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث - د علي زوين - ط ١ - بغداد - ١٩٨٦م.
٥٩. المنهج المعياري وأثره في الدراسات النحوية - ريهان عبد المحسن محمد منصور - المجلة العلمية لكلية الآداب - جامعة أسيوط.
٦٠. المنهج الوصفي في كتاب سيبويه - نوزاد حسن أحمد - جامعة قار يونس - بنغازي - ١٩٩٦م.
٦١. النحو والنحاة المدارس والخصائص - خضر حمود - عالم الكتب - بيروت - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
٦٢. الوجيز في فقه اللغة - محمد الأنطاكي - ط ٣ - مكتبة دار الشرق - بيروت.

Reference:

- alahtjaj allghwy byn altnzyr walttbyq d 'eatf fdl mhmd khlyl- mjlh allghh al'erbyh – al'ed 18- almjls ala'ela llthqafh baljza'er.
- alastshhad walahtjaj ballghh d mhmd 'eyd t 3.
- aswl altfkyr alnhwy d 'ely abw almkarm t1 – dar ghryb- alqahrh.
- adwa' 'ela aldrasat allghwyh d nayf khrma t2-1398-1978- slslh 'ealm alm'erfh.
- aleghrab fy jdl ala'erab – abw albrkat bn alanbary thqyq s'eyd alafghany t2- dar alfkr.
- alf ba' labn alblwy- 'ealm alktb –byrwt.
- albhth allghwy 'end al'erb d ahmd mkhtar 'emr t 82003- 'ealm alktb.
- albyan waltbyyn lljahz thqyq 'ebd alsalam harwn – mktbh alkhanjy - alqahrh.
- tarykh abn khldwn (dywan almbtda walkhbr) thqyq khlyl shhadh t2 1408-1988
- alt'eryfat lljrjany –mktbh lbnan – t 1.
- tqwym alfkr alnhwy d 'ely abw almkarm – dar ghryb – alqahrh.
- tkmlh eslah ma tghlt fyh al'eamh –abw mnswr aljwalyqy- thqyq 'ez aldyn altnwkhy- mjm'e allghh bdmshq.
- twzyf alnsws fy alm'ejm al'erby d s'ewd al hsyn – mjlh aldrasat allghwyh –mrkz almlk fysl – alryad.
- alkhsa'es labn jny thqyq mhmd 'ely alnjar –dar alktab al'erby-byrwt.

- khsa'es al'erbyh wathrha fy alt'elym – d s'ewd al hsyn – dmn abhath wdrasat – mjm'e almlk slman – alryad.
- alhrwf laby nsr alfaraby thqyq mhsn mhdy - dar almshrq-byrwt.
- alkhla'f byn alnhwyyn –d alsyd rzq altwyl- almktbh alfyslyh – mkh almkrmh- 1405ht -1985m.
- drasat dlalyh –d mmdwh ebrahym- jam'eh alemam mhmd bn s'ewd aleslamy – 'emadh albhth al'elmy- alryad.
- aldrasat allghwyh 'end abn alathyr – d s'ewd al hsyn – mtbw'eat jam'eh alemam mhmd bn s'ewd aleslamy – alryad – slslh alrsa'el aljam'eyh -1442h -2021m.
- dla'el ale'ejaz – 'ebd alqahr aljrjany- thqyq yasy alaywby-tl- almktbh al'esryh.
- dlalh alalfaz – d ebrahym anys-t7 -1986m- dar alm'earf.
- ray fy b'ed alaswl allghwyh walnhwyh – d 'ebas hsn – mtb'eh al'ealm al'erby -1371h - 1950.
- rwayh allghh walahtjaj bha – d mhmd 'eyd – 'ealm alktb – t1-1988m.
- alsahby –ahmd bn fars –t1-1418h -1997m.
- shyh albkhary – thqyq –mhmd zhyr alnasr – t1-1422h- dar twq alnjah.
- alzwahr allhyyh fy lghh rby'eh –d ywsf fjal- almjlh alardnyh fy allghh al'erbyh wadabha -10-1-1435h..
- 'elm aldlalh – ahmd mkhtar 'emr- t1-1402h -1982m- dar al'erwbh.
- 'elm aldlalh – jyny shwn, mwnyka shfarts –trjmh – d s'eyd bhyry- mktbh zhra' alshrq.

- 'elm aldlalh allghwyh – d 'ebd alghfar hlal – t1-2000m-jam'eh alazhr.
- 'elm allghh- dy swsyr – trjmh yw'eyl ywsf 'ezyz – dar afaq 'erbyh- 1985m- bghdad
- 'elm allghh – d mhmwd als'eran- dar alfkr- t2- 1997m- alqahrh.
- 'elm allghh byn alqdyd walhdyth - d 'ebd alghfar hlal – mktbh whbh -2002m
- al'eyn llkhlyl bn ahmd –thqyq d mhdy almkhzwmy wzmylh- dar alrshyd-1982m
- alghrabh fy alhdyth alnbwy 'end aby 'ebyd – d 'ebd alftah albrkawy - t1- mtb'eh hsan – msr -1407h- 1987m.
- alfadl llmbrd – thqyq : 'ebd al'ezyz almymny-t1-1375h- 1956m- mtb'eh dar alktb almsryh.
- fy 'elm aldlalh – d 'ebd alkrym jbl – dar alm'erfh aljam'eyh - 1979m.
- fy 'elm allghh al'eam – d 'ebd al'ezyz 'elam –t1-dar knwz alm'erfh –1425h -2004m.
- fy allhjat al'erbyh –d ebrahym anys-t6-1984m- alanjlw almsryh.
- fy nhw allghh wtrakybha – d khlyl 'emayrh t1-1404h- 1984m- 'ealm alm'erfh – jd.
- alktab – sybwyh - thqyq 'ebd alsalam harwn –t3-mktbh alanjlw almsryh -1408h - 1988m.
- alkfayh fy 'elm alrwayh llkhtyb albghdady thqyq alswrqy w zmylh – almkthb al'elmyh – almdynh almnwrh.

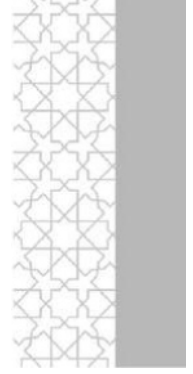
- almathal walshahd fy ktb alnhwyyn walm'ejmyyn al'erb – wqa'e'e ndwh jam'eh lywn- tnsyq d hsn hmzh wzmylh- dar wmkthb alhlal –byrwt 2010m.
- almathl alsa'er fy adb alkatb walsha'er- abn alathyr -thqyq ahmd alhwfy wtbanh- dar nhdh msr.
- almdars alnhwyh astwrh wwaq'e – d ebrahym alsamra'ey – s1 -1987m- dar alfkr.
- mdrsh alkwfh wmnhjha fy drash allghh – d mhdyy almkhzwmy – dar alm'erfh – msr – 1955m.
- mrwyat nhah alkwfh – d ebrahym almtwrdy - jam'eh alemam mhmd bn s'ewd aleslamy –t1- slslh alrsa'el aljam'eyh.
- almzhr –alsywy- thqyq mhmd jad almwla wrfyqyh-dar alfkr.
- almsafh byn altnzyr alnhwy walttbyq allghwy – d khlyl 'emayrh – dar wa'el llshr waltwzy'e- 'eman – alardn –t1- 2004m.
- msnd alemam ahmd bn hnbl- thqyq sh'eyb alarn'ewt – t 1- 1421h- 2001m- m'essh alrsalh.
- m'eany alqran llfra'- thqyq ahmd njaty wnhmd 'ely alnjar – t1-1374h- 1955-dar alktb almsryh.
- mghny allbyb – abn hsham alansary- thqyq d mazn almbark-dar alfkr –dmshq –t6-1985m.
- mqayys allghh –ahmd bn fars- thqyq 'ebd alsalam harwn – dar alktb al'elmyh –byrwt.
- mn asrar allghh – d ebrahym anys t7-1985- mktbh alanjlw almsryh.

- mn tarykh alnhw - s'eyd alafghany – mktbh alflah- alkwyth – 1400h1980 m.
- mnahj albhth allghwy – d tmam hsan – dar alnhdh al'erbyh - 1963- alqahrh.
- mnahj albhth allghwy byn altrath walm'easrh – d n'emh rhym al'ezawy- almjm'e al'elmy – 2001m.
- mnahj albhth allghwy byn altrath w'elm allghh alhdyth –d 'ely zwyyn- t1-bghdad-1986m.
- almnahj alm'eyary wathrh fy aldrasat alnhwyh- ryhan 'ebd almhsn mhmd mnswr – almjhlh al'elmyh lklyh aladab – jam'eh asywt.
- almnahj alwsfy fy ktab sybwyh – nwzad hsn ahmd – jam'eh qar ywns – bngazy- 1996m.
- alnhw walnhah almdars walkhsa'es-khdr hmwd –'ealm alktb-byrwt -1423h-2003m
- alwjyz fy fqh allghh- mhmd alantaky- t3-mktbh dar alshrq – byrwt.

**البناء المنهجي لكتاب حازم القرطاجني (منهاج البلغاء وسراج الأدباء)
ووجوه اتصاله بالرؤية النقدية الحديثة**

د. سامي بن عبدالعزيز العجلان
قسم الأدب والبلاغة والنقد - كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية





البناء المنهجي لكتاب حازم القرطاجني (منهاج البلغاء وسراج الأدباء) ووجوه اتصاله بالرؤية النقدية الحديثة

د. سامي بن عبدالعزيز العجلان
قسم الأدب والبلاغة والنقد - كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

تاريخ تقديم البحث: ١٤٤٦ هـ / ٢ / ٦ تاريخ قبول البحث: ١٤٤٦ هـ / ٤ / ١٧

ملخص الدراسة:

امتاز كتاب (منهاج البلغاء وسراج الأدباء) لحازم القرطاجني بدقة منهجية عالية، وحرص لافت على الترتيب والتبويب، والتزام صارم بمقتضيات النظر العقلي المنظم والتقسيم المنطقي المحكم، ويسعى هذا البحث إلى استكشاف روح التنظيم البارزة في الكتاب، وتحليل البناء المنهجي له؛ من خلال استقراء عناصر هذا البناء المتمثلة في: عنوان الكتاب، وبواعث تأليفه، وأقسامه وطريقة بنائه، ومصطلحاته، وشواهد، ومصادره، واستنتاج السمات المميزة لهذه العناصر المنهجية في الكتاب، وصولاً إلى وجوه التلاقي بين كتاب حازم - بينائه المنهجي وأسلوب تناوله للقضايا النقدية - وبين الرؤية النقدية الحديثة.

الكلمات المفتاحية: حازم القرطاجني، كتاب منهاج البلغاء، البناء المنهجي، البلاغة، النقد.

The Methodological Structure of Ḥāzim Qarṭājannī' s Book Minhāj Al-Bulaghā' wa Sirāj Al-Udabā' and Its Aspects of Relevance to the Modern Critical Perspective

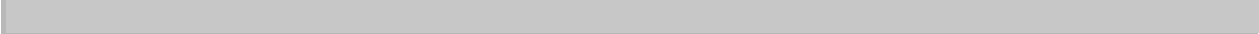
Dr. Sami Abdulaziz Al-Ajlan

Department of Literature, Rhetoric and Criticism, College of Arabic Language, Imam Mohammad Ibn Saud Islamic University

Abstract:

Minhāj Al-Bulaghā' wa Sirāj Al-Udabā' by Ḥāzim Qarṭājannī is distinguished by its meticulous methodology, remarkable attention to arrangement and classification, and strict adherence to the requirements of organized rational thought and precise logical division. This research aims to explore the prominent organization in the book, analyze its methodological structure, through an inductive study of the elements of structure, as represented in the title of the book, the motives for authoring the book, sections in the book and the method of its construction. In addition, it aims to explore the book's terminology, its paratexts, its sources and deducing the distinctive features of these methodological elements in the book, concluding with the aspects of convergence between Ḥāzim's book - with its methodological structure and style of dealing with critical issues - and modern critical perspective.

Keywords: Ḥāzim Qarṭājannī, Minhāj al-bulaghā' Book, Methodological structure, Rhetoric, Criticism.



المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أمّا بعد، فهذا بحث يتناول بالدرس كتاب (منهاج البلغاء وسراج الأدباء) للشاعر الأديب والبلاغي الناقد أبي الحسن حازم بن محمد بن حسن القرطاجي (٦٠٨-٦٨٤هـ)، منطلقاً من تحليل البناء المنهجي الذي وضعه حازم لهذا الكتاب، وتناوله الفريد للقضايا النقدية الذي يلتقي فيه مع الرؤية النقدية الحديثة.

ويتكون هذا البحث من تمهيد ومبحثين، حيث يعرف التمهيد بالكتاب ومؤلفه تعريفاً موجزاً، ويتناول المبحث الأول العناصر المرتبطة بالبناء المنهجي للكتاب، من حيث: عنوانه، وبواعث تأليفه، وأقسامه وطريقة بنائه، ومصطلحاته، وشواهد، ومصادره، ويتناول المبحث الثاني وجوه اتصال هذا الكتاب -بينائه المنهجي وأسلوب تناوله للقضايا النقدية- بالرؤية النقدية الحديثة.

والدراسات السابقة حول حازم وكتابه غزيرة جداً، وذات اهتمامات متنوعة، وقد أفاد هذا البحث من قدرٍ صالح منها؛ وبخاصة ما كان له اهتمام بالقضايا المنهجية في كتاب حازم، مثل: (ظاهرة الشعر عند حازم القرطاجي) لمحمد الحافظ الروسي، و(حازم القرطاجي: حياته ومنهجه البلاغي) لعمر عبدالمطلب، و(مناهج البحث البلاغي عند العرب) لعماد البخيتاوي.

وما تهدف إليه هذه الدراسة هو أولاً: استكشاف روح التنظيم المنهجي البارزة في الكتاب، وتتبع مظاهرها وشواهدا ودلالاتها، وهو التنظيم الذي سعى حازم من خلاله إلى غربة المباحث البلاغية والنقدية المتصلة بالشعر، وتنظيمها في نسق مترابط، ثم النظر ثانياً في: أثر هذه المنهجية العالية لهذا الكتاب في كيفية تناوله للقضايا النقدية، ومدى اتصال هذا التناول بالرؤية النقدية الحديثة.

ومنهج هذه الدراسة وصفي تحليلي يفعل آليات الرصد، والاستقراء، والموازنة، مع الاستعانة بالرصد التاريخي لعصر الكتاب وزمن المؤلف.

يُعَدُّ كتاب (منهاج البلغاء وسراج الأدباء) لحازم القرطاجي من أبرز مؤلفات البلاغة والنقد في التراث العربي، وقد عرف له مكانته جِلَّة من العلماء المتقدمين، فأشاد به أبوحيان الأندلسي في مقدمة تفسيره (البحر المحيط)، وجعل من أوثق مصادره في علم البيان: «ما وضعه شيخنا الأديب الحافظ المتبحر أبو الحسن حازم بن محمد بن حازم الأندلسي الأنصاري القرطاجي مُقيم تونس المسمَّى (منهاج البلغاء وسراج الأدباء)»^(١)، وكذلك صنع بهاء الدين السبكي في مقدمة كتابه (عروس الأفراح)^(٢)، أمَّا بدر الدين الزركشي فقد عدَّ كتاب حازم من أفضل المصنَّفات المؤلَّفة في علم البيان والبدیع^(٣)، كما استمدَّ من آرائه واقتبس منه نصوصًا مطوَّلة في مواضع عدَّة من كتابه الموسوعي (البرهان في علوم القرآن)^(٤).

طُبِعَ كتاب (منهاج البلغاء وسراج الأدباء) لحازم القرطاجي عام ١٩٦٦م بتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة عن نُسخة مخطوطة يتيمة في المكتبة العبدلية بجامع الزيتونة في تونس، وهي نسخة مبتورة من أولها، ومن آخرها، والبئر في أولها كبير، وربما ذهب معه قُرابة رُبع المخطوط؛ كما سيُبيِّن

(١) يُنظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي ١٠٧/١.

(٢) يُنظر: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، بهاء الدين السبكي ٣١-٣٠/١.

(٣) يُنظر: البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي ٣١١/١.

(٤) يُنظر: البرهان ٥٩/١، ٤٩١، ٤٠٨/٢، ٤٠٥/٣، ٢٨٨، ٣١٤، ٤٠٧.

عند الحديث عن أقسام الكتاب، كما أنه لا يمكن الجزم بمقدار البئر الذي لحق آخر النسخة، وقد رأى المحقق أنه بئر يسير^(١)، فيما قدّر بعض الباحثين أنّ هذا البئر الواقع في آخر الكتاب ليس أقلّ من البئر الكبير الواقع في أوله^(٢)، وإن كان ثمة إشارات في أواخر الكتاب تُؤيّد رأي المحقق، إذ يبدو حازم فيها وكأنه يتهيأ لختم كتابه^(٣).

من هنا يتبيّن أنّ كتاب (منهاج البلغاء) بوضعه الحالي لا يفي بتقديم تصوّر دقيق عن مشروع حازم النقدي، وبخاصة مع هذه البداية المبتورة التي لا تُقدّم أيّ تمهيد للقارئ، وإنما تصدمه مباشرة بأعقد مباحث الكتاب وأشدّها جفافاً، وتُسهم في صدد الكثيرين عن مواصلة قراءته، أو تشحنهم نفسياً ضده إذا ألزموا أنفسهم بمواصلة القراءة؛ مع أنّ نسبة كبيرة من مباحث الكتاب هي مباحث أصيلة وواضحة ومجلىّة، وتكشف عن فكر نافذ ومقدرة عجيبة في الغوص على أدقّ المعاني وأعمق الأفكار^(٤)، وقد تجلّت في الكتاب شخصية المؤلّف وفكره الخاصّ وآراؤه المتميّزة واستنتاجاته الفريدة؛ حتى لتكاد تشعر به وهو يُلوّح لك بكلتا يديه وأنت تتصفّح كتابه، وهو الأمر الذي يقلّل نظيره في

(١) يُنظر: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجيّ (مقدمة المحقّق)/١١١.

(٢) يُنظر: تقريب منهاج البلغاء، محمد أبو موسى/٢٣٤.

(٣) يُنظر: منهاج البلغاء/٣٧٣، ٣٧٩-٣٨٠، مع تعليقات المحقّق في الحاشية.

(٤) يُنظر مثلاً في منهاج البلغاء/٧١-٨٩، ١٠١-١٠٤، ١٠٩-١١١، ١١٦-١٢٦، ١٤٣-

١٤٤، ١٧٢-١٩٦، ٢٠٢-٢٢١، ٢٤٩-٢٥٢، ٢٦٥، ٢٧٠، ٢٨٧-٣٠٥، ٣٢٣-٣٢٤،

٣٤١-٣٤٤، ٣٦٣-٣٧٩.

كُتِبَ البلاغة الأخرى، ومن هنا لا أدري لماذا اتَّجه بعض الباحثين الجادّين إلى التقليل من شأن هذا الكتاب، ومن مكانة مؤلّفه بين البلاغيين؛ حتى جعله أقلَّ شأنًا من السكّاكي، والقزويني، بل حتى أقلَّ من بدر الدين بن مالك، ويحيى العلوي، ورأى أنَّ المسافة بينهم وبينه متّسعة، وأنَّ علّمه قريب لولا لغته الصعبة^(١).

والواقع أن ما هيّأ لكتاب حازم أن يكون له هذا الصيّت الكبير في الدراسات النقدية والبلاغية المعاصرة، وأن تشتغل به كلُّ هذه البحوث والمؤلّفات المتوالية في الصدور، حتى ليتمكن أن تُكوّن وحدها مكتبة بلاغية ونقدية شاملة، ليس متعلّقًا - في الأساس - بما يكشف عنه هذا الكتاب من علم مؤلّفه وإحاطته بالتراث البلاغي السابق له، بل إنه يتعلّق بالرؤية البلاغية المغايرة التي يصدر عنها هذا الكتاب، والموقف النقدي المختلف والمخالف لكثير من أساليب التناول السائدة في المؤلّفات البلاغية السابقة والمعاصرة له، وجرّأته في اجتراح هذه المحاولة النادرة في تراثنا للجمع بين أصول البلاغة العربية ومعايير الشعرية في الفلسفة اليونانية - بصرف النظر عن تفاصيل رأيها في هذه المحاولة، وموقفنا من هذا الجمع - وأخيرًا ما تميز به هذا الكتاب من روح تنظيم منهجي دقيق ولافتٍ للنظر في طريقة بنائه وتقسيمه، وكيفية تسلسل أبوابه وفصوله، وتشعُّب مباحثه ومطالبه.

(١) يُنظر: تقريب منهاج البلغاء/ ٢٠، ٣٧، ٤٧، ١٢٨.

المؤلف:

هو أبو الحسن حازم بن محمد بن حسن القرطاجي؛ نسبةً إلى مسقط رأسه: مدينة قرطاجنة الواقعة في الجنوب الشرقي من الأندلس (إسبانيا)، ففيها وُلِدَ سنة ٦٠٨هـ، وأمضى بين جنباها سني صباه وفتوته، وطلب العلم فيها وفي المدن القريبة منها كغرناطة وإشبيلية، ولم يغادر الأندلس إلا بعد حدثين جليدين ومتعاقبين، وهما: وفاة والده سنة ٦٣٢هـ، وسقوط قرطبة -وهي قاعدة الأندلس وحاضرتها الكبرى- في يد النصارى سنة ٦٣٣هـ، فتوجّه في البدء نحو مراكش في المغرب الأقصى عند الموحّدين، ثم استقرّ به المقام في تونس عند الحفصيين، وعلا شأنه فيها، وذاع فضله وعلمه، وبرز في الشعر والأدب وعلم العربية والبلاغة والعروض، فصار مقصداً لطلاب العلم، وظلّ بها في علو شأن وحسن سيرة حتى وفاته عام ٦٨٤هـ.

ومن أهم آثار حازم التي سلمت من الضياع: (المقصورة) الشهيرة التي عارضَ بها مقصورة ابن دريد، و(القصيدة النحوية)، وهي منظومة تعليمية في علم النحو، وكتابه الأشهر الذي تدور حوله هذه الدراسة: (منهاج البلغاء وسراج الأدباء)^(١)

(١) في ترجمة حازم القرطاجي يُنظر: الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي ٢٠٨/١١، وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي ٤٩١/١-٤٩٢، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الحنبلي ٦٧٦/٧، وتوسّع ابن المقرئ التلمساني في الإشادة بشعر حازم وإيراد نماذج مطوّلة من قصائده، في كتابه: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ٥٨٤/٢-٥٨٩، ٥١٩/٥-٥٢٥، وأزهار الرياض في أخبار عياض ١٧١/٣-١٨٤، وحديثاً أجاد محقق كتاب (المنهاج) في تتبّع أطراف حياة حازم والتعريف بمنزلته الشعرية ومصنّفاته العلمية؛ يُنظر: منهاج البلغاء (مقدمة المحقق) ٣٣-٩١.

المبحث الأول: عناصر البناء المنهجي للكتاب

عنوان الكتاب:

أشار عبدالرحمن بدوي إلى اختلاف المترجمين في ذكر عنوان هذا الكتاب، ومن العناوانات التي ذكروها: (منهاج البلغاء)، و(سراج البلغاء)، كما ذكر أنَّ العنوان المكتوب على غلاف المخطوط هو: (المناهج الأدبية)، وقدَّر أنَّ هذا العنوان الأخير من وضع أحد مالكي المخطوط أو القائمين على شؤون مكتبة جامع الزيتونة، ثم رجَّح أنَّ العنوان الصحيح لهذا الكتاب هو ما ذكره بدر الدين الزركشي في كتابه (البرهان في علوم القرآن)^(١)، وهو: (منهاج البلغاء وسراج الأدباء)^(٢)، وتابعه في هذا الترجيح محقق الكتاب؛ مُضيفاً أنَّ عنوان (المناهج الأدبية) الموجود على غلاف المخطوط قد كُتِبَ بخط حديث، ومستدلاً كذلك لصحَّة العنوان الراجح بنصّ السبكي عليه في كتابه (عروس الأفراح) عند سرده لمصادره^(٣)، ومن هنا فلا يُتَوَقَّف عند العناوانات المختصرة التي ذكرها بعض العلماء والمترجمين؛ لأنَّ اختصار عنوان الكتاب عند ذكره أو الإحالة عليه من الأمور الشائعة في كتب التراث^(٤).

(١) يُنظَر: البرهان ٣١١/١، وفيه يقول: «وما وضعه حازم الأندلسي المسمَّى بمناهج البلغاء وسراج الأدباء»، وفي صياغة الزركشي ما يدلُّ على دِقَّة التسمية؛ تأمَّلْ قوله: «المسمَّى بـ»، فهو نصُّ واضح على اسم الكتاب، والزركشي دقيق في مثل هذه الأمور العلمية، ولعلَّ هذا ما حدا بدوي إلى ترجيح هذا العنوان.

(٢) يُنظَر: حازم القرطاجني ونظريات أرسطو في الشعر والبلاغة، عبدالرحمن بدوي/٢.

(٣) يُنظَر: عروس الأفراح ٣٠/١-٣١.

(٤) يُنظَر: منهاج البلغاء (مقدمة المحقق)/٩٣-٩٤.

أمّا سبب اختيار هذا العنوان؛ فلعلّ حازمًا ذكره في مقدّمة كتابه التي ضاعت مع القسم المفقود من بداية الكتاب، وقد حاول بعض الباحثين الاجتهاد في هذه المسألة، ومنهم إحسان عبّاس الذي قدّم تعليلًا طريفًا للعنوان يتصل كذلك بالعنوانات الفرعية التي وضعها حازم لفصول كتابه ومباحثه وفقره، وسأذكر هذا التعليل إن شاء الله عند الحديث عن أقسام الكتاب، فهو بتلك المسألة أكثر علوفًا، أمّا محمد أبو موسى فقد أعاد تسمية حازم كتابه بالمنهاج إلى تشرّبه بالمصطلحات الفقهية والأصولية، وكلمة المنهاج وكُتِبَ المنهاج شائعة جدًا في بيئة الفقهاء والأصوليين^(١)، وما يهْمُنَا هنا هو علاقة هذا العنوان بمتن الكتاب، وهي علاقة واضحة من خلال تأمّل الطريقة التي قسّم حازم بها كتابه، فالكتاب مقسّم إلى عدّة مناهج (فصول)، وهذه المناهج مُسرّجة بإضاءات وتنويرات يضعها حازم عنوانًا على رأس كلّ فقرة من فقرات كتابه، فهي: مناهج؛ أي طُرُق يُرَوّد حازم قارئه السالك فيها بسراج دائم التوقّد يُضيء له ويُبَيِّر دربه.

(١) يُنظَر: تقريب منهاج البلغاء/١٠٧، ٢١٢، ٢٤٥.

بواعث التأليف:

أمّا النصُّ الصريح على سبب التأليف، فلعلَّ حازمًا قد ذكره في مقدِّمة الكتاب المفقودة؛ غير أنه يمكن تلُّس بعض الأسباب التي دفعت حازمًا إلى تأليف هذا الكتاب؛ عبر بعض الإيماءات التي نثرها في الكتاب، فمن ذلك إشاراته المتكرِّرة إلى تردي أوضاع الشعر وضعف الشعراء في عصره وفي العصر السابق له على امتداد مائتي عامٍ قبله: «فلم يُوجد فيهم على طول هذه المدَّة من نحا نحو الفحول، ولا من ذهب مذاهبهم في تأصيل مبادئ الكلام، وإحكام وضعه وانتقاء موادِّه التي يجب نخبته منها، فخرجوا بذلك عن مهيع الشعر، ودخلوا في محض التكلم»^(١)، وبسبب هذا الاختلال الواقع في القرائح والأذواق أصبح الناس بحاجة إلى ناقدٍ خبير بالشعر وبصناعة البلاغة؛ ليستخلص لهم القوانين الصحيحة فيها، ويدلِّهم عليها، وهي المهمة النقدية التي رأى حازم ضرورة النهوض بها: «لأرشد من لعلَّ كلامي يحلُّ منه محلُّ القبول من الناظرين في هذه الصناعة إلى اقتباس القوانين الصحيحة في هذه الصناعة»^(٢).

كما يتبدَّى لقارئ المنهاج سبب ثانٍ من أسباب تأليف الكتاب، عندما يرى احتفاء حازم الكبير ببلاغة القصيدة وتناسب فصولها، وتدقيقه النظر في أصول صنعة الشعر ومراحل إبداعه، وإكثاره تبعًا لذلك من الشواهد الشعرية، بموازاة قلة شواهد من القرآن الكريم والنصوص النثرية بعامة -وهو ما سيأتي تفصيله لاحقًا في الفقرة المخصصة لشواهد الكتاب- فهذا التباين

(١) منهاج البلاغة/١٠.

(٢) المصدر السابق/٢٨، ويُظَر فيه أيضًا/٣٧.

الواضح عنده في العناية والاهتمام بين شواهد الشعر والنثر يُوحى بأنه أراد أن يخرج بالبلاغة عن التوجُّه الكلامي الذي غلب عليها منذ القرن الرابع الهجري، وما استتبعه من بحوث ومسائل متصلة بإثبات إعجاز القرآن، إلى توجُّهه في أقرب إلى صناعة الشعر وبراعة التخييل، وهكذا اتجهت البلاغة عنده «من مجال البحث في النثر إلى البحث في الشعر»^(١).

كما أوماً حازم إلى سبب ثالث من أسباب تأليفه كتابه، وهو: رغبته في الكشف عن أصول صناعة البلاغة وجوهرها الخفي، وهو الأمر الذي لم يسلكه - بحسب رأيه وإطلاعه - أحد من البلاغيين السابقين له بسبب صعوبته؛ ولهذا اكتفوا بظواهر هذه الصناعة، وفي هذا يقول: «وقد سلكْتُ من التكلُّم في جميع ذلك مسلكاً لم يسلكه أحد قبلي من أرباب هذه الصناعة؛ لصعوبة مرامه، وتوغُّر سبيل التوصل إليه، هذا على أنه روح الصناعة وعمدة البلاغة... فإني رأيتُ الناس لم يتكلَّموا إلَّا في بعض ظواهر ما اشتملت عليه تلك الصناعة، فتجاوزتُ أنا تلك الظواهر - بعد التكلُّم في جُمْل مُقنعة بما تعلَّق بها - إلى التكلُّم في كثير من خفايا هذه الصناعة ودقائقها»^(٢)، وبغض النظر عن هذه النبذة المعتدَّة في هذا النص، وشعور التشكُّك الذي قد يُلمُّ بالقارئ المتخصِّص وهو يقرأ هذا الكلام المتجاني عن بحوث البلاغيين والنقاد السابقين لحازم - وهي البحوث التي لا يمكن إنكار ما فيها من تميّز وتعمُّق - فإنَّ الشاهد هنا هو ما في هذا النص من إيماء إلى شيء من الدوافع التي حملت حازماً على تأليف هذا الكتاب.

(١) حازم القرطاجني حياته ومنهجه البلاغي، عمر عبدالمطلب/٩١.

(٢) منهاج البلغاء/١٨، ويُظَرَّ فيه أيضاً/٥١.

أقسام الكتاب وطريقة بنائه وترتيبه:

توجّه حازم في كتابه (المنهاج) إلى دراسة الشعر وتحليل العناصر المكوّنة له، ومن هنا قسّم كتابه أربعة أقسام رئيسة، يبحث كلّ منها في جانب من الجوانب الكبرى المتعلّقة بصنعة الشعر، أمّا القسم الأول من هذه الأقسام الأربعة؛ فهو مفقود مع مقدّمة الكتاب، والنسخة الموجودة تبدأ من القسم الثاني من الكتاب، وهو: المعاني، وهو أكبر الأقسام الموجودة حجمًا، ويشغل نصف حجم الكتاب بصورته الحالية، ولم يسلم هذا القسم أيضًا من النقص الذي طال معظم مادّة المنهج (الفصل) الأول من مناهجه (فصوله)، ويليه القسم الثالث، وهو: المباني (النظم)، ويأتي هذا القسم في المرتبة الثانية من حيث الحجم بعد القسم السابق، ثم يليه القسم الرابع من أقسام الكتاب، وهو: الأسلوب، وهو أصغر الأقسام الموجودة حجمًا، وقد اعتراه النقص في آخره؛ بسبب البثر الذي لحق آخر الكتاب، وقد حاول محقّق الكتاب تقدير بعض الموضوعات التي تناولها حازم في القسم الأول المفقود من الكتاب؛ من خلال الإشارات والإحالات التي ذكرها حازم نفسه في بقية الكتاب، وكذلك من خلال بعض النصوص التي اقتبسها كلّ من: السبكي في (عروس الأفراح)، والزركشي في (البرهان في علوم القرآن)، وبناءً على هذا قدّر المحقّق أنّ حازمًا في هذا القسم المفقود: «يتناول بالبحث القول وأجزائه، والأداء وطُرّقه، والأثر الذي يحصل للسامعين عند صدور الكلام»^(١)، ثم يُشير المحقّق إلى بعض الموضوعات التي نقلها السبكي والزركشي -فيما يبدو- عن هذا القسم؛ مثل:

(١) منهاج البلغاء (مقدّمة المحقّق)/ ٩٤.

الحديث عن الضرائر، وعن الابتذال، والغرابة، والتشبيه وشروطه، والالتفات، والزيادة والقلب^(١).

غير أنَّ المحقِّق لا يصل من هذا التتبُّع إلى العنوان الجامع الذي تنطوي تحته كلُّ مباحث القسم الأول من الكتاب، وقد تتبَّعتُ من جانبي هذه المسألة عبر نصوص حازم في الكتاب ومنهجه في تناول قضاياها، فلفت نظري أنه كان في مواضع عدَّة من الكتاب يُشير إلى جوانب الصناعة الشعرية، فيجعلها في أربعة مستويات متصاعدة -بدءًا من الأقلِّ تركيبًا إلى الأعقد-: مستوى الألفاظ، ومستوى المعاني، ومستوى النظم، ومستوى الأسلوب؛ كقوله مثلاً: «قد أشرنا إلى بعض ما ينحو الشعراء نحوه فيما يرجع إلى أمورٍ لفظية، أو معنوية، أو نظمية، أو أسلوبية، وأوماتُ إلى مذاهبهم في ذلك»^(٢)، فإذا استحضرنَا موضوعات الأقسام الثلاثة الأخيرة المتبقيَّة من الكتاب، وجدناها على التوالي: المعاني، والنظم، والأسلوب، وقد رُتِّبَت هذه الأقسام على الترتيب نفسه الموجود في نصِّ حازم السابق وفي نصوصه الأخرى المحال إلى مواضعها في الحاشية، وقد تتبَّعتُ من جهة أخرى إشارات حازم وإحالاته في القسم المتبقي من كتابه إلى هذا القسم المفقود منه، فوجدتُ جُلَّ هذه الإحالات تتعلَّق

(١) يُنظر: المصدر السابق (مقدِّمة المحقِّق)/٩٥، ويُنظر أيضًا محاولة محمد العمري في كتابه البلاغة العربية أصولها وامتداداتها/٥١٢-٥١٨ لإعادة بناء القسم الأول المفقود من الكتاب، وتقدير موضوعات مباحثه؛ من خلال النصوص المتناثرة التي قيَّدتها بعض المصادر اللاحقة نقلًا عنه.

(٢) المصدر السابق/٣٧٣، ويُنظر المواضع الأخرى فيه/٢٩٥-٢٩٦، ٣٠٩، ٣١٠، ٣٦٦، ٣٧٩-٣٨٠.

بالألفاظ، والحالات التي تعرض لها^(١)، ومن هذا كله يمكن القول -بظنٍ راجح-: إنَّ عنوان القسم الأول المفقود من الكتاب هو: الألفاظ^(٢).

هذا هو إذن التقسيم العام للكتاب: قسم للألفاظ، وقسم للمعاني، وقسم للنظم، وقسم للأسلوب، فهي الأبواب الكبرى للكتاب، وفي كلّ باب من هذه الأبواب الكبرى يعقد حازم فُصُولًا متسلسلة يُسمّيها (مناهج)، وهو يُراعي الدقّة حتى في عدد هذه المناهج داخل كلّ قسم، فيجعل عددها موحدًا بين الأقسام، وهو: أربعة مناهج، وداخل كلّ منهج من هذه المناهج تتوالى المباحث التي يُطلق حازم عليها تسميتين متناوبتين: (مُعَلِّم)، و(مَعْرِف)، وقد يُضيف إليها تسمية ثالثة غالبًا ما تكون في أواخر المنهج، وهي (مَأْم). ثم في كلّ مبحث: (مُعَلِّم، وَمَعْرِف، وَمَأْم) تترتّب الفقرات: فِقْرَةٌ فِقْرَةٌ، وقد أخذت كلّ منها إحدى التسميتين المتناوبتين: (إضاءة)، و(تنوير)، فهو كتاب ذو تقسيم هندسي خالص، ومن النادر أن تجد في كُتُب البلاغة العربية القديمة مثل هذه الدقّة في التبويب والتقسيم لأبواب الكتاب وفصوله ومباحثه وفقراته.

وقد حاول إحسان عبّاس أن يتلمّس بعض الخيوط التي تربط هذه التسميات الفريدة التي أطلقها حازم في كتابه؛ بدءًا من عنوان الكتاب، ومورورًا

(١) يُنظر: منهاج البلغاء/١٧، ١٩، ٤٤، ٩٣، ١٣٢، ٢٢٢.

(٢) كنتُ أظنُّ أني لم أُسبق إلى هذا الاستنتاج؛ لكني بعد أن أُنهيْتُ قراءة كتاب حازم، وبدأتُ في قراءة الدراسات التي تناولته وجدتُ أنَّ شكري عيَّاد قد سبقني إلى هذا الاستنتاج، يُنظر: كتاب أرسطوطاليس في الشعر، حَقَّقَه مع ترجمة حديثة ودراسة لتأثيره في البلاغة العربية شكري محمد عيَّاد/٢٤٣ (حاشية ٦)، غير أنه لم يُعلِّل هذا الاستنتاج كما فعلتُ، وإنما ذكر أنه توصَّل إليه: «من بعض الإشارات الواردة في الأقسام التالية».

بعنوانات الأبواب والفصول والمباحث والفقرات، فراح يربط بين دلالة الجزء الأول من العنوان (منهاج البلغاء)، وبين العناونات الفرعية التي قسّم حازم بها فصول كتابه ومباحثه، وهي: (منهج)، وهو: الطريق الواسع، و(معلم) و(معرف)، وهما: إشارتان تدلان على هذا الطريق من خلال العلم والمعرفة، و(مأم) يُفضي إلى غاية هذا الطريق، ثم ربط بين دلالة الجزء الثاني من العنوان: (سراج الأدباء)، وبين العناونين الفرعيين اللذين قسّم حازم بهما فقر كتابه، وهما: (إضاءة)، و(تنوير)، فهذه الإضاءات والتنويرات هي من فيض هذا السراج الوهّاج الذي أقامه هذا الكتاب، وهذا يعني أنّ الساري على هذا المنهاج -أي الطريق- يستدلّ بهذه المعالم والمعارف والمآم، ويستنير بالسراج الذي يُعطيه إضاءة وتنويرًا في دربه^(١).

ومع هذا فلا يمكن أن ننكر أن كثرة المشاعل والإضاءات المتوهّجة التي نصبها حازم على امتداد منهاجه ربما تسببت في بعض الارتباك الذي يُلمّ بقارئ المنهاج وهو ينتقل باستمرار بين هذه العناونات الكبرى والصغرى المتلاحقة، ولا سيما العناونات ذات الصياغات المطوّلة التي كان بالإمكان اختصارها والتعبير عنها بأسلوب أوضح؛ كقوله مثلاً: «معرف دالٌّ على طرق المعرفة بما يجب اعتماده في الفصول من جهة اشتمالها على أوصاف الجهات التي هي مسانح

(١) يُنظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، إحسان عباس/ ٥٨١-٥٨٢.

أقنّاص المعاني ومعاوضة التخيل فيهما بالإقناع على الوضع الذي يليق بذلك
ويجسّن به موقعه من النفوس»^(١).

مصطلحات الكتاب:

لعلّ أبرز ما ما يُلحَظ في هذه المسألة عند حازم هو جمعه بين
المصطلحات البلاغية العربية، والمصطلحات الفلسفية اليونانية، فهو يتأسّى
بالبلاغيين السابقين له في الوقوف عند المصطلحات البلاغية المعروفة؛ مثل:
المطابقة، والمقابلة، والتقسيم، والتفسير، والتفريع، والمبالغة والغلو، والتلاؤم
وحُسن التأليف، والتضمين، وحُسن المطالع (الابتداء) وحُسن المقاطع (الختام)،
وحُسن التخلُّص، والالتفات، والاستطراد^(٢)، وهو في دراسته لهذه المصطلحات
يترسّم الحدود التي رسمها البلاغيون قبله لمفاهيمها وأقسامها، والفروق الدقيقة
بينها؛ وإن كانت له بعض الآراء المتميّزة في هذا الجانب؛ مثل رأيه اللافت في
أسلوب الترقّي الذي خالف به الرأي الشائع في أنّ الترقّي إنما يكون غالبًا من
الأدنى إلى الأعلى، فقد رأى أنّ الغالب والأفصح عكس ذلك؛ وإن رأى غير
ذلك من لا يُميّز قوانين صناعة الشعر^(٣)، وكذلك رأيه المستقل في ظاهرة القلب
التي توسّع بعض اللغويين في تقريرها^(٤).

(١) منهاج البلغاء/٢٩٢، ويُظَرّ شواهد أخرى فيه أيضًا/٤٠، ٤٨، ٩٨، ١٣٠، ١٤٥، ١٩٩،
٢٢٦، ٢٧١، ٣٠٣، ٣٢٧، ٣٦٥.

(٢) تُنظَر دراسة حازم لهذه المصطلحات في منهاج البلغاء/٤٨-٦١، ١٣٣-١٤٣، ١٥٤-١٥٧،
٢٢٢-٢٢٥، ٢٧٦-٢٧٧، ٢٨٢-٢٨٦، ٣٠٤-٣٢٣.

(٣) يُنظَر: منهاج البلغاء/١٠١-١٠٤.

(٤) يُنظَر: المصدر السابق/١٧٩-١٨٤.

وفي الوقت نفسه، وبين هذه المباحث البلاغية الخالصة تجده يعقد مباحث متنوّعة لدراسة بعض المصطلحات الفلسفية المتعلّقة بالشعر، وأهمّها مصطلحا: المحاكاة، والتخييل اللذان أطب في الحديث عنهما؛ محرّراً مفهوميهما، ومبيّناً طُرُق وقوعهما، وذاكراً أقسامهما بعدّة اعتبارات، وكلُّ ذلك بتفصيل وتدقيق وطول نفّس يُدكّرنا بتقسيمات مدرسة السكّاكي لفنّ التشبيه^(١)، وقد بيّن حازم سبب احتفائه بهذين المصطلحين حين قرّر أنّ التخييل -وهو ثمرة المحاكاة- هو المعتبّر في مفهوم الشعر؛ لأنّ «الشعر: كلامٌ محيّلٌ موزون»^(٢)، ويؤكد في موضع آخر هذه المنزلة الخاصة للتخييل في الشعر فيقول: «فالتخييل هو المعتبّر في صناعته»^(٣).

على أن تمييز حازم بين مصطلحي: المحاكاة، والتخييل لم يكن حاسماً دائماً، ففي بعض المواضع نراه يجمع بينهما في الوصف والأحكام، وكأنه يعدّهما قرينين أو متداخلين في مفهوميهما^(٤)، ومن هنا استنتج جابر عصفور ترادف المصطلحين عنده^(٥)، وعدّ مصطفى الجوزو هذا التداخل دليلاً على اضطراب حازم وخلطه بين المصطلحين^(٦)، بينما رأى يوسف الإدريسي أن بينهما فرقاً دقيقاً عند حازم يتمثّل في أن المحاكاة هي وسيلة التصوير، وأن التخييل هو

(١) يُنظر في منهاج البلغاء/٨٩-١٢٩.

(٢) المصدر السابق/٨٩.

(٣) المصدر السابق/٧١.

(٤) يُنظر: منهاج البلغاء/٩٢، ٩٧.

(٥) يُنظر: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، جابر عصفور/٣٠١.

(٦) يُنظر: نظريات الشعر عند العرب، مصطفى الجوزو ١/١٣٦.

غايته^(١)، وكأنّ المحاكاة أعلق بصنعة الشاعر، والتخييل أعلق بأثرها في المتلقي^(٢).

وبالإضافة إلى المصطلحات السابقة التي تابع فيها من سبقه ابتدع حازم مصطلحات جديدة لوصف بعض الظواهر الشعرية التي درسها، وقد صرّح حازم بابتداعه مصطلحي (التسويم)، و(التحجيل)، وبيّن أصل معنيهما في اللغة، وعلاقة ذلك بمُراده منهما في الشعر، وهو: وصف طريقة الشُّعراء البارزين في التمهيد لكلِّ فصل من فصول القصيدة بالبيت المهيّئ لموضوعه، فكأنه تسويمٌ له، وفي تذييل الفصل كذلك بيت من الحكمة أو الاستدلال المناسب لموضوع الفصل، فكأنه تحجيلٌ له^(٣).

وفي كتاب حازم كذلك كثير من المصطلحات العروضية؛ بسبب دراسته المتمهّلة للأوزان الشعرية وللقوافي، وقد خصّص لها المنهج الثاني من القسم الثالث في كتابه، ومن هنا أورد المصطلحات الخاصّة بأسماء البحور الشعرية القديمة منها والمحدّثة، وكذلك المصطلحات المتعلّقة بالأسباب والأوتاد التي تتكوّن منها هذه البحور، وبالزحافات والعِلل التي تعرض لها، وكذلك الحال بالنسبة للمصطلحات الخاصّة بالقوافي^(٤)، وقد أضاف حازم إلى الحقل العروضي مصطلحات جديدة ناتجة عن إعادته النظر في كثير من المصطلحات والمفاهيم والتقسيمات التي تداولها العروضيون قبله، فقد عدّ مثلاً إحدى الصُّور

(١) يُنظر: مفهوم التخييل في النقد والبلاغة العربيين، يوسف الإدريسي/ ٢٨٠-٢٨٦.

(٢) يُنظر: ظاهرة الشعر عند حازم القرطاجني، محمد الحافظ الروسي ٦٣٨/٢.

(٣) يُنظر: منهاج البلغاء/ ٢٩٥-٣٠٢.

(٤) يُنظر: المصدر السابق/ ٢٢٦-٢٧٥.

التي اصطلح العروضيون قبله على أنها من صُور وزن (مُخْلَع البسيط)، وهي صورة (مستفعلاتن مستفعلاتن)؛ عدَّ هذه الصورة وزنًا مستقلًّا ومختلفًا، وأطلق على هذا الوزن مصطلحًا خاصًّا، فقال: «ولنصطلح على تسميته باللاحق»^(١).

أشير أخيرًا إلى مصطلحات من نوع آخر تشيع في عبارات حازم على امتداد الكتاب، وهي المصطلحات والتعبيرات المنطقية التي تزيد من غموض أسلوبه في بعض مباحث كتابه، ومنها: (الإيجاب، والسلب، والعرض، والجوهر، والنسبة، والامتناع، والإمكان، والوجوب، والاستحالة، والتطالب، والأقوال الاقتصادية، والأقوال التقصيرية، والحال الوسطى)^(٢).

الشواهد وطريقة الاستشهاد في الكتاب:

من أقدم الملاحظات التي أخذت على كتاب حازم قِلَّة الشواهد فيه، فقد قال فيه ابن القُوبع كلمته المشهورة التي أوردها ابن رُشيد في كتابه عن رحلته، وهي: «ولمَّا وقفتُ على قوانينه ووعيتها - وإن كان ترك التمثيل لها - صار كلُّ ما أقرأه وأنظر فيه من كلامٍ بليغٍ أو بديعٍ؛ يصير كُله لي أمثلةً لتلك القوانين»^(٣)، والواقع أنَّ حازمًا لم يترك التمثيل والاستشهاد جملةً في كتابه، فالكتاب يضمُّ شواهد كثيرة؛ ولكنَّ الإشكال أنه كان يستشهد للمسائل والأفكار الواضحة، وأحيانًا يُكثر من إيراد الشواهد فيها، وهي مسائل سبقه

(١) المصدر السابق/٢٥٦، ويُنظر فيه أيضًا/٢٣٨.

(٢) يُنظر: منهاج البلغاء/٣٨، ٤٤، ٦٢، ٧٦، ٧٨-٨٠، ١٣٧، ١٤٥.

(٣) ملء الغيبة بما جُمع بطول الغيبة، لابن رُشيد/١١٧: أ (مخطوط في مكتبة الأسكوريال)، نقلًا

عن: منهاج البلغاء (مقدِّمة المحقِّق)/٣٧، ١١٦.

إليها وإلى إيراد شواهدا كثير من البلاغيين^(١)، ثم تجده عندما يعرض للمسائل والأفكار الدقيقة التي لا تصادفها عند غيره يُقَلِّل - في الغالب - من الشواهد فيها، وقد لا يستشهد في كثير من هذه المواضع بأيِّ شاهد، وإنما هو كلام تنظيريٌّ جافٌّ مُرهقٌ لذهن القارئ الذي يحاول أن يتتبع المقصود من عباراته، وأنَّ يهجمس بمراده منها ظناً دون يقين^(٢).

وقد أسهمت هذه الظاهرة في زيادة الغموض الذي يتَّسم به أصلاً أسلوب حازم في مناقشته لهذه المسائل الدقيقة، وهو ما أشار إليه محمد أبو موسى حين قال: «ولم أقرأ كتاباً في البلاغة ولا في النحو يسكت سكوتاً كاملاً في بعض أبوابه عن الشاهد والمثال إلا في هذا الكتاب؛ مع أنَّ من مظاهر افتقار الكتاب للخطَّة الواضحة والواحدة أنك تجد أحياناً شواهد كثيرة يمكن أن يكتفي ببعضها لمسائل مشهورة ربما يُستغنى فيها عن الشاهد لشيوعه، ثم تجد مسائل أخرى شديدة الغموض، وليس لها مثال ولا شاهد يُعين على فهمها، فتُضطرُّ إلى أنَّ تفهمها على وجهٍ من التوهُّم»^(٣).

ومن هنا رأى بعض الباحثين أن كتاب حازم أقرب إلى أن يكون كتاباً في أصول البلاغة وفلسفتها^(٤)، وليس في البلاغة التحليلية أو التطبيقية المعتادة،

(١) يُنظر مثلاً في منهاج البلغاء/٤٨-٦١، ١٣٣-١٤٣، ١٤٩-١٦٦، ١٨١-١٩٦، ٣٠٧-٣٢٣.

(٢) تُنظر هذه المواضع في المصدر السابق/١١-٤٣، ٦٢-١٢٩، ١٩٩-٢٢٥، ٣٣٧-٣٥٨.

(٣) تقريب منهاج البلغاء/١٣٤.

(٤) يُنظر: منهاج البلغاء (تقديم الفاضل بن عاشور)/١٠، وظاهرة الشعر عند حازم القرطاجي ١٥٩/١.

«فالكتاب لا يهتمُّ بوضع معايير القول البليغ، بقدر اهتمامه باكتشاف أصول هذا القول، وأسباب الحسن فيه، فكان عمل الرجل تنظيرياً بالأساس، لا يهتمُّ بإيراد الأمثلة التطبيقية وتحليلها وبيان سرّ الجمال فيها»^(١).

ومع أن ابن القُوبِيع - كما ينقل ابن رُشيد في النص السابق - قد وصل استحضاره وفهمه لقوانين حازم إلى أن يجد في كلّ ما يقرأه من الكلام البليغ شواهد وأمثلة لهذه القوانين؛ فإن هذا الاستحضار ظلّ مقتصرًا عليه، إذ لم يصل إلينا كتاب له يبيّن هذا الفهم والاستحضار، ولو فعل، فلربما كشف باجتهاده شيئاً من الغموض الذي يلفُّ كلام حازم في مواضع متعدّدة من كتابه، ولا سيّما أن ابن القُوبِيع قد وُصِفَ بأنه: «كان يتوقّد ذكاء، ومهر في الفنون؛ حتى إذا صار يتحدّث في شيء من العلوم تكلم في دقائقه وغوامضه؛ حتى يقول القائل: إنه أفنى عمره في ذلك»^(٢)، كما أنه يتفق مع حازم في ثقافته الفلسفية، وقد قيل عنه: إنه كان كثير المطالعة لكتاب (الشفاء) لابن سينا، وله تأليف في تفسير القرآن وفي الشعر^(٣).

وقد تنوّعت شواهد حازم بين شواهد شعرية - وهي معظم شواهد الكتاب - وشواهد قرآنية أو إشارات لها^(٤) - وهي قليلة - وشاهدين من الحديث

(١) مناهج البحث البلاغي عند العرب، عماد البخيتاوي/٣٢٨.

(٢) بغية الوعاة ١/٢٢٧، وطبقات المفسّرين، شمس الدين الداوودي ٢/٢٣٩.

(٣) يُنظر: بغية الوعاة ١/٢٢٧-٢٢٨، وطبقات المفسرين ٢/٢٤٠.

(٤) يُنظر: منهاج البلغاء/٧٥، ١٨٣-١٨٤.

الشريف والسيرة النبوية^(١)، وشواهد نثرية متنوعة^(٢)، وأمثلة نثرية مصنوعة^(٣)، وهو يُورد شواهد - في الغالب - كاملة؛ لكنّه قد يجتزئ في بعض المواضع محلّ الشاهد من البيت، ويكتفي بإيراده وحده^(٤).

ولهذا الرجحان الكميّ للشواهد الشعرية في الكتاب دلالاته الواضحة على أن بؤرة الانشغال البلاغي والنقدي عند حازم هي: الشعر، وليس الانشغالات الكلامية والإعجازية التي استقطبت جهود عدد كبير من البلاغيين السابقين والمعاصرين له كذلك، والذين لم يسلموا من انتقاده لمسلكتهم؛ كما سيأتي في الفقرة القادمة.

مصادر حازم في كتابه، وموقفه من الآخر^(٥):

يمكن تصنيف أهمّ مصادر حازم في كتابه المنهاج في ثلاثة أقسام:
فالقسم الأول: هو كُتُب البلاغيين والنقاد العرب السابقين له.
والقسم الثاني: كُتُب الفلسفة والمنطق؛ وبخاصّة تلك التي ترجمت أو لخصّت أو

(١) يُنظر: المصدر السابق/٧٩، ١٦٧ .

(٢) يُنظر: المصدر السابق/٣٠، ٥١، ٥٤.٥٥، ١٠٣، ١٥٥، ٢٧١ .

(٣) يُنظر: منهاج البلغاء/١٥، ٣٦، ١٠٨، ١٣٧ .

(٤) يُنظر: المصدر السابق/٣٦، ٥٧، ١٧٤، ٢٢٣، ٢٧٢، ٣١٢-٣١٤ .

(٥) تجتمع في كتاب حازم الدلالة اللغوية العامّة للفظ (الآخر)، والدلالة الفكرية الخاصّة له، فقد جمع حازم بين التشرب بالثقافة العربية والتأدّب بآدابها، والإفادة من النقاد والبلاغيين (الآخرين)، وبين الاطّلاع على شيء من المعارف عند (الآخر) المختلّف حضاريّاً، وبخاصّة ما يتعلق بالفلسفة اليونانية، وقد كان له موقف مستقل من كل هؤلاء (الآخرين)؛ كما تبينّه هذه الفقرة.

شرح كتاب أرسطو في الشعر ، وبعض كُتُب سُقراط وأفلاطون.

والقسم الثالث: تجربة حازم الشعرية، وخبرته الواسعة في هذا الميدان، واستقراءه الذاتي للشعر العربي؛ لاستخراج قوانين الصناعة الشعرية منه، وهذا القسم الأخير لا يحتاج إلى بسط وتفصيل؛ لوضوح الأمر فيه، وبروزه أمام عيني كلِّ مَنْ يقرأ كتاب حازم، ويُدرك ما فيه من أصالة وتفرد، وقد نوّه كثير من الباحثين بهذا المصدر الذاتي لأفكار حازم، وأشاروا إلى تميّزه في هذا الجانب، وأنه قد أثرى ووسّع كثيرًا من الأفكار التي وجدها عند سابقيه، كما أضاف إليها أفكارًا جديدة^(١)، والقسمان: الأول، والثاني من مصادر حازم هما اللذان يحتاجان إلى وقفة متمهّلة خاصّة بكلِّ منهما.

فأمّا القسم الأول من مصادر حازم، وهو: كُتُب البلاغيين والنقاد العرب السابقين له، فقد صرّح حازم بالنقل عن بعضهم، وسكت عن آخرين، وأبرز البلاغيين والنقاد الذين نقل عنهم بكثرة وأعلى من شأنهم، وظهر تأثره الواضح ببحوثهم اثنان: قدامة بن جعفر^(٢) في كتابه (نقد الشعر)، وابن سنان الخفاجي^(٣) في كتابه (سرّ الفصاحة)، وقد أشار محقّق الكتاب وغيره إلى تأثر

-
- (١) يُنظر: منهاج البلغاء (مقدّمة المحقّق)/١١٥، ١١٧، وحازم القرطاجني ونظريات أرسطو في الشعر والبلاغة/٦، وتاريخ النقد الأدبي عن العرب/٥٧٧-٥٧٨، وحازم القرطاجني ونظرية المحاكاة والتخييل في الشعر، سعد مصلوح/٤٦، وتقريب منهاج البلغاء/٤٧، ١١٦، ١٨٥، ٢٠١، ٢٠٥.
- (٢) يُنظر: منهاج البلغاء/٢٥، ٤٨، ٥٢، ٨٧، ١٤٠، ١٤١، ١٦٥-١٦٧، ١٦٨، ٣٣٦.
- (٣) يُنظر: المصدر السابق/٥٣، ١٣٨-١٣٩، ١٤٠، ١٤١-١٤٢، ١٤٦، ١٦٨، ١٨٢-١٨٣.

حازم بمهذين الكتابين؛ وإن لم يُبيّنوا بالتفصيل مواضع هذا التأثر^(١)، وفي كتاب المنهاج كذلك إشارات ونقول قليلة لآراء عُلماء آخرين؛ مثل: الخليل بن أحمد^(٢)، والجاحظ^(٣)، وأبي الفرج الأصفهاني^(٤)، وأبي علي القالي^(٥)، والآمدي^(٦).

ويبدو أنّ حازمًا قد سكت عن بعض المصادر البلاغية التي رجع إليها، وظهر أثرها في كتابه، وهو بالجملة ميّال أكثر إلى حكاية آراء البلاغيين والنقاد السابقين له، وتلخيص مواقفهم واختلافاتهم، دون التصريح بأسمائهم، كما صنع مثلاً في مسألة الصدق والكذب في الشعر^(٧)، وفي مسألة استعمال الألفاظ الجافية في الشعر^(٨)، وفي مسألة المفاضلة بين الشعراء^(٩)، وعند تناوله لأسلوب القلب^(١٠)، ولأسلوب السجع كذلك^(١١).

-
- (١) يُنظر: المصدر السابق (مقدّمة المحقّق)/١١٥، وتاريخ النقد الأدبي عند العرب/٥٧٩-٥٨٠، وتقريب منهاج البلغاء/١٣٤-١٣٥.
- (٢) يُنظر: منهاج البلغاء/١٤٣-١٤٤.
- (٣) يُنظر: المصدر السابق/٨٧، ١٣٨، ١٩٢.
- (٤) يُنظر: المصدر السابق/٣٧٧.
- (٥) يُنظر: منهاج البلغاء/١٥٣.
- (٦) يُنظر: المصدر السابق/١٦٨.
- (٧) يُنظر: منهاج البلغاء/٧٥، ٨٣، ٨٦-٨٧.
- (٨) يُنظر: المصدر السابق/١٥٢.
- (٩) يُنظر: المصدر السابق/٣٧٨.
- (١٠) يُنظر: منهاج البلغاء/١٧٩-١٨٢.
- (١١) يُنظر: المصدر السابق/٣٨٨.

وقد توسَّع بعض الباحثين في تقدير هذه المصادر المسكوت عنها، فذكروا أنَّ حازمًا قد يكون تأثَّر بكُتُب: ابن قتيبة، وابن طباطبا، وأبي هلال العسكري، وابن رشيق، وابن الأثير^(١)، وعلى خلاف هؤلاء الباحثين رجَّح محمد أبو موسى أنَّ حازمًا ضعيف الصِّلة بالتراث البلاغي الذي سبقه، وأنَّ قِلَّة اطلاعه على هذا التراث هي التي جعلته يُصدِّر أحكامًا غير دقيقة على جهود البلاغيين السابقين له؛ كقوله: إنهم تكلموا في ظواهر هذه الصناعة؛ دون روحها وجوهرها^(٢).

وأبعد من هذا أن يكون حازم قد اطَّلَعَ على بحوث عبد القاهر الجرجاني البلاغية وتأثَّر بها، فليس في كتابه ما يُظهر هذا التأثُّر، وبحوث عبد القاهر وأفكاره البلاغية هي من القوَّة والتميز بحيث تدلُّ على نفسها، ومع هذا فقد أبَّح بعض الباحثين إلى تقرير هذا التأثُّر، فربط بين فكرة (معنى المعنى) عند عبد القاهر، وفكرة (المعاني الأوائل والمعاني الثواني) عند حازم؛ مع إقراره أنَّ المقصود بكلٍّ منهما متباين عند الرجلين، كما أشار إلى تقارب موقفهما في التقليل من شأن السرقات الشعرية؛ لأنَّ نظرية النظم عند عبد القاهر تنفي اتحاد المعاني مع تفاوت النظم، وحديث حازم عن المعاني الجمهورية في الشعر وأنَّ معظم معاني الشعر مستمدَّة منها يُشير إلى أنَّ المعاني إرثٌ مشترك بين

(١) يُنظر: منهاج البلغاء (مقدِّمة المحقِّق)/١١٥، وتاريخ النقد الأدبي عند العرب/٥٦٧، وظاهرة الشعر عند حازم القرطاجني ١٤٦/١-١٥٢، ونظرية الشعر عند حازم القرطاجني ومصادرها العقلية والنقلية، عبد الفتَّاح عثمان، حوليات كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، ١٣٤، ١٩٩١م/٩١-٩٣.

(٢) يُنظر: تقريب منهاج البلغاء/٤١-٤٢، ١٩٠، ٢٠٨، وسبق الاستشهاد بنصِّ حازم هذا في فقرة: بواعث التأليف.

الشُّعراء^(١)، وعلى النقيض من هذا جزم محمد أبو موسى بعدم اطلاع حازم على بحوث عبد القاهر، واستدلَّ على هذا بتباين منهجي الرجلين تبايناً شديداً في تناولهما لمسائل بلاغية ونقدية معيَّنة^(٢).

ويظهر أنَّ قِلَّةَ اطلاع حازم على التراث البلاغي السابق له -وبخاصَّةَ الإعجازيّ منه- عائدٌ إلى موقفه المبدئيِّ الراض لدخول المتكلمين في حقل الصناعة الشعرية، ويبدو أنه قرأ بعض بحوثهم في البلاغة، فلم تُرقِّ له، ورأى أنَّهم تورَّطوا في الحديث عن صناعة لا يُتقنونها؛ بسبب احتياجهم إليها عند الحديث عن إعجاز القرآن، فيُلْمِئُون بها دون تمكُّن منها، ثم يتكلمون فيها بما هو محض الجهل بها؛ على حدِّ تعبيره، ومن هنا هاجمهم هجوماً لاذعاً في كتابه، وحملهم مسؤولية الترويج لبعض الأفكار الخاطئة في تصوُّر الشعر، ومنها: أنَّ الشعر يقوم على الكذب^(٣)، وأظنُّ أنَّ حازماً لو كان قد اطَّلَعَ على بعض البحوث الإعجازية المتميِّزة التي كتبها بعض المتكلمين السابقين له؛ ولا سيما عبد القاهر الجرجاني، والزمخشري؛ لربما قلَّل من حِدَّة هذا الهجوم الموجَّه ضيَّدهم.

وأما القسم الثاني من مصادر حازم، وهو (كُتُبُ الفلسفة والمنطق)؛ وبخاصَّةَ تلك التي ترجمتْ أو لَحِّصَتْ أو شرحتْ كتاب أرسطو في الشعر، وبعض كُتُب سُقراط وأفلاطون؛ فكتابه يحمل شواهد واضحة على تأثره بها،

(١) يُنظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب/٥٧٨-٥٧٩.

(٢) يُنظر: تقريب منهاج البلغاء/٩٥، ١٦٢. وفي الحديث عن وجوه التباين بين منهجي الرجلين في تناول المسائل البلاغية يُنظر كذلك: كتاب أرسطوطاليس في الشعر/٢٧٤، وتاريخ النقد الأدبي عند العرب/٥٧٨.

(٣) يُنظر: منهاج البلغاء/٨٦-٨٧.

وتزوَّده منها، وحازم يُشير بوضوح إلى بنائه بعض مباحثه: «على ما أصَّله أهل صناعة المنطق؛ كابن سينا وغيره»^(١)، كما يحضُّ قارئه على أن يصعد معه إلى: «مِرْقاة البلاغة المعضودة بالأُصول المنطقية والحِكمية»^(٢)، وفي مواضع متعدِّدة من الكتاب يتحوَّل حازم إلى شارح ومستنبط ومفصِّل لنصوص ابن سينا الواردة في تلخيصه لكتاب الشعر لأرسطو^(٣)، كما استعان حازم كذلك بنصوص الفارابي في الشعر^(٤)، أمَّا تلخيص ابن رشد لكتاب الشعر لأرسطو فلم يستشهد حازم بأيٍّ من نصوصه في الكتاب؛ مع أنَّ ابن رشد هو شيخ شيخه أبي علي الشلوبي، ومن المستبعد ألا يكون قد اطلع على هذا التلخيص، وقد اجتهد بعض الباحثين المعاصرين في هذه المسألة، فذكروا أسبابًا متعدِّدة لهذا الإغفال^(٥).

وقد بيَّن حازم موقفه من كتاب الشعر لأرسطو، فأشار إلى ما فيه من خلل ونقص، وعلَّل ذلك بأنَّ أرسطو استمدَّ قواعد كتابه من أشعار اليونانيين، وهي ذات أغراض محدودة، وأنه لو اطلع على أشعار العرب، ورأى تفنُّنهم في

(١) المصدر السابق/٦٤.

(٢) المصدر السابق/٢٣١، ويُظَر فيه أيضا/٢٤٤.

(٣) يُنظَر: منهاج البلاغة/٦٩-٧٠، ٧٤، ٧٨، ٨١، ٨٣-٨٦، ٩٢، ١١٦-١١٨، ١٢٤، ١٢٥، ٢٦٦.

(٤) يُنظَر: المصدر السابق/٨٦، ١٢٣.

(٥) يُنظَر: حازم القرطاجي ونظريات أرسطو في الشعر والبلاغة/٢-٣، ومنهاج البلاغة (مقدِّمة المحقِّق)/١١٨، وحازم القرطاجي ونظرية المحاكاة والتخييل في الشعر/٥٢-٥٥، وتقريب منهاج البلاغة/٢٦٣.

الحِكم والأمثال والاستدلالات، وضروب إبداعهم وتصرفهم في المعاني؛ لزداد على ما وضع من القوانين الشعرية^(١)، كما استشهد بنصوص للفيلسوفين اليونانيين: سقراط، وأفلاطون^(٢) يبدو أنه استقاها من ترجمات لكتبهم، وفي الكتاب شواهد أخرى واضحة على تأثر حازم بكتب الفلسفة والمنطق وآراء أرسطو الواردة في كتابه عن الشعر^(٣)، ومن هنا مال معظم الباحثين إلى تقرير تأثر حازم في كتابه هذا بالفلسفة اليونانية، وآراء أرسطو في الشعر على وجه الخصوص^(٤).

أمّا محمد أبو موسى فقد أنكر وجود هذا التأثير، وبذل جهداً كبيراً في مناقشة هذه المسألة؛ رافضاً القول الذي ردّده كثير من الباحثين المعاصرين، وهو أنّ حازماً مزج بين البلاغتين: العربية، واليونانية، واحتجّ لرأيه هذا بحجج كثيرة لا يسع ذكرها هنا، وإن كانت تستحق التأمل، مع موازنتها برأيه المختلف في مؤلفاته الأقدم^(٥).

(١) يُنظر: منهاج البلغاء/٦٨-٦٩.

(٢) يُنظر: المصدر السابق/١١٩، ٣٣٠.

(٣) يُنظر: المصدر السابق/١٥، ٢٠، ٣٦، ٧١، ٧٦، ٧٨، ١٤٥، ٢٦٦، ٣٢٧، ٣٣٥.

(٤) يُنظر: منهاج البلغاء (مقدمة المحقق)/٣٢، ٩٨-٩٩، ١٠٣، ١٠٨، ١١٨، وحازم القرطاجي ونظريات أرسطو في الشعر والبلاغة/٢-٥، وكتاب أرسطوطاليس في الشعر/٢٤٤-٢٤٦، ٢٦٣، ٢٦٥، ٢٧٤-٢٧٧، وحازم القرطاجي ونظرية المحاكاة والتخييل في الشعر/٤٦-٤٨، ٥٠، ونظرية الشعر عند حازم القرطاجي ومصادرها العقلية والنقلية/٧٥-٧٦، ٩٦.

(٥) يُنظر: تقريب منهاج البلغاء/٣، ٢٠-٢٢، ٢٩-٣١، ٤٨، ٤٩، ٦٤، ٦٥، ٧٤-٧٧، ٨٠، ١١٦، ١٣١، ١٣٤-١٣٥، ١٨٥، ٢١٢، ٢٢٥، ٢٢٨، ٢٣٨، ٢٤١-٢٤٧، ٢٨١-٢٨٤، ويُقارن برأيه المختلف حول هذه المسألة في كتابه الأقدم: التصوير البياني/١٣٥، فقد أقرّ هناك بأنّ حازماً: «درس أرسطو واستوعبه... وكان لذلك أثر واضح في منهجه وعبارته».

ولعلّ مبالغة بعض الكتّاب المعاصرين في ادعاء تأثير كتاب أرسطو على معظم البلاغيين العرب، وتمحّلهم في إثبات هذا التأثير تمحّلاً غريباً^(١) هي التي دفعت محمد أبو موسى إلى إنكار مسألة التأثير بالجملة؛ حتى عن حازم القرطاجني، ولكنّ هناك فارق كبير بين الادعاء بتأثير معظم البلاغيين العرب بكتاب أرسطو، وعلى رأسهم مؤسّسو البيان العربي: الجاحظ، وابن المعتزّ، وعبدالقاهر الجرجاني؛ كما ذهب إلى ذلك طه حسين مثلاً^(٢)، وبين القول: إنّ هذا التأثير اقتصر على فئة قليلة من هؤلاء البلاغيين، ومنهم: حازم القرطاجني الذي تنطق عباراته وأفكاره واقتباساته في كتابه بهذا التأثير.

-
- (١) يُنظر على سبيل المثال: بلاغة أرسطو بين العرب واليونان، إبراهيم سلامة/٢٥٤، ٢٥٧، ٢٦٩-٢٧٠، ٢٨٦.
- (٢) يُنظر: مقدمة طه حسين لكتاب نقد النثر المنسوب لقدامة بن جعفر/١١-١٩، ٢٨-٣١.

المبحث الثاني: وجوه الاتصال بين كتاب حازم والرؤية النقدية الحديثة

ابتداءً فإنَّ النظر الأولي في كتاب حازم يُشعر القارئ بقرّبه من طبيعة التفكير والتأليف النقديّ المعاصر، فالكتاب أولاً مقسّم بطريقة منهجية صارمة يعرفها كلّ من قرأ الكتاب، ورأى هذه التسميات الخاصّة التي وضعها حازم بحرص شديد لتمييز فُصول كتابه ومباحثه وفقراته: (منهج، معلّم، معرف، مأمّ، إضاءة، تنوير).

كما أنّ الكتاب ثانياً يمتاز بشمولية النظر النقديّ، وباستيعابه - كما يقول إحسان عبّاس - لـ «أكثر المشكلات النقدية التي عرضت للنقد الأدبي على مرّ الزمن؛ من خلال منهج قائم على نوع من المنطق الخاصّ بصاحبه؛ ولكنه منهجٌ شموليٌّ أيضاً لا يُغفل أبداً ثلاثية هامة كان النقاد يكتفون بالنظر إلى واحد دون الآخر من أضلاعها، وتلك هي: الشاعر، والعملية الشعرية، والشعر، وقد أولى حازم هؤلاء الثلاثة عناية متساوية على وجه التقريب»^(١)، كما أنه لم يغفل وهو يقدّم هذه الرؤية النقدية المتكاملة للشعر عن أن يحقق التوازن «بين العناصر الأربعة التي لا يمكن اكتمال أية نظرية في الشعر دونها، أعني: العالم الخارجي، والمبدع، والنص، والمتلقي»^(٢).

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب/٥٧٧، ولعلّه يقصد بالعملية الشعرية حديث حازم المفصّل عن مراحل إبداع القصيدة والخطوات التي يسلكها الشاعر في نظمها، وسيأتي التنبيه إلى هذه المسألة بإذن الله.

(٢) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب/٥٧.

كذلك فإنَّ الكتاب ثالثًا يُظهر اطلاع صاحبه على ثقافات أخرى غير عربية (يونانية على وجه الخصوص)، وقد استعان ببعض نظرات أرسطو في الشعر؛ ليؤسِّس ما سمَّاه: «البلاغة المعضودة بالأصول المنطقية والحِكْمية»^(١)، وهو التأسيس الذي لم يكن قائمًا على التقليد الأعمى والانبهار بما عند الآخرين، بل هو التأسيس القائم على الفرز والانتخاب واختيار الأصلح، والوعي بطبيعة البلاغة العربية وامتيازها بخصائص ذاتية مختلفة عن البلاغة اليونانية، وهو ما جعله ينتقد عمل أرسطو في كتابه عن الشعر، ويُشير إلى ما فيه من خلل وقصور، وأنَّ سبب ذلك اعتماده على أشعار اليونانيين، وهي ذات أغراض محدودة، ولو كان أرسطو اطلع على أشعار العرب، ورأى تفنُّنهم في الحِكم والأمثال والاستدلالات، وضروب إبداعهم وتصرفهم في المعاني؛ ل زاد على ما وضع من القوانين الشعرية^(٢).

وما يهْمُنَّا هنا هو تقرير هذه السِّمات العامَّة التي تتَّسم بها جهود حازم النقدية في كتابه هذا، وهي: البناء المنهجي الدقيق للكتاب، وشمولية النظر النقدي، والإفادة من الثقافات الأخرى، وهذه السِّمات الثلاثة هي من أوضح خصائص النقد الحديث.

أمَّا الآراء والمسائل النقدية التفصيلية التي يلتقي حازم فيها، أو

(١) منهاج البلغاء/٢٣١، ويُنظر في الكتاب مواضع تأثُّره بالمنطق والفلسفة اليونانية، وبآراء أرسطو في الشعر على وجه الخصوص/١٥، ١٩-٢٠، ٣٦، ٦٢-٧١، ٧٦-٧٨، ١١٩، ١٤٥، ٢٦٦، ٣٢٧-٣٣٥.

(٢) يُنظر: منهاج البلغاء/٦٨-٦٩.

يتقاطع مع النقد الأدبي الحديث، فيمكن الإشارة هنا إلى عدد من الآراء والمسائل المهمّة في هذا المجال؛ لكن لا بدّ في البدء من التذكير بأنّ حازمًا في بعض هذه الآراء قد تأثّر بلا ريب بمن سبقوه، وقد يكون استقى بعض هذه الآراء من المصادر الفلسفية التي كان يرجع إليها؛ وبخاصّة كُتُب الفلاسفة العرب الذين حلّصوا أو شرحوا كتاب أرسطو في الشعر، وعلى رأسهم: ابن سينا، صحيح أنّ حازمًا لم يكن ناقلًا لهذه الأفكار فحسب، بل توسّع في إثباتها، وبني عليها؛ ولكنّ هذا لا يمنع من تقرير هذا التأثير، وسأسرد هنا هذه المسائل مجملّة، ثم سأنتقل لتفصيل الحديث عن كلّ منها بعد ذلك، وهي على النحو الآتي:

- ١- تعريف المعنى.
- ٢- مفهوم الشعر وارتباطه بالتخييل.
- ٣- الموقف من الغموض في الشعر، ومن الإغراب والتعجيب فيه.
- ٤- الاهتمام بالمتلّقي.
- ٥- العناية بمفهوم الأسلوب.
- ٦- النظر الكلّي للقصيدة، وتقسيمها إلى فصول متتابعة.
- ٧- الاحتفاء بالتجربة الشعرية، والاعتناء بمراحل إبداع القصيدة.

١- تعريف المعنى:

وهذه المسألة تتصل ببعض الاتجاهات الشكلية الحديثة في النقد الأدبي التي تأسست على منجزات علم اللغة الحديث عند دي سوسير وتلاميذه، ومن هذه المنجزات: حديثهم عن بعض الثنائيات اللغوية، ومنها ثنائية: الدالّ، والمدلول^(١)، وقد وجدت عند حازم تعريفًا للمعنى يقترب إلى حد كبير من تعريف هذه المدرسة للمدلول، وفيه يُشير إلى المعاني باعتبارها مدلولات ذهنية، وإلى الدالّ بنوعيه: الملفوظ، والمكتوب، وفي هذا يقول: «إنّ المعاني: هي الصُّور الحاصلة في الأذهان عن الأشياء الموجودة في الأعيان، فكلُّ شيء له وجود خارج الدّهن فإنه إذا أدرك حصلت له صورة في الدّهن تُطابق لما أدرك منه، فإذا عبّر عن تلك الصورة الذهنية الحاصلة عن الإدراك أقام اللفظُ المعبرَ به هيئة تلك الصورة الذهنية في أفهام السامعين وأذهانهم، فصار للمعنى وجودٌ آخر من جهة دلالة الألفاظ، فإذا احتيج إلى وضع رسوم من الخطّ تدلُّ على الألفاظ من لم يتهيأ له سماعها من المتلقّظ بها، صارت رسوم الخطّ تُقيم في الأفهام هيئات الألفاظ، فتقوم بها في الأذهان صُورُ المعاني، فيكون لها أيضًا وجودٌ من جهة دلالة الخطّ على الألفاظ الدالّة عليها»^(٢).

(١) يُنظر في تعريف هذين المفهومين والحديث عنهما: الأسلوبية والأسلوب، عبدالسلام المسدي/١٥٣، والخطيئة والتكفير، عبدالله الغدامي/٤٤-٤٥.
(٢) منهاج البلغاء/١٨-١٩.

فالمدلول أو المعنى عند حازم هو كما قال: صورة حاصلة في الأذهان عن الأشياء الموجودة في الأعيان، أمّا الدالّ فهو: التعبير عن هذا المدلول الذهني من خلال اللفظ المنطوق حيناً، أو من خلال الرسم المكتوب الذي يحاكي اللفظ المنطوق حيناً آخر، وعبر هذه العلاقة المتسلسلة بين الدالّ والمدلول يتحقق للمعنى ثلاثة أشكال متوازية من الوجود، وهي: الوجود الذهني، والوجود اللفظي المسموع، والوجود الكتابي المرسوم، وكأنّ الوجود العينيّ للأشياء في الواقع لا يحمل في حدّ ذاته (معنى) عند حازم قبل تحقّق التفاعل البشري معه من خلال تشكّل صورة ذهنية عنه في عقل إنسان، وهكذا فانبثاق المعنى إنما يتحقق من خلال المرور عبر أضلاع هذا المثلث المترابط: (الشيء، والذهن، والصورة المعنوية الحاصلة من تفاعلتهما)، وهو ما يذكّرنا بالمثلث الدلالي عند دي سوسير^(١).

٢- مفهوم الشعر وارتباطه بالتخييل:

على الرغم من تأثّر حازم الواضح بقدامة بن جعفر، فإنه لم يتابعه في تعريفه المنطقيّ المشهور للشعر، وهو أنه: «قولٌ موزون مقفّى يدلّ على معنى»^(٢)، فقد انتقد هذا التصوّر الناقص للشعر عند بعض من: «ظنّ أنّ كلّ كلام مقفّى موزون شعر»^(٣)، وقدّم مفهوماً مغايراً للشعر قائماً على مراعاة أهمّ خصائص الشعر، وهي: التصوير، أو ما سمّاه: التخييل؛ متأثراً في

(١) يُنظر: منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، علي زوين/١٤٦.

(٢) نقد الشعر، قدامة بن جعفر/١٧.

(٣) منهاج البلغاء/٢٧، وقد كرّر حازم هذا الانتقاد في مواضع عدّة من كتابه/٢٦، ٢٨، ١٢٥.

هذا يبحث الفلاسفة السابقين له في هذه المسألة؛ وبخاصة ابن سينا، وفي تقرير هذا يقول: «الشعر: كلام مخيّل موزون مختصّ في لسان العرب بزيادة التفنية إلى ذلك، والتثامه من مقدّمات تخيلية، صادقة كانت أو كاذبة، لا يُشترط فيها - بما هي شعر - غير التخييل»^(١).

ولأجل هذا عقد حازم مباحث واسعة في كتابه لتحرير مفهوم التخييل مع المفهوم المقارن له، وهو مفهوم المحاكاة^(٢)، وقد بذل حازم جهداً كبيراً في كتابه لتبديد الوهم الذي شاع عند كثير من البلاغيين السابقين له، وهو أنّ الشعر مبنيّ على الكذب، ويبيّن بوضوح أنّ كلّاً من الصدق والكذب واردٌ في الشعر، وأنّ الصدق فيه أكثر؛ لأنه أحرى بقبول المتلقّين له وتأثيرهم به؛ ولكنّ كلّاً من الصدق والكذب ليس محدّداً من محدّدات الشعر، إذ المحدّد الأساسي لمفهومه هو أنه قائمٌ على التخييل، فقد يكون الشعر صادقاً، وقد يكون كاذباً؛ ولكنه دائماً وفي كلتا الحالتين مُخيّل: «إذ ما تتقوّم به الصناعة الشعرية - وهو التخييل - غير مناقض لواحد من الطرفين؛ فلذلك كان الرأي الصحيح في الشعر أنّ مقدّماته تكون صادقة، وتكون كاذبة، وليس يُعدّ شعراً من حيث هو صدق، ولا من حيث هو كذب، بل من حيث هو كلام مخيّل... فالتخييل هو المعتبر في صناعته، لا كون الأقاويل

(١) منهاج البلاغ/٨٩، وفي الكتاب تعريف آخر للشعر مقارب لهذا التعريف/٧١.

(٢) يُنظر: المصدر السابق/٨٩-١٢٩.

صادقة أو كاذبة»^(١). وهذا الاستبعاد الحاسم لثنائية الصدق والكذب عن مفهوم الشعر، من خلال التركيز على وظيفة التخيل فيه هو من إنجازات حازم النقدية التي تجاوز بها الجدل النقدي الممتد قبله^(٢).

وقد أشاد عدد من الباحثين المعاصرين بهذا التصوُّر الشامل للشعر عند حازم، وربطه الحاسم بين الشعر والتصوير، وعدُّوا تعريفه للشعر أنضج تعريف للشعر في تراثنا النقدي؛ من حيث تضمُّنه العناصر الأساسية لمفهوم الشعر^(٣)؛ مع الإشارة إلى تأثُّر حازم في هذا التعريف بكلام ابن سينا قبله^(٤). وهذا الربط الوثيق بين مفهوم الشعر وعنصر التصوير هو من الأمور المقرَّرة في النقد الأدبي الحديث^(٥).

(١) المصدر السابق/٦٣، ٧١، ويُظَرِّح بحث حازم المستوفي لهذه المسألة على امتداد الصفحات/٦٢-٨٩، ١٣٦.

(٢) يُنظَر: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها/٥٠٧.

(٣) يُنظَر: مفهوم الشعر دراسة في التراث النقدي، جابر عصفور/١٣، والمرايا المقعَّرة، عبدالعزيز حمودة/٣٢٨، ٣٣٠، ٣٣٢، ٣٥٠، ونظرية الشعر عند حازم القرطاجني ومصادرها العقلية والنقلية/٧٦-٧٧.

(٤) يُنظَر: نظرية الشعر عند حازم القرطاجني ومصادرها العقلية والنقلية/٧٦-٧٧.

(٥) يُنظَر: النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال/٣٧٦-٣٧٩، ٤١٠-٤٦٠، وفي النقد الأدبي، شوقي ضيف/١٦٧-١٧٥.

٣- الموقف من الغموض في الشعر، ومن الإغراب والتعجيب فيه:

عقد حازم عِدَّة مباحث في كتابه للحديث عن الغموض في الشعر، وعن أسباب وقوعه؛ من جهة المعاني، أو من جهة العبارات الدالَّة على المعاني، أو من الجهتين معاً، وقد فصَّل القول في هذه المسألة تفصيلاً يندر وجوده عند غيره من النقاد العرب، وتعدُّ دراسته هذه من أوسع الدراسات التي دارت حول الغموض وأسبابه في نقدنا القديم^(١)، وقد قرَّر حازم فيها بوضوح أنَّ أكثر مقاصد الكلام تقتضي الإغراب والوضوح والتصريح؛ لكن قد يُقصد في بعض المواضع الإغماض والإبهام لُكُتة تقتضيها مقاصد الكلام وضروبه، ثم توقَّف عند بعض الظواهر المسيِّبة للغموض؛ مثل الاشتراك، والقلب، والتعقيد اللفظي، ولأنَّ الوضوح مطلب أساسي لفهم الشعر عند حازم مضى يُرشد الشعراء إلى بعض الحيل التي تكشف الغموض وتبيِّن المعاني عند الاضطرار إلى التعبير عن بعض المعاني العميقة أو الخاصة، أو استخدام بعض العبارات المجمَّلة^(٢).

وكأنَّ حازماً يرى أنَّ الأصل أنَّ يكون الشعر واضحاً؛ إلَّا أن يكون المعنى المعبر عنه دقيقاً في نفسه، فيُستساغ غموضه؛ بشرط أن يتحيل الشاعر له من الحيل ما يُقرِّبه إلى القارئ قدر الإمكان، فلا يكون غموضه مطبقاً،

(١) يُنظر: موقف حازم من قضية الغموض في الشعر مقارناً بمواقف النقاد السابقين، محمد الهدلق،

مجلة جامعة الملك سعود، مج ٤، الآداب (٢)، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ٣٣٧، ٣٤٤، ٣٦٠.

(٢) يُنظر حديث حازم في هذه المسألة في منهاج البلغاء/١٧٢-١٨٧، ٢٢٣.

وبهذا يتبيّن أنّ حازماً نصير للوضوح في الشعر، ومنحاز له، وهذا ما قرّره عدد من الباحثين المعاصرين^(١). وفي مسلك حازم هذا شاهد على أنّ الوضوح مطلب أساسي عند العرب، وهو من الخصائص الأصيلة للفكر والأدب العربيين^(٢)، وأنّ الغموض الذي يقبله بعض نقّادنا القدامى؛ مثل حازم القرطاجني، ويحتفي به بعضهم؛ مثل أبي إسحاق الصابي^(٣)، وعبدالقاهر الجرجاني^(٤) هو الغموض النسبي الذي يشفّ عن المعنى، ولا يُطبّق عليه^(٥)، وهذا الغموض النسبي المعتدل هو ما دعا إليه أيضاً عدد من أعلام النقد الأدبي الحديث^(٦).

أمّا مسألة الإغراب والتعجيب في الشعر، فموقف حازم منها مختلف، فقد احتفى بها غاية الاحتفاء، وجعل اشتمال الشعر على الإغراب من مكملات مفهومه، فقد قال بعد أن عرّف الشعر: «وكلُّ ذلك يتأكّد بما يقتزن به من إغراب، فإنّ الاستغراب والتعجّب حركة للنفس إذا اقترنت

(١) يُنظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب/٥٦٢-٥٦٣، وموقف حازم من قضية الغموض في الشعر/٣٣٥، ٣٤٤-٣٤٥، ٣٤٧، ٣٥١-٣٥٢، ٣٦٠.

(٢) يُنظر: من صيد الخاطر في النقد الأدبي، وليد قصّاب/٥٧-٥٩.

(٣) يُنظر: رسالة في الفرق بين المترسّل والشاعر، أبو إسحاق الصابي، ضمن كتاب: رسائل تراثية في النقد والبلاغة/٧١-٧٣، ويُقارن بما في: موقف حازم من قضية الغموض في الشعر/٣٤٩-٣٥١.

(٤) يُنظر: أسرار البلاغة، عبدالقاهر الجرجاني/١٣٩-١٤٨، ويُقارن بما في: موقف حازم من قضية الغموض في الشعر/٣٥٣-٣٥٥.

(٥) يُنظر: من صيد الخاطر في النقد الأدبي/٦٤-٦٥، ٧٣-٧٤.

(٦) يُنظر: النقد الأدبي الحديث/٤١٨-٤٢٧، وفي النقد الأدبي/١٢٩-١٣٧.

بحركتها الخيالية قوي انفعالها وتأثرها»^(١) . وجعل حازم الغرابة من الصفات الأساسية التي يتميز بها جِد الشعر من رديئه^(٢)، كما جعل الصورة الخيالية (التخييل) مرتبطة بالغرابة والتعجب، وفي هذا يقول: «والقول المخيّل قلّما يخلو من التعجب، بل كأنه مستصحب له من أقلّ ما يمكن من ذلك في القول المخيّل إلى أكثر ما يمكن»^(٣)، ويقول: «وكَلّما اقترنت الغرابة والتعجب بالتخييل كان أبدع»^(٤).

وقد بيّن حازم مُرادَه من التعجب المطلوب في الشعر، والأساليب التي يسلكها الشعراء لتحقيقه، فقال: «ويُحسّن موقع التخييل من النفس أن يُترامى بالكلام إلى أنحاء من التعجب، فيقوى بذلك تأثر النفس لمقتضى الكلام، والتعجب يكون: باستبداع ما يُثيره الشاعر من لطائف الكلام التي يقلّ التهديّ إليها، فورودها مُستندَر مُستطرّف لذلك؛ كالتهديّ إلى ما يقلّ التهديّ إليه من سببٍ للشيء تخفى سببته، أو غاية له، أو شاهد عليه، أو شبيه له، أو معاند، وكالجمع بين مفترقين من جهة لطيفة قد انتسب بها أحدهما إلى الآخر، وغير ذلك من الوجوه التي من شأن النفس أن تستغريها»^(٥).

(١) منهاج البلغاء/٧١.

(٢) يُنظر: المصدر السابق/٧١، ٧٢.

(٣) المصدر السابق/١٢٧.

(٤) منهاج البلغاء/٩١.

(٥) المصدر السابق/٩٠.

ثم يُبيِّن حازم الأثر النفسي الذي يُحدثه الإغراب والتعجيب في نفس المتلقِّي، فيقول: «وللنفوس تحرُّك شديد للمحاكيات المستغربة؛ لأنَّ النفس إذا حُيِّل لها في الشيء ما لم يكن معهودًا من أمر معجَّب في مثله وجدت - من استغراب ما حُيِّل لها ممَّا لم تعهده في الشيء - ما يجده المستطرِف لرؤية ما لم يكن أبصره قبل... وفنون الإغراب والتعجيب في المحاكاة كثيرة، وبعضها أقوى من بعض، وأشدُّ استيلاءً على النفوس وتمكُّنًا من القلوب»^(١).

ويصل حازم بعد هذا إلى السرِّ النفسي الذي يُعطي الإغراب هذه المكانة في الشعر، ويجعله قادرًا على جذب المتلقِّي وأسرِّه، وليس هذا السرُّ سوى عنصر المفاجأة الذي ينطوي عليه الإغراب، وفي هذا يقول بعد أن يُقسِّم التشبيه قسَمين: «القسم الأول: هو التشبيه المتداول بين الناس، والقسم الثاني: هو التشبيه الذي يُقال فيه: إنه مختَرع، وهذا أشدُّ تحريكًا للنفوس إذا قدَّرنا تساوي قوة التخييل في المعنيين؛ لأنها أنست بالمعتاد، فربَّما قلَّ تأثرها له، وغير المعتاد يفجؤها بما لم يكن به لها استئناس قطَّ، فيزعجها إلى الانفعال بديها؛ بالميل إلى الشيء والانقياد إليه، أو التُّفرة عنه والاستعصاء عليه»^(٢). وعلى امتداد الكتاب يستمرُّ حازم في ربط الشعر والتخييل فيه بالإغراب والتعجيب والاستجداد والإبداع^(٣)، وكلام حازم في

(١) منهاج البلاغ/٩٦.

(٢) المصدر السابق، الموضع ذاته.

(٣) يُنظر: منهاج البلاغ/٨٤، ٨٦، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٨، ١٢٩، ٢١٥-٢١٦، ٢٤٥، ٢٤٩، ٢٩١، ٢٩٥.

هذه المسألة يقترب إلى حدٍ كبير من كلام النقاد المعاصرين -وبخاصة أصحاب الاتجاه الأسلوبى- عن تميّز اللغة الشعرية بالخروج عن النمط العادي للكلام، وعدولها عن التعبيرات المألوفة؛ لتتمكّن من خلال هذا الانزياح من مفاجأة المتلقّي، وتحقيق ما يُسمّى: خيبة الانتظار^(١).

٤ - الاهتمام بالمتلقّي:

لعلّ حازمًا من أكثر النقاد العرب اعتناءً بعلاقة الشعر بالمتلقّي، وأسباب تأثيره فيه، وكل الحديث السالف الذي تضمّنته الفقرة السابقة حول الإغراب والتعجيب في الشعر هو من الشواهد كذلك على الحضور القوي للمتلقّي في ذهن حازم، بل إنّ معظم صفحات كتاب حازم لا تخلو من إشارة إلى هذا المتلقّي، فقد تحدّث فيه عن المعاني الجمهورية التي يفهمها معظم الناس، ويبيّن أنّ أعرق المعاني الشعرية مستمدّة منها؛ لشدّة تأثيرها في النفوس، يستوي في ذلك خواصّ الناس وعوامّهم^(٢)، كما ردّد مرارًا على امتداد الكتاب أنّ الغرض من الشعر ومن التخيل فيه هو تحريك النفوس إلى أمرٍ ما وإنهاضها إلى فعله^(٣)، وركّز على أثر المحاكاة في المتلقّي، وكيف تلتدّ النفوس بالمحاكاة أكثر من الشيء المحكي نفسه^(٤)، ثم كيف تؤثر المحاسن

(١) يُنظر: الأسلوبية والأسلوب/١٦٢-١٦٥، واللغة والإبداع مبادئ علم الأسلوب العربي، شكري عياد/٧٨-٨١، والبلاغة والأسلوبية، محمد عبدالمطلب/٢٦٨، ومن صيد الخاطر في النقد الأدبي/٣٦-٣٧.

(٢) يُنظر: منهاج البلغاء/٢٠-٢١، ٢٨-٣٠، ١٨٨.

(٣) يُنظر: المصدر السابق/٣٠-٣١، ٨١، ٨٢، ٨٦، ١٠٦، ٢٩٤، ٣٤٦-٣٤٨.

(٤) يُنظر: المصدر السابق/١١٦-١١٨.

التأليفية المصاحبة للمحاكاة في تحسين الشيء المحكي؛ مثلما تزيد آنية الزجاج والبلور التي تشفُّ عن المشروب من تلذُّذ شاربه به^(١)، ومن هنا نصح الشاعر باعتماد هذه المحاسن التأليفية لاستمالة المتلقِّي، والتأثير فيه، ومن هذه المحاسن: التعجيب والإغراب - وقد تقدَّم الحديث عن هذه المسألة - ومنها: مراعاة التناسب والانسجام بين أنواع الشيء وضروبه^(٢)، ومنها: المروحة بين المعاني، والافتنان في الأساليب لإمتاع السامع، والحذر من ضجره فيما لو استمرَّ الشاعر على أسلوب واحد^(٣).

ومن اللافت حقًّا أن معظم عنوانات المناهج في كتابه - وهي بمثابة الفصول الأساسية للكتاب - وعلى الرغم من اختلاف الموضوع الذي يُعنى به كلُّ منهج؛ فإن هذه العنوانات كانت تُختم بعبارة مكررة تتجه مباشرةً للمتلقِّي، وهي قوله: (من حيث تكون مُلائمة للنفوس، أو مُنافرة لها)، مع اختلاف يسير جدًّا في الصياغة في بعض هذه العنوانات^(٤).

(١) يُنظر: منهاج البلغاء/ ١١٨-١٢١، ١٢٩.

(٢) يُنظر: المصدر السابق/ ٢٤٥-٢٤٩.

(٣) يُنظر: المصدر السابق/ ٦١، ٢٩١، ٢٩٦، ٣٤٨، ٣٥٩-٣٦٣، ٣٨٨-٣٨٩.

(٤) يُنظر: منهاج البلغاء/ ٩، ١١، ٦٢، ١٣٠، ١٩٩، ٢٢٦، ٢٨٧، ٣٠٣، ٣٢٧، ٣٣٦، ٣٥٤. وقد سبق إلى التنبيه على هذه الملحوظة مجدي توفيق في كتابه مفهوم الإبداع الفني في النقد العربي القديم/ ٢٥٠، لكنه عمم الملحوظة، وجعلها شاملة لجميع عنوانات مناهج الكتاب: «لم يفلت من هذه العبارة منهج واحد»، ولكنَّ الرجوع إلى كتاب حازم يُظهر خطأ هذا التعميم، فقد خلا عنوان المنهج الأخير في الكتاب من هذه العبارة؛ يُنظر: منهاج البلغاء/ ٣٦٥.

بل إن رصد المعجم النقدي في كتاب حازم يُظهر انتشارًا واسعًا للألفاظ المتصلة بالمتلقي فيه، وقد أحصى محمد التجاني أكثر من ستين لفظًا استعملها حازم في كتابه للتعبير عن التلقي وأحواله والمؤثرات فيه؛ مثل: الألفة، والتأنيس، والتأثير، والتحريك، والابتهاج، والارتياح، والاستحسان، والاهتزاز، والتعجب، والاستغراب، والنشاط، والنفور، والمخاطب، والسامع، والجمهور^(١).

غير أنَّ أبرز الأفكار المتعلّقة بالمتلقي التي تقاطع فيها حازم مع بعض نظريات التلقي المعاصرة إشارته إلى مسألة: أهميّة الاستعداد عند المتلقي، وأثره في الكيفية التي يتلقّى بها الشعر، وما فيه من إبداع وتخييل، وفي هذا يقول: «وليست المحاكاة في كلّ موضع تبلغ الغاية القصوى من هزّ النفوس وتحريكها، بل تُؤثّر فيها بحسب ما تكون عليه درجة الإبداع فيها، وبحسب ما تكون عليه الهيئة النطقية المقترنة بها، وبقدّر ما تجدد النفوس مستعدّة لقبول المحاكاة والتأثّر لها. تنوير: فتحرك النفوس للأقوال المخيّلة إنما يكون بحسب الاستعداد... والاستعداد نوعان: استعداد بأن تكون للنفس حال وهوى قد هيأت بهما لأن يُحرّكها قول ما؛ بحسب شدّة موافقته لتلك الحال والهوى؛ كما قال المتنبي: إنما تنفع المقالة في المرء إذا وافقت هوى في الفؤاد

(١) يُنظر: التلقي لدى حازم القرطاجني من خلال منهج البلاغ وسراج الأدباء، محمد التجاني/٢٣-١٦٥.

والاستعداد الثاني: هو أن تكون النفوس معتقدةً في الشعر أنه حكم، وأنه غريم يتقاضى النفوس الكريمة الإجابة إلى مُقتضاه؛ بما أسلبها من هِزَّة الارتياح لحسن المحاكاة، هكذا كان اعتقاد العرب في الشعر، فكم من خطب عظيم هوّنه عندهم بيت، وكم خطب هيّن عظمه بيت آخر... أمّا الاستعداد الذي يكون بأن يعتقد فضل قول الشاعر وصدعه بالحكمة فيما يقوله؛ فإنه معدوم بالجملة في هذا الزمان، بل كثير من أنذال العالم -وما أكثرهم- يعتقد أنّ الشعر نقص وسفاهة، وكان القدماء من تعظيم صناعة الشعر واعتقادهم فيها ضد ما اعتقده هؤلاء الزعانفة... فانظر إلى تفاوت ما بين الحالين... وإنما هان الشعر على الناس هذا الهون؛ لعُجْمَة ألسنتهم، واختلال طباعهم، فغابت عنهم أسرار الكلام وبدائعه المحركة جملةً، فصرفوا النقص إلى الصناعة، والنقص بالحقيقة راجعٌ إليهم، وموجود فيهم»^(١).

(١) يُنظر: منهاج البلغاء/١٢١-١٢٢، ١٢٤-١٢٥، والبيت من دالية لأبي الطيب نظمها عقب تصالح كافور ومولاه: ابن الإخشيد، يُنظر ديوان المتنبي بشرح العكبري ٣١/٢.

وهذه المسألة التي قرَّرها حازم هنا، وهي: أهميَّة الاستعداد عند المتلقِّي، وأثر هذا الاستعداد في الكيفية التي يتلقَّى بها الإبداع الشعري من أهمِّ المسائل التي تتناولها النظريات الحديثة في القراءة والتلقِّي، وهي تدخل ضمن ما سمَّاه ياكوس: أفق التوقُّعات^(١).

٥- العناية بمفهوم الأسلوب:

قسَّم حازم كتابه أربعة أقسام رئيسة، وقد خصَّص القسم الرابع منه للأسلوب، وعنَّونه به^(٢)، وتناول فيه الطُّرق الشعرية في التعبير عن الجِدِّ والهزل، وخصائص الفنون الشعرية، ثم فصلَّ القول في الأساليب الشعرية التي يسلكها الشعراء في التعبير عن المعاني المتنوعة، وقدَّم بعد ذلك مفهوماً محدَّداً للأسلوب، وهو أنه: هيئة تحصل عن التَّأليفات المعنوية والنقلة من بعضها إلى بعض، وكيفية الاطِّراد فيها^(٣)، وقد قارن حازم بين هذا المفهوم للأسلوب ومفهوم النظم، منبِّهاً على اختصاص الأسلوب بالتَّأليفات المعنوية،

(١) في حديث النقاد عن أفق التوقُّعات عند ياكوس، وعن الدور المركزي الذي تؤديه هذه الفكرة ضمن نظرية القراءة والتلقِّي، وتقاطعها مع إسهامات حازم في هذا المجال يُنظر: الخطاب والقارئ، حامد أبو أحمد/٨٥-٩٢، ودليل الناقد الأدبي، ميجان لرويلي وسعد البازعي/٢٨٥، ونحو جمالية للتلقِّي، جان ستاروبنسكي، ضمن كتاب: في نظرية الأدب، ترجمة محمد العمري/٢٠٢-٢٠٥، والتلقِّي لدى حازم القرطاجني/٥٢٦-٥٤٩، وإشكالية التلقِّي عند حازم القرطاجني في كتابه منهاج البلغاء، محمود درابسة، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، مج١٢، ٢٤، رمضان ١٤١٨هـ/شباط ١٩٩٧م/٤٧٥-٤٩٩.

(٢) يُنظر: منهاج البلغاء/٣٢٥-٣٨٠.

(٣) يُنظر: المصدر السابق/٣٦٣-٣٦٤.

واختصاص النظم بالتأليفات اللفظية^(١)، وكلّ هذا في تفصيل وتدقيق يندر أن تجده عند غيره من نقادنا السابقين الذين تناولوا مفهوم الأسلوب، ولا يُضارعه في هذا سوى ابن خلدون الذي جاء بعده، واعتنى بهذا المفهوم في مقدّمته^(٢).

وقد ثمّن النقاد المعاصرون المسهمون في مجال الدراسات الأسلوبية الحديثة هذه الإسهامات المبكّرة التي قدّمها حازم القرطاجني في هذا الميدان؛ مع تمييزهم الدقيق لمفهوم الأسلوب عنده، ومدى التزامه بهذا المفهوم^(٣).

٦- النظر الكلّي للقصيدة، وتقسيمها إلى فصول متتابعة:

كان نظر حازم إلى القصيدة شاملاً، فلم يكتفِ بالنظر إلى البيت، أو إلى الأبيات المتجاورة في القصيدة، بل مدّ بصره إلى مجمل القصيدة فتحذّث عن أجزائها الكبرى فيما سمّاها: فصول القصيدة، وخصّصَ منهاجاً كاملاً من منهاج كتابه^(٤) للحديث عن تقدير فصول القصيدة وترتيبها وإحكام مبانيها، وكيفية وصل بعضها ببعض، ونثر في هذا المنهج الكثير من الملاحظات القيّمة في مجال الدراسة الكلّية للقصيدة، وقد ابتدع في هذا المنهج مصطلحين خاصّين برؤوس الفصول وأعقابها، وهما مصطلحا: التسويم،

(١) يُنظر: المصدر السابق/٣٦٤.

(٢) يُنظر: مقدّمة ابن خلدون ١٣٠٠-١٣٠٨.

(٣) يُنظر: اللغة والإبداع/١٩-٢٠، والبلاغة والأسلوبية/٢٧-٣٠.

(٤) يُنظر: منهاج البلغاء/٢٨٧-٣٠٢.

والتحجيل^(١). وفي سوى هذا المنهج تجد في الكتاب شواهد متعدّدة على استيعاب حازم لهذا النظر الكلّي للقصيدة^(٢).

وقد شاع مثل هذا النظر الكلّي للقصيدة في النقد الأدبي الحديث، وظهرت مصطلحات عديدة تكشف عن الاهتمام بهذا الجانب؛ مثل مصطلح (الوحدة العضوية)^(٣)؛ وإن كان مفهوم هذا المصطلح مُبايّنًا لمفهوم الفصول عند حازم^(٤)؛ لكنهما يلتقيان بوجهٍ ما في النظرة الكلية للقصيدة.

٧- الاحتفاء بالتجربة الشعرية، والاعتناء بمراحل إبداع القصيدة:

بذل حازم جهدًا كبيرًا في الحديث عن التجربة الشعرية التي يمرُّ بها الشاعر أثناء نظم القصيدة؛ وإن ركّز في هذا الجانب على البُعد الصناعي للتجربة أكثر من البُعد النفسي لها، ومن هنا راح يتحدّث عن خطوات النظم، والمراحل التي تمرُّ بها العملية الشعرية، وكيفية تشكُّل المعاني وتوالدها أثناءها^(٥)، ويبدو أنَّ حازمًا قد استمدَّ مادّة كلامه في هذه المسألة من تجربته الشعرية الخاصّة، ومن استقرائه الدقيق لقصائد الشعراء، وتتبعه الفاحص لسيرهم، ولعلَّ هذا ما جعله يصل إلى فكرة دقيقة في هذا الشأن، تتصل بالبُعد النفسي

(١) يُنظر: المصدر السابق/٢٩٧، ٣٠٠.

(٢) يُنظر: المصدر السابق/٦١، ١٥٣، ٢٠٠، ٢٠٤، ٢٠٦، ٢٨٠، ٢٨٦، ٣٠٣-٣٢٣، ٣٦٠، ٣٦٣.

(٣) يُنظر: النقد الأدبي الحديث/٣٩٤-٤٠٧، وفي النقد الأدبي/١٥٣-١٦٠.

(٤) يُنظر: نظرية الشعر عند حازم القرطاجني ومصادرها العقلية والنقلية/٩٣-٩٤.

(٥) يُنظر: منهاج البلغاء/١٠٩-١١١، ١٩٩-٢١٦، ٢٧٨-٢٨٢.

للشعر، وهي: أهمية صدق التجربة لتحقيق الإبداع الشعري، فقد قال: «اعلم أنّ خير الشعر ما صدر عن فِكْرٍ ولِعٍ بالفنّ والغرض الذي القول فيه، مرتاحٍ للجهة والمنحى الذي وجّه إليه كلامه... ولهذا كان أفضل النسيب ما صدر عن سجيّة نفسٍ شجيّة، وقرينة قريحة»^(١).

وقد اعتنى النقد الأدبي الحديث بالتجربة الشعرية عند الشعراء، وعدّها من الجوانب المهمّة التي تضيئ القصيدة، وتبرز موقفها الوجداني وبواعث الإلهام الشعري فيها^(٢).

هذه المسائل النقدية التي يظهر فيها بقدر أوضح وجوه اتصال ملحوظة بين رؤية حازم النقدية النزاعة إلى البناء المنهجي المتسق وبين الرؤية النقدية الحديثة، وبالإضافة إلى هذه المسائل هناك مسائل أخرى مشتركة أقلّ تقاطعاً، ويمكن الاكتفاء بالإيماء إليها هنا؛ لتجنّب التطويل، ومنها: إشارة حازم إلى بعض العناصر التي تتضمنها نظرية الاتصال في علم اللغة الحديث^(٣)، وإشارته إلى مفهوم الشعرية في الشعر^(٤)، وحديثه عن منازع الشعراء والمذاهب الشعرية^(٥)، وموقفه المتسامح مع الإبداع الشعري، ومع سقطات كبار الشعراء^(٦).

(١) يُنظر: المصدر السابق/٣٤١.

(٢) يُنظر: النقد الأدبي الحديث/٣٨٣-٣٩٤، وفي النقد الأدبي/١٣٨-١٤٥.

(٣) يُنظر: منهاج البلغاء/٣٤٦، والخطيئة والتكفير/٧، ١٥-١٦.

(٤) يُنظر: منهاج البلغاء/٢٨، والخطيئة والتكفير/١٩.

(٥) يُنظر: منهاج البلغاء/٢١٦-٢٢١، ٣٦٥-٣٧٣.

(٦) يُنظر: المصدر السابق/١٤٣-١٤٤، ٢٣٩، ٢٦٢.

خاتمة

سيظلُّ حديثنا عن البناء المنهجي لكتاب حازم، وعن منزلة هذا الكتاب بالمجمل في البلاغة العربية حديثًا نسبيًا إلى حدٍّ ما؛ ما دمنا لا نملك إلا هذه النسخة الناقصة عنه، وفي ظلِّ تعذُّر العثور -حتى الآن- على نسخة أخرى للكتاب تسدُّ النقص الكبير الذي لحقه بسبب البثر الواقع في أوله وآخره؛ فإنَّ هذا الكتاب بوضعه الحالي لا يُقدِّم صورة شاملة عن مُراد مؤلِّفه من هذا المشروع النقديّ الطموح الذي أسَّسه في كتابه.

هي إذن صورة تقريبية عن هذا المشروع تتراءى لنا من خلال هذه النسخة المبتورة، وأنا لا أعني هنا أننا عاجزون عن الوصول إلى تصوُّر واضح عن هذا الكتاب من خلال الجزء المتبقي منه -وهو أكثره- وإنما أعني أنَّ هذا التصوُّر -على الرغم من وضوحه- يفتقر إلى الشمولية في استقراء الكتاب كما وضعه مؤلِّفه؛ ولهذا تظلُّ الأحكام والاستنتاجات المبنية على هذا التصوُّر؛ وخصوصًا الأحكام والاستنتاجات النافية أقرب إلى النسبية وعدم القطع الجازم.

ومهما يكن من أمر، فقد تميَّز هذا الكتاب ببنائه المنهجي الفريد، وبتناوله المختلف لكثير من المسائل البلاغية والنقدية التي جمع فيها بين المصادر البلاغية العربية، والمصادر الفلسفية، وفطنة شاعرٍ حاذقٍ بأصول الصنعة الشعرية، مستقرئٍ بدقَّةٍ لأساليب الشعراء الكبار في التعبير والتصوير، وقد كشف هذا الكتاب بعد هذا عن عقلية هندسية بامتياز؛ من خلال الوجوه الآتية:

أ- أسلوب حازم المتفرّد في تقسيم الكتاب وترتيبه.

ب- قدرته اللافتة على استجلاء الأقسام والتفريعات الخفيّة التي تنطوي عليها المسائل والأفكار، وحصرها بدقّة، ثم تقسيمها تقسيمًا منطقيًا منضبطًا.

ت- منهجيته الصارمة والحازمة -كاسمه- في تناوله لمباحث كتابه، وهي المنهجية التي تجعله يتوقّف عن التفصيل في مسألة؛ مع انفساح مجال القول فيها، وعلى الرغم من شعوره بحاجة القارئ إلى مزيد من التفصيل حولها؛ وكلّ هذا لكي لا يُخلّ ببناء كتابه، وبالتناسب بين أجزائه، ويتواءم هذا كلّ مع الوقت الذي خصّصه لتأليف هذا الكتاب؛ كما صرّح بذلك في مواضع كثيرة من كتابه^(١).

من هنا جاء هذا البحث لرصد هذا المنحى المنهجي البارز في كتاب حازم، وتتبع تجلياته؛ عبر تحليل مكوّناته وعناصر بنائه، وأبرز هذه العناصر: عنوان الكتاب، وبواعث تأليفه، وأقسامه وطريقة بنائه، ومصطلحاته، وشواهده، ومصادره، ثم النظر في أثر هذه المنهجية العالية للكتاب في كيفية تناوله لعدد من القضايا النقدية، ووجوه اتصال هذا التناول بالرؤية النقدية الحديثة.

ويمكن إجمال أبرز النتائج التي توصل إليها هذا البحث فيما يأتي:

(١) يُنظر: منهاج البلغاء/٣٧، ٤٧، ٥١، ٥٦، ٧٠، ١٣٠، ١٣١، ١٧٦، ٢٢٢، ٢٤٤-٢٤٥، ٢٩١، ٢٩٥، ٣٥٣، ٣٧٣.

١- مع افتقادنا لمقدمة (منهاج البلغاء) لحازم؛ بسبب البثر الذي أصاب مخطوطة الكتاب؛ فإن تأمل بقية أجزاء الكتاب يمكن أن يعيننا على تقدير بعض العناصر المنهجية التي يُتوقع أن حازمًا تحدّث عنها في مقدمته المفقودة، ومنها: بواعث التأليف، وقد خلصت الدراسة إلى استنتاج ثلاثة أسباب دفعنا حازمًا إلى تأليف كتابه، وهي: تردّي أوضاع الشعر وضعف الشعراء في عصره، وسعيه للخروج بعلم البلاغة عن إطار التوجّه الكلامي والإعجازي الذي غلب عليه منذ القرن الرابع الهجري إلى توجّه فني أقرب إلى صنعة الشعر وبراعة التخيل، وطموحه إلى الكشف عن أصول صناعة البلاغة وجوهرها الخفي، متجاوزاً ظواهرها التي رأى أن البلاغيين السابقين له قد توقفوا عندها.

٢- رجّحت الدراسة أن عنوان القسم الأول المفقود من الكتاب هو: الألفاظ، بناءً على رصد عدد من الإحالات والعبارات الواردة في بقية أجزاء الكتاب.

٣- كثرة العنوانات التي وضعها حازم داخل متن الكتاب ربما تكون أحد أسباب التشبّث والارتباك الذي يلمّ بقارئ (المنهاج) وهو ينتقل باستمرار بين هذه العنوانات الكبرى والصغرى المتلاحقة.

٤- مع اعتناء حازم بمصطلحي: المحاكاة، والتخيل، فإنّ تمييزه بينهما لم يكن حاسماً دائماً، إذ يبدو في بعض المواضع وكأنه يعدّهما قرينين أو متداخلين في مفهوميهما، وهو ما جعل الباحثين المعاصرين يذهبون مذاهب شتى في تعليل هذا التداخل المصطلحي عنده.

٥- معظم شواهد كتاب (منهاج البلغاء) هي شواهد شعرية، ولهذا الرجحان الكمّي دلّته الواضحة على أن بؤرة الانشغال البلاغي والنقدي عند حازم هي: الشعر، وليس الانشغالات الكلامية والإعجازية التي استقطبت جهود عدد كبير من البلاغيين الذين سبقوه وعاصروه، وقد نالوا نصيبهم من نقده لهم ولتوجّهم الكلامي.

٦- كتاب (منهاج البلغاء) لحازم قريب الصلة من طبيعة التفكير والتأليف النقدي المعاصر، فهو أولاً مقسّم بطريقة منهجية صارمة، كما أنه يمتاز ثانياً بشمولية النظر النقدي واستيعابه لأكثر المشكلات النقدية التي ما فتئت تشغل نظريات النقد ومناهجه حتى الآن، والكتاب ثالثاً مهموم بالتوفيق بين رؤيتين للشعر: عربية، ويونانية، سعيًا - كما يقول - إلى إقامة البلاغة المعضودة بالأصول المنطقية والحكمية، وقد تجسّد هذا التلاقي بين كتاب حازم والرؤية النقدية المعاصرة في طريقة تناوله لعدد من المسائل والقضايا النقدية، مثل: مفهوم الشعر، والموقف من الغموض فيه، والاهتمام بالمتلقي، والعناية بمفهوم الأسلوب، والنظرة الكلية للقصيدة، والاحتفاء بالتجربة الشعرية.

وبعد؛ فهذه مجموعة من الوقفات المنهجية والعلمية مع هذا الكتاب البلاغي الحافل: (منهاج البلغاء وسراج الأدباء) لحازم القرطاجني، أرجو أن تكون هذه الوقفات قد قرّبت هذا الكتاب بصورة أكبر، وكشفت عن شيء من نواحي تميّزه وثرائه.

المصادر والمراجع:

١. أزهار الرياض في أخبار عياض، شهاب الدين المقرئ التلمساني، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٦١هـ/١٩٤٢م.
٢. أسرار البلاغة، عبدالقاهر الجرجاني، قرأه وعلّق عليه محمود شاكر، دار المدني، جدة، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.
٣. الأسلوبية والأسلوب، عبدالسلام المسدي، الدار العربية للكتاب، ط٣، د.ت.
٤. إشكالية التلقي عند حازم القرطاجني في كتابه منهاج البلغاء، محمود درابسة، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، مج١٢، ع٢٤، رمضان ١٤١٨هـ/شباط ١٩٩٧م.
٥. البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، تحقيق عادل عبدالموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
٦. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، د.ط، د.ت.
٧. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط١، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.
٨. بلاغة أرسطو بين العرب واليونان، إبراهيم سلامة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط١، ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م.
٩. البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، محمد العمري، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ١٩٩٩م.
١٠. البلاغة والأسلوبية، محمد عبدالمطلب، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.
١١. تاريخ النقد الأدبي عند العرب، إحسان عباس، دار الشروق، عمان، ط١، ١٩٩٣م.
١٢. التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٣، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
١٣. تقريب منهاج البلغاء لحازم القرطاجني، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

١٤. التلقي لدى حازم القرطاجني من خلال منهاج البلغاء وسراج الأدباء، محمد بنلحسن بن التجاني، عالم الكتب الحديث، إريد، ط١، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.
١٥. حازم القرطاجني حياته ومنهجه البلاغي، عمر إدريس عبدالمطلب، دار الجنادرية للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٩م.
١٦. حازم القرطاجني ونظريات أرسطو في الشعر والبلاغة، عبدالرحمن بدوي، دن، القاهرة، ١٩٦١م.
١٧. حازم القرطاجني ونظرية المحاكاة والتخييل في الشعر، سعد مصلوح، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
١٨. الخطاب والقارئ، حامد أبو أحمد، مؤسسة اليمامة الصحفية، كتاب الرياض، ع٣٠، يونيو ١٩٩٦م.
١٩. الخطيئة والتكفير، عبدالله الغدامي، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ١٩٨٥م.
٢٠. دليل الناقد الأدبي، ميجان الرويلي وسعد البازعي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٥، ٢٠٠٧م.
٢١. ديوان أبي الطيب المتنبي، شرح أبي البقاء العكبري، ضبط وتصحيح مصطفى السقا وآخرين، دار المعرفة، بيروت، د.ط، د.ت.
٢٢. رسالة في الفرق بين المترسل والشاعر، أبو إسحاق الصائبي، ضمن كتاب: رسائل تراثية في النقد والبلاغة، تحقيق محمد الهدلق، إصدارات كرسي الدكتور عبدالعزيز المانع، جامعة الملك سعود، ط١، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م.
٢٣. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، شهاب الدين ابن العماد الحنبلي، تحقيق محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق-بيروت، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.
٢٤. الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، جابر عصفور، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط٣، ١٩٩٢م.
٢٥. طبقات المفسرين، شمس الدين الداوودي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٢٦. ظاهرة الشعر عند حازم القرطاجني، محمد الحافظ الروسي، دار الأمان، الرباط، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م.
٢٧. عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، بهاء الدين السبكي، تحقيق عبد الحميد هندراوي، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.
٢٨. في النقد الأدبي، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٥، د.ت.
٢٩. كتاب أرسطوطاليس في الشعر، حققه مع ترجمة حديثة ودراسة لتأثيره في البلاغة العربية شكري محمد عياد، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م.
٣٠. اللغة والإبداع مبادئ علم الأسلوب العربي، شكري محمد عياد، د.ن، ط١، ١٩٨٨م.
٣١. المرايا المقعّرة نحو نظرية نقدية عربية، عبدالعزيز حمودة، عالم المعرفة، الكويت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
٣٢. مفهوم الإبداع الفني في النقد العربي القديم، مجدي أحمد توفيق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣م.
٣٣. مفهوم التخييل في النقد والبلاغة العربيين الأصول والامتدادات، يوسف الإدريسي، مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض، ط١، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.
٣٤. مفهوم الشعر دراسة في التراث النقدي. جابر عصفور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٥، ١٩٩٥م.
٣٥. مقدمة ابن خلدون، تحقيق علي عبدالواحد وافي، دار تحفة مصر، القاهرة، ط٣، د.ت.
٣٦. مناهج البحث البلاغي عند العرب، عماد البخيتاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.
٣٧. من صيد الخاطر في النقد الأدبي، وليد قصاب، دار البشائر، دمشق، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
٣٨. منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٩٨٦م.

٣٩. منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، علي زوين، دار الشؤون الثقافية-وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ط١، ١٩٨٦م.
٤٠. موقف حازم من قضية الغموض في الشعر مقارناً بمواقف النقاد السابقين، محمد الهدلق، مجلة جامعة الملك سعود، مج٤، الآداب(٢)، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
٤١. نظريات الشعر عند العرب، مصطفى الجوزو، دار الطليعة، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
٤٢. نظرية الشعر عند حازم القرطاجني ومصادرها العقلية والنقلية، عبدالفتاح عثمان، حويلات كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، ع١٣، ١٩٩١م.
٤٣. نحو جمالية للتلقي، جان ستاروبنسكي، ضمن كتاب: في نظرية الأدب، ترجمة محمد العمري، مؤسسة البمامة الصحفية، كتاب الرياض، ع ٣٨، فبراير ١٩٩٧م.
٤٤. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، شهاب الدين المقرئ التلمساني، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.
٤٥. النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، دار العودة، بيروت، ١٩٨٧م.
٤٦. نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ٢٠١٥م.
٤٧. نقد النثر، المنسوب لقدامة بن جعفر، تحقيق عبدالحميد العبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
٤٨. الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركلي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

Reference:

- Az'hār al-Riyāḍ fī Akhbār 'Iyāḍ, Shihāb al-Dīn almqqry al-Tilimsānī, taḥqīq Muṣṭafā al-Saqqā et al., Maṭba'at Lajnat al-Ta'līf wa-al-Tarjamah wa-al-Nashr, al-Qāhirah, 1361H \ 1942G.
- Asrār al-balāghah, 'bdālqāhr al-Jurjānī, qara'ahu w'illq 'alayhi Maḥmūd Shākir, Dār al-madanī, Jiddah, 1st edition, 1412H / 1991G.
- al-uslūbīyah wa-al-uslūbīyah, 'Abdussalām al-Masaddī, al-Dār al-'Arabīyah lil-Kitāb, 3rd edition, (without date).
- Ishkāliyat al-talaqqī 'inda Ḥāzim al-Qartājannī fī kitābihi Minhāj al-bulaghā', Maḥmūd Darābisah, Majallat Mu'tah lil-Buḥūth wa-al-Dirāsāt, Vol. 12, '2, Ramaḍān 1418H / February 1997G.
- al-Baḥr al-muḥīṭ, Abū Ḥayyān al-Andalusī, taḥqīq 'Ādil 'bdālmwjwd et al., Dār al-Kutub al-'Ilmiyah, Bayrūt, 1st edition, 1413H / 1993G.
- al-burhān fī 'ulūm al-Qur'ān, Badr al-Dīn al-Zarkashī, taḥqīq Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm, Dār al-Ma'rifah, Bayrūt, (without edition), (without date).
- Bughyat al-wu'āh fī Ṭabaqāt al-lughawīyīn wa-al-nuḥḥāh, Jalāl al-Dīn al-Suyūṭī, taḥqīq Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm, Maṭba'at 'Īsā al-Bābī al-Ḥalabī, 1st edition, 1384H / 1964G.
- Balāghat Aristū bayna al-'Arab wa-al-Yūnān, Ibrāhīm Salāmah, Maktabat al-Anjlū al-Miṣrīyah, 1st edition, 1369H / 1950G.
- al-balāghah al-'Arabīyah uṣūluhā wa-imtidādātuhā, Muḥammad al-'Umarī, Afrīqiya al-Sharq, al-Dār al-Bayḍā', 1999G.
- al-balāghah wa-al-uslūbīyah, Muḥammad 'bdālmṭlb, Maktabat Lubnān Nāshirūn, Bayrūt, (1st edition), 1994G.
- Tārīkh al-naqd al-Adabī 'inda al-'Arab, Iḥsān 'Abbās, Dār al-Shurūq, 'Ammān, (1st edition), 1993G.
- al-Taṣwīr al-bayānī dirāsah taḥlīliyah li-masā'il al-Bayān, Muḥammad Muḥammad Abū Mūsā, Maktabat Wahbah, al-Qāhirah, (3rd edition), 1413H / 1993G.

- Taqrīb Minhāj al-bulaghā' li-Hāzim al-Qartājannī, Muḥammad Muḥammad Abū Mūsá, Maktabat Wahbah, al-Qāhirah, (2nd edition), 1429H / 2008G.
- al-talaqqī ladá Hāzim al-Qartājannī min khilāl Minhāj al-bulaghā' wa-sirāj al-Udabā', Muḥammad Binilḥasan ibn al-Tijānī, 'Ālam al-Kutub al-ḥadīth, Irbid, (1st edition), 1432H / 2011G.
- Hāzim al-Qartājannī ḥayātuhu wa-manhajuhu al-balāghī, 'Umar Idrīs 'bdālmṭlb, Dār al-Janādirīyah lil-Nashr wa-al-Tawzī', 'Ammān, 2009G.
- Hāzim al-Qartājannī wa-naẓariyāt Aristū fī al-shi'r wa-al-balāghah, 'Abd-al-Raḥmān Badawī, (without publishing house), al-Qāhirah, 1961G.
- Hāzim al-Qartājannī wa-naẓariyat al-Muḥākāh wa-al-takhyīl fī al-shi'r, Sa'd Maṣlūḥ, 'Ālam al-Kutub, al-Qāhirah, (1st edition), 1400H / 1980G.
- al-Khiṭāb wālqār', Ḥāmid Abū Aḥmad, Mu'assasat al-Yamāmah al-Ṣuḥufiyah, Kitāb al-Riyāḍ, '30, June 1996G.
- al-Khaṭī'ah wa-al-takfīr, Allāh al-Ghadhdhāmī, al-Nādī al-Adabī al-Thaqāfi, Jiddah, 1985G.
- Dalīl al-nāqid al-Adabī, Mījān al-Ruwaylī ws'd al-Bāzi'ī, al-Markaz al-Thaqāfi al-'Arabī, al-Dār al-Bayḍā', (5th edition), 2007G.
- Risālat fī al-firaq bayna al-mṭrssl wa-al-shā'ir, Abū Ishāq al-Ṣābi', ḍimna Kitāb : Rasā'il turāthīyah fī al-naqd wa-al-balāghah, taḥqīq Muḥammad al-Hadlaq, Iṣḍārāt Kursī al-Duktūr 'Abd-al-'Azīz al-Māni', Jāmi'at al-Malik Sa'ūd, (1st edition), 1437H / 2016G.
- Shadharāt al-dhahab fī Akhbār min dhahab, Shihāb al-Dīn Ibn al-'Imād al-Ḥanbalī, taḥqīq Maḥmūd al-Arnā'ūt, Dār Ibn Kathīr, dmshq-byrwt, (1st edition), 1412H / 1991G.
- al-Ṣūrah al-fannīyah fī al-Turāth al-naqdī wa-al-balāghī 'inda al-'Arab, Jābir 'Uṣfūr, al-Markaz al-Thaqāfi al-'Arabī, Bayrūt, (3rd edition), 1992G.
- Ṭabaqāt al-mufasssirīn, Shams al-Dīn al-Dāwūdī, Dār al-Kutub al-'Ilmiyah, Bayrūt, (1st edition), 1403H / 1983G.

- Zāhirat al-shi'r 'inda Ḥāzim al-Qarṭājannī, Muḥammad al-Ḥāfiẓ al-Rūsī, Dār al-Amān, al-Rabāt, (1st edition), 1428H / 2008G.
- 'Arūs al-afrāḥ fī sharḥ Talkhīṣ al-Miftāḥ, Bahā' al-Dīn al-Subkī, taḥqīq 'Abd-al-Ḥamīd Hindāwī, al-Maktabah al-'Aṣrīyah, ṣyḍā-byrwt, (1st edition), 1423H / 2003G.
- Fī al-naqd al-Adabī, Shawqī Ḍayf, Dār al-Ma'ārif, al-Qāhirah, (5th edition), (without date).
- Kitāb Aristotle fī al-shi'r, ḥaqqāqahu ma'a tarjamat ḥadīthah wa-dirāsāt It'hyrḥ fī al-balāghah al-'Arabīyah Shukrī Muḥammad 'Ayyād, Dār al-Kātib al-'Arabī, al-Qāhirah, 1386H / 1967G.
- al-lughah wa-al-ibdā' Mabādi' 'ilm al-uslūb al-'Arabī, Shukrī Muḥammad 'Ayyād, (without publishing house), (1st edition), 1988G.
- al-marāyā almq'rh Naḥwa Naẓarīyat naqdīyah 'Arabīyah, 'Abd-al-'Azīz Ḥammūdah, 'Ālam al-Ma'rifah, al-Kuwayt, 1422H / 2001G.
- Maḥmūd al-ibdā' al-Fannī fī al-naqd al-'Arabī al-qadīm, Majdī Aḥmad Tawfīq, al-Hay'ah al-Miṣrīyah al-'Āmmah lil-Kitāb, 1993G.
- Maḥmūd al-takhyīl fī al-naqd wa-al-balāghah al-'Arabīyayn al-uṣūl wa-al-imtidādāt, Yūsuf al-Idrīsī, Markaz al-Malik Allāh ibn 'Abd-al-'Azīz al-dawlī li-Khidmat al-lughah al-'Arabīyah, al-Riyāḍ, (1st edition), 1436H / 2015G.
- Maḥmūd al-shi'r dirāsah fī al-Turāth al-naqdī. Jābir 'Uṣfūr, al-Hay'ah al-Miṣrīyah al-'Āmmah lil-Kitāb, al-Qāhirah, (5th edition), 1995G.
- Muqaddimah Ibn Khaldūn, taḥqīq 'Alī 'bdālwaḥd Wāfi, Dār Nahḍat Miṣr, al-Qāhirah, (3rd edition), (without date).
- Manāhij al-Baḥth al-balāghī 'inda al-'Arab, 'Imād albkhytāwy, Dār al-Kutub al-'Ilmīyah, Bayrūt, (1st edition), 1434H / 2013G.
- Min Ṣayd al-khāṭir fī al-naqd al-Adabī, Walīd Qaṣṣāb, Dār al-Bashā'ir, Dimashq, (1st edition), 1424H\2003G.
- Minhāj al-bulaghā' wa-sirāj al-Udabā', Ḥāzim al-Qarṭājannī, taḥqīq Muḥammad al-Ḥabīb Ibn al-Khūjah, Dār al-Gharb al-Islāmī, Bayrūt, (3rd edition), 1986G.

- Manhaj al-Baḥth al-lughawī bayna al-Turāth wa-‘ilm al-lughah al-ḥadīth, ‘Alī Zuwayn, Dār al-Shu’ūn althqāfiyyat-wzārḥ al-Thaqāfah wa-al-I‘lām, Baghdād, (1st edition), 1986G.
- Mawqif Ḥāzim min Qaḍīyat al-ghumūd fī al-shi‘r mqārnan bmwāqf al-nuqqād al-sābiqīn, Muḥammad al-Hadlaq, Majallat Jāmi‘at al-Malik Sa‘ūd, Vol. 4, al-Ādāb (2), 1412H / 1992G.
- Naẓariyāt al-shi‘r ‘inda al-‘Arab, Muṣṭafā al-Jūzū, Dār al-Ṭalī‘ah, Bayrūt, (2nd edition), 1408H / 1988G.
- Naẓariyāt al-shi‘r ‘inda Ḥāzim al-Qarṭājannī wa-maṣādiruhā al-‘aqlīyah wa-al-naqlīyah, ‘bdālfṭāḥ ‘Uthmān, Ḥawlīyāt Kullīyat Dār al-‘Ulūm bi-Jāmi‘at al-Qāhirah, ‘13, 1991G.
- Naḥwa jamālīyah lil-talaqqī, Jān stārwbnsky, ḍimna Kitāb : fī Naẓariyāt al-adab, tarjamat Muḥammad al-‘Umarī, Mu’assasat al-Yamāmah al-Ṣuḥufīyah, Kitāb al-Riyāḍ, ‘A 83, February 1997G.
- Naḥḥ al-Ṭayyib min Ghuṣn al-Andalus al-raṭīb, Shihāb al-Dīn almqqry al-Tilimsānī, taḥqīq Iḥsān ‘Abbās, Dār Ṣādir, Bayrūt, 1388H\1968G.
- al-Naqd al-Adabī al-ḥadīth, Muḥammad Ghunaymī Hilāl, Dār al-‘Awdah, Bayrūt, 1987G.
- Naqd al-shi‘r, Qudāmah ibn Ja‘far, taḥqīq Kamāl Muṣṭafā, Maktabat al-Khānjī, al-Qāhirah, (4th edition), 2015G.
- Naqd al-nathr, al-mansūb li-Qudāmah ibn Ja‘far, taḥqīq ‘Abd-al-Ḥamīd al-‘Abbādī, Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, Bayrūt, 1400H\1980G.
- al-Wāfi bi-al-Wafayāt, Ṣalāḥ al-Dīn al-Ṣafadī, taḥqīq Aḥmad al-Arnā’ūt wtrky Muṣṭafā, Dār Ihya’ al-Turāth al-‘Arabī, Bayrūt, (1st edition), 1420H\2000G.

توظيف أمثال الاستبعاد في الشعر الجاهلي
(دراسة في صور المعاني)

د. عبد الرحيم محمود أحمد عيسى
قسم المتطلبات الجامعية- جامعة أم القيوين





توظيف أمثال الاستبعاد في الشعر الجاهلي (دراسة في صور المعاني)

د. عبد الرحيم محمود أحمد عيسى
قسم المتطلبات الجامعية- جامعة أم القيوين

تاريخ تقديم البحث: ١٤٤٥ / ٨ / ٧ هـ تاريخ قبول البحث: ١٤٤٦ / ٥ / ١٨ هـ

الملخص:

استقرت لدينا ستة أنماط عبرت عن معانٍ محددة أرادها الشعراء وعبروا عنها. هي كالآتي: الأولى: استبعاد استحالة الفوات، والثانية استبعاد استحالة الإدراك، والثالثة: استبعاد استحالة التوقف أو الكف، والرابعة: استبعاد استحالة الحدوث، والخامسة: استبعاد الإدراك والفوات الزماني، والسادسة: استبعاد الإدراك والفوات المكاني.

صيغت أمثال الاستبعاد في الشعر الجاهلي على أساليب الشرط الصريح والشرط الضمني، وأسلوب الفرض والتقدير، والنفي الصريح والنفي الضمني، وكان لأسلوب الإثبات بالنفي والنفي بالإثبات حضور في التعبير عن المعاني في صوره المختلفة وكذلك التقديم والتأخير، فكثيراً ما قدم جواب الشرط على أداته وفعله أو ما ينوب عنهما، ومن الأساليب الإنشائية، رصدنا الأمر والنهي الضمني، والاستفهام، كما لجأ الشعراء لتكرار الأساليب والألفاظ الموحية؛ لأغراض متعددة كان لكل هذه الأساليب على اختلافها بعداً نفسياً معبراً عن نفسية الشاعر وبعداً حجاجياً إقناعياً في المتلقي، كان منها اليأس والتفيس والاستبعاد والإصرار.

الكلمات المفتاحية: الأمثال-الاستبعاد-الصور-المعاني- الشعر.

The Usage of the Proverbs of Exclusion and Impossibility in Pre-Islamic Poetry: A Study in Aspects of the meanings

Dr. Abdul Rahim Mahmoud Ahmed Issa

Department of University Requirements – Umm Al-Qaiwain University

Abstract:

This article explores six patterns that express specific meanings that the poets targeted. These are as follows: the first: excluding the impossibility of missing, the second: excluding the impossibility of achieving, the third: excluding the impossibility of refraining or desisting, the fourth: excluding the impossibility of occurrence, the fifth: the exclusion of achieving and missing of time, and the sixth: spatial achieving and exclusion.

Proverbs of exclusion in pre-Islamic poetry were formulated using the methods of explicit condition and implicit condition, the method of imposition and estimation, explicit negation and implicit negation. In addition to precedence and delay, the methods of proving by negating and negating by proving were used in expressing meanings in various forms. The answer to the condition often preceded the conditional part (verb). What stands for them, and among the constructional methods, we monitored the implicit command and prohibition, and the interrogative, just as poets resorted to repeating suggestive methods and words. For various purposes, all of these methods, regardless of their differences, had psychological significance that expressed the psychology of the poet and a persuasive argumentative dimension for the recipient, including despair, despair, distancing, and insistence.

Keywords: Proverbs – Exclusion – meanings – poetry

المقدمة

إن للأمثال حضورها في حياة الناس، وفي نفوسهم وعقولهم، فوظفوها في أقوالهم نثرًا وشعرًا، واستعان بها الشعراء الجاهليون للفرار من ضيق الوزن الشعري لسعة النثر، فاخترت من الأمثال ما اختص في معنى الاستبعاد، وحددت الشواهد الشعرية في زمن الجاهلية، متبعا صور معاني توظيف أمثال الاستبعاد في الشعر الجاهلي.

والهدف من البحث هو تتبع صور المعاني التي وظفت فيها أمثال الاستبعاد في الشعر الجاهلي، والكشف عن أثر تضمينها في المعاني والسياق الشعري؛ ليجيب البحث على عدة تساؤلات، هي: ما الغرض من هذا التضمين؟ وما السياقات الشعرية التي وظفت فيها؟ وما أثر هذا التضمين في المعنى؟ وما علاقته بالصورة النفسية للشاعر والمتلقي؟ وما مواطن التشابه والاختلاف بين صور المعاني التي وظفت فيها أمثال الاستبعاد الدالة على التأييد والاستحالة في الشعر الجاهلي؟ وما هي طرق الشعراء في تضمين الأمثال هل كانت واحدة أم تعددت؟ وما الأغراض الشعرية التي وظفت فيها هذه الأمثال؟ وما الأساليب التي صيغت فيها أو أعيد صياغتها بأسلوب مغاير عن الأصل؟

ولا شك أنني سبقت بدراسات في أسلوب الاستبعاد، فمنها-على حد علمي-دراسة بعنوان: (أثر العلاقات الزمانية بين الأحداث في إظهار دلالة

الاستبعاد في القرآن الكريم): د. تراث حاكم مالك الزيادي ومحمد كريم جبار، اقتصرت على الشواهد القرآنية، ولم تتطرق للأمثال نثرًا أو شعرًا، وأما البحث الثاني فهو بعنوان: (أسلوب الفرض والتقدير - طرائقه ودلالاته البلاغية): د. علي محمود عباس موسى، ركز الباحث على الشواهد من القرآن الكريم أكثر من غيره، واستعان ببعض الشواهد من الحديث النبوي، وبعض أبيات لامرئ القيس بن حجر الكندي وبيت لكثير عزة، وبيت لابن أبي عيينة، ولم يتطرق للأمثال نثرًا أو شعرًا، فلم يكن بحثًا خالصًا لأساليب الاستبعاد، إلا أنه تناوله ضمن تحليل الشواهد من القرآن الكريم والحديث والشعر ما كان يعرض له من دلالة أسلوب الفرض على الاستبعاد في بعض المواضع والسياقات، وكان يصرح به أحيانًا ويعبر عنه بالمعنى أحيانًا أخرى، وهذا من مسوغات البحث، فلم أسبق على حد علمي بدراسة أمثال الاستبعاد في الشعر عمومًا وفي الشعر الجاهلي خصوصًا، فأهميته تكمن بالبداية من حيث توقف السابقون، فهو متمم لها.

إن طبيعة هذا البحث تتقاطع مع قضايا ومناهج عديدة: منها التناص والمنهج التحليلي والجوانب التركيبية والدلالية والبلاغية، فكان عليّ أن أفيد من جملة تلك المشارب، وأتسلح بالأدوات المنهجية التي تتناسب مع طبيعة هذا البحث.

وقد رأيت أن أرتب البحث بين مهاد نظري. اشتمل أولاً: على تعريف مفهوم الاستبعاد ودلالة الأمثال على الاستبعاد.

وأما مباحث دراسة صور معاني توظيف أمثال الاستبعاد في الشعر الجاهلي، فهي كما يأتي: الأولى: استبعاد استحالة الفوات، والثانية استبعاد استحالة الإدراك، والثالثة: استبعاد استحالة التوقف أو الكف، والرابعة: استبعاد استحالة الحدوث، والخامسة: استبعاد الإدراك والفوات الزماني، والسادسة: استبعاد الإدراك والفوات المكاني.

كما اشتمل البحث على خاتمة رصدت فيها نتائج البحث، وأعقبها بقائمة للمصادر والمراجع.

التمهيد:

أولاً: تعريف الاستبعاد

الاستبعاد مأخوذ من البعد «وهو ضد القرب، وما لهما حد محدد، وإنما هو أمر اعتباري»^(١). «وإنما ذلك بحسب اعتبار الزمان والمكان بغيرهما»^(٢)، «ويستعمل في المحسوس وفي المعقول، ولكن استعماله في المحسوس أكثر»^(٣)، «والبُعْدُ والبَعْدُ كِلَاهُمَا يقال في الهلاك»^(٤)، «والبعد الحقيقي يكون بالمسافة الزمانية والمكانية، ويكون المجازي في معان شتى منها العداوة والحب والمنزلة»^(٥)، «وإِسْتَبْعَدْتُ»^(٦)، «وهو طلب الفعل»^(٧) «أو النسبة إلى الشيء كـ(إِسْتَبْعَدْتُ الشيء أو الأمر)»^(٨)، ومنه «إِسْتَبْعَدْتُ المعنى»^(٩)، ومصدره الاستبعاد «على وزن الاسْتِفْعَال»^(١٠)، ويجيء مصدر بَعَّدْتُ «على

(١) بصائر ذوي التمييز: للفيروزآبادي، ٢: ٢٥٧.

(٢) مفردات ألفاظ القرآن: للراغب الأصفهاني، ص ١٣٣.

(٣) بصائر ذوي التمييز: للفيروزآبادي، ٢: ٢٥٧.

(٤) بصائر ذوي التمييز: للفيروزآبادي، ٢: ٢٥٧.

(٥) أحكام القرآن: لابن العربي، ٤: ١٨١٨.

(٦) الكتاب: لسبويه، ٥: ٣٨٧ والأصول في النحو: لابن السراج، ٣: ٩٥١ و ٩٥٧.

(٧) الأصول في النحو: لابن السراج، ٣: ٩٥١ و ٩٥٧ ومغني اللبيب، ص ٤٩٣.

(٨) بتصرف مغني اللبيب، ص ٤٩٣.

(٩) لسان العرب، مادة: مزع، ١٣: ٩٥.

(١٠) الكتاب: لسبويه، ٥: ٣٨٧ وأدب الكاتب، ص ٦٢٩ الأصول في النحو: لابن السراج،

زون فَعَلْتُ»^(١)، على التَّبْعِيدِ «على وزن التَّفْعِيلِ»^(٢)، وتدل «هناك وهناك» على التباعد، تقولها العرب إذا أرادت البُعْدَ»^(٣)، وقيل: «الآزفة القيامة لقربها، وإن استبعد الناس مداها»^(٤). «فيكون معنى الاستبعاد اعتمادا على الصيغة والمعنى المعجمي هو نسبة الشيء إلى البعد سواء تعلق ذلك البعد في شيء محسوس، أو في معنى معقول»^(٥).

ثانيًا: دلالة الأمثال على الاستبعاد

«إن لكل مثل قصة، ويراد بها مورد المثل، وهي الحالة التي قيل فيها ابتداءً، ويراد بمضربه الحالات والمواقف المتجددة التي يمكن أن يستعمل فيها المثل، لما بين الحالتين من التشابه»^(٦)، ويمكن تقسيم الأمثال باعتبارات متعددة، فمن ذلك اتفاق مجموعة منها على معان بعينها كالاستبعاد، ولقد أشار الزمخشري إلى «دلالة بعض الأمثال على الاستبعاد بقوله: مَنَاطُ الْعِيُوقِ وَمَنَاطُ الثَّرْيَا مَثَلٌ

٣ : ٩٥٧.

(١) الكتاب: لسيبويه، ٥ : ٣٨٧ وأدب الكاتب، ص ٦٢٨.

(٢) الكتاب: لسيبويه، ٥ : ٣٨٧ وأدب الكاتب، ص ٦٢٨.

(٣) لسان العرب، مادة: هنا، ١٥ : ١٥٣.

(٤) لسان العرب، مادة: أزف، ١ : ١٣٤.

(٥) أثر العلاقات الزمانية، ص ٣٢٧.

(٦) الأمثال العربية، ص ١٤.

في الاستبعاد ومثَّل على ذلك في الشعر»^(١)، وكذلك تاج القراء الكرمانى حينما أورد الأمثال: «حتى يلج الجمل في سم الخياط وحتى يَبْيَضُ القَارُ وَيَشِيبَ العُرَابُ، هذا على وجه البُعد وأنه لا يكون»^(٢)، ومن هذه الأمثال الدالة على الاستبعاد، «جَلَّتِ الهَاجِنُ عَنِ الوَلَدِ»^(٣)، «يضرب في استبعاد الشيء»^(٤)، و«ضَلَّ حِلْمُ امْرَأَةٍ فَأَيَّنَ عَيْنَاهَا»^(٥)، «يضرب في استبعاد عقل الحليم»^(٦)، و«عَذَّرْتَنِي كُلُّ ذَاتِ أَبٍ»^(٧)، «يضرب في استبعاد الشيء وإنكاره»^(٨)، و«لا أَفْعَلُ ذَلِكَ حَتَّى يَجِجَ البُرْعُوثُ»^(٩)، كما في المثل القائل أيضا: «هَيْهَاتَ

(١) ربيع الأبرار: للزمخشري، ١: ١٠٢.

(٢) لباب التفاسير: لتاج القراء الكرمانى، ٣: ٤٢٤.

(٣) «أَيَّ: صَعُرْتُ مِنَ الجَلَلِ بمعنى الهين، والهاجن الصغير من اهتجنت الجارية إذا افترعت قبل الأوان، وأصله أن ناقة هاجنا لقوم وهي التي تُلقح قبل وقت اللقاح نتجت، وكانت غزيرة تملأ القدح الضخم، فلما أسنت قلَّ لبنها، فقبل للراعي في ذلك، فقال: جلت الهاجن عن الرfid، أي: كبرت فقلَّ لبنها يضرب في استبعاد الشيء» المستقصى في الأمثال، ٢: ٤٢.

(٤) المستقصى في الأمثال، ٢: ٤٢.

(٥) «أي: هب أن عقلها ذهب؛ فأين ذهب بصرها، يضرب في استبعاد عقل الحليم» مجمع الأمثال، ٢: ١١٨٧.

(٦) مجمع الأمثال، ٢: ١١٨٧.

(٧) «يضرب في استبعاد الشيء وإنكار كونه» مجمع الأمثال، ٣: ١٣٤٧.

(٨) مجمع الأمثال، ٣: ١٣٤٧.

(٩) المستقصى في الأمثال، ٢: ٤٥.

هَيْهَاتَ الْجَنَابِ الْأَخْضَرُ»^(١)، «يُضْرَبُ فِي اسْتِبْعَادِ الشَّيْءِ»^(٢)، وأمثال الاستبعاد هي مجموعة من الأمثال تجتمع على الدلالة على معنى الاستبعاد وإن اختلفت ألفاظها ودلالاتها، فيها «يُضْرَبُ المثل في الحالات المتجددة، التي تشبه الحالة الأولى»^(٣)، وقد وظفها شعراء الجاهلية للتعبير عن معان معينة في سياق الأغراض الشعرية المختلفة، فاستحضروها في أشعارهم، فكانت معبرة عما يريد الشاعر من المعاني والدلالات.

-
- (١) «لما ثقل ضربة بن أد، وكان يُسار به إلى جنبه قال له ولده: لو قد انتهينا إلى الجنب، لقد انحلَّ عنك ما تجد، فقال ذلك؛ يُضْرَبُ فِي اسْتِبْعَادِ الشَّيْءِ، أراد أني أخترم دون بلوغه» المستقصى في الأمثال، ٢: ٢٩٥.
- (٢) المستقصى في الأمثال، ٢: ٢٩٥.
- (٣) الأمثال العربية، ص ١٢.

الفصل الأول: استبعاد استحالة الفوات والإدراك

المبحث الأول: استبعاد استحالة الفوات

وظف الشعراء الجاهليون العديد من أمثال الاستبعاد للتعبير عن استحالة الفوات في سياقات مختلفة ولأغراض متعددة، فمن ذلك قول دويد العاملي يخاطب النعمان وقد اتهمه^(١):

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي	مَلَكَ الْأَنَامَ عَلَانِيَةً
الْمَالُ آخِذُهُ سِوَا	يَ وَكُنْتُ عَنْهُ نَاحِيَةً
إِنِّي أُؤَدِّيهِ إِلَيْهِ	لَكَ وَلَوْ بِقِرْطِي مَارِيَةً

في سياق التلطف والاعتذار، سعى الشاعر لاسترضاء النعمان، وردّ ما اتُّهم به ظلماً، وإن كان يستحيل ذلك مستعينا بتضمين المثل القائل «خُذْ كَذَا وَكَذَا وَلَوْ بِقِرْطِي مَارِيَةً»^(٢)، وخص قرطاً مارية؛ لما لهما من الانتشار والشهرة في معنى النفاسة والاستحالة، فلا يمكن إيجادهما، إن لحرف الشرط (لَوْ) ظلالاً متعددة في المثل المضمن، وهو «حَرْفٌ لِمَا سَيَقَعُ لَوْفُوعٍ غَيْرِهِ»^(٣)، ف«هي حرف

(١) دويد العاملي شاعر جاهلي كان قد ورد العراق لبعض أمره فاتهمه النعمان بن المنذر أنه كان في قوم أخذوا مالا لبعض التجار فأخذه فحبسه فقال الأبيات تاريخ مدينة دمشق، ١٧: ٣١٥.

(٢) «يضرِب للرجل يقال له: لا يفوتنك الأمر» الأمثال: لأبي عبيد، ص ٢٣٢ فمعنى الكلام «أي: بالشيء العزيز الذي لا يُقْدَرُ عليه ولا يُوصَلُ إليه» الفاخر، ص ١٠٧.

(٣) مصابيح المعاني في حروف المعاني، ص ٢٨٢.

شرط بمنزلة (إن)، ولا يكون جوابها بعدها إلا محذوفًا غالبًا؛ لدلالة الكلام عليه»^(١)، و«المقصود بها فرض وقوع فعل الشرط مع العلم بعدم وقوعه»^(٢)، فجواب (لَوْ) في المثل-المضمن تضمينًا كليًا-محذوف مستقبل لاستقبال ما دل عليه فعل الشرط، ولعل تقدير ما حذف من المثل ولا يتم المعنى إلا به هو: «حُذِّ كَذَا وَكَذَا وَإِنْ كَانَ الْمَبْدُولُ لِأَجْلِهِ أَوْ لِنَيْلِهِ مِثْلُ قِرْطٍ مَارِيَّةٌ حُذِّ كَذَا وَكَذَا»^(٣)، فمن خاصية (لَوْ) «فرض ما ليس بواقع واقعا، ومن ثم انتفى شرطها في الماضي والحال لما ثبت من كون متعلقها غير واقع»^(٤)، «ولأسلوب الفرض والتقدير عن طريق الشرط ب(لو) دلالات عدة منها: التعظيم، والاستبعاد»^(٥)، فهي هنا «للتعليق بالمستقبل كأختها (إن)»^(٦)، «فالمقصود تحقيق سوى قرطي مارية لامتناعهما»^(٧)، واستحالتها، ف(لَوْ) هنا «منبهة على أن ما قبلها جاء على سبيل الاستقصاء، وما بعدها جاء تنصيصًا على الحالة التي يظن أنها لا تندرج فيما قبلها»^(٨) «كأن قرطي مارية مما لا يمكن أن يؤتى بهما؛ فكان

(١) رصف المباني، ص ٣٦٠ .

(٢) مغني اللبيب، ص ٢٦٤ .

(٣) رصف المباني، ص ٣٦٠ .

(٤) مغني اللبيب، ص ٢٦٣ .

(٥) أسلوب الفرض والتقدير، ٣: ٣٠٥١ .

(٦) مصابيح المغاني، ص ٢٨٩ .

(٧) مصابيح المغاني، ص ٢٩٠ .

(٨) البحر المحيط، ٥: ٥٣٠ .

يُنَاسِبُ أَنْ لَا يُتْرَكَ الْمَطْلُوبُ»^(١)، وإن كان ثمنه ما يستحيل إيجاده ودفعه، إن تعبير الشاعر بالمثل المضمن وأسلوبه الشرط الصريح بقوله: (إِنِّي أُؤَدِّيهِ إِلَيْكَ وَلَوْ بِقِرْطَي مَارِيَّةَ)، وأصل القول: (وَلَوْ بِقِرْطَي مَارِيَّةَ إِنِّي أُؤَدِّيهِ إِلَيْكَ)، فقدم جواب الشرط، وهو قوله: (إِنِّي أُؤَدِّيهِ إِلَيْكَ)، فهو «جواب من حيث اللفظ والمعنى»^(٢)، فهو «تقديم على نية التأخير، وذلك في كل شيء أقرته مع التقديم على حكمه الذي كان عليه، وفي جنسه الذي كان فيه»^(٣)، ولعل من ظلال تقديم جواب الشرط بتعجيل قرع أذن المعتذر منه «ببيان الأداء الطاعة والخضوع للممدوح المعتذر إليه أهم للمتلقى وبيانه أعنى، وإن كانا جميعاً يهمنانه ويعنيانه»^(٤) وهو غرض الشاعر، أنه «يحمل المعنى و يحقق دلالة ما كانت لو أُخِّرَ»^(٥)، «وهو تقديم ليس على نية التأخير»^(٦)، فجواب «الشرط قد يتقدم، وقد يتأخر»^(٧)، و«إذا تقدم جواب الشرط، أغنى عن تأخره، فإن المتكلم، إنما يقصد، أن يربط بالشرط المؤخر، ما تقدم من الجملة»^(٨)؛ لأن «الشرط جملتان

(١) البحر المحيط، ٥: ٥٣١.

(٢) بدائع الفوائد، ١: ٨٨.

(٣) دلائل الأعجاز، ص ١٠٦.

(٤) ينظر الكتاب، ١: ٨٨، وقد نقله الجرجاني في دلائل الإعجاز، ص ١٠٧.

(٥) بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم، ١: ١٢٣.

(٦) بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم، ١: ١٢٣.

(٧) الرد على السبكي في مسألة تعليق الطلاق، ١: ٧٨.

(٨) الرد على السبكي في مسألة تعليق الطلاق، ١: ٦٧ و ٦٨.

قد صارتا بَأْدَاةَ الشَّرْطِ جملة واحدة، وصارت الجملتان بالأداة كأَكْثَمَا مفردان، فالجزء هو المقصود والشرط قيد فيه وتابع له، فهو من هذا الوجه رتبته التقديم طبعاً، ولهذا كثيراً ما يجيء الشرط متأخراً عن المشروط؛ لأن المشروط هو المقصود وهو الغاية، والشرط وسيلة، فتقديم المشروط، هو تقديم الغايات على وسائلها ورتبتها التقديم ذهنياً، وإن تقدمت الوسيلة وجوداً فكل منهما له التقدم بوجه، وتقدم الغاية أقوى، فإذا وقعت في مرتبتها، فأبي حاجة إلى أن نقدرها متأخرة^(١)، القيمة البلاغية من هذا التقديم هو المبالغة والتكلف على وجه يتحقق فيه بذل ما يستحيل في سبيل فوات الإدراك والغرض منه الاستبعاد باستحالة الفوات، ونيل رضا النعمان واسترضائه، بل وبعث الطمأنينة لديه بإيجاد من سرق منه، ومن ظلال أسلوب الشرط ذلك التلازم بين الشرط وجوابه، فحدوث الجواب ملازم لحدوث فعل الشرط، ويمكن أن نقدر أداة التشبيه المحذوفة وتقديرها: «إِنِّي أُؤَدِّيهِ إِلَيْكَ وَلَوْ كَانَ الْمَبْذُولُ لِأَجَلِهِ أَوْ لِنَيْلِهِ فِي الْإِسْتِحَالَةِ مِثْلُ اسْتِحَالَةِ إِيجَادِ قِرْطٍ مَارِيَّةٍ»^(٢)؛ لتكشف لنا ملامح الاستعارة التمثيلية، بتشبيه صورة ما يبذل لنيل المسروق والمفقود، بصورة ما يبذل لإيجاد قرطي مارية بجامع الاستحالة والنفاسة.

(١) بدائع الفوائد، ١: ١٢١.

(٢) البحر المحيط، ٥: ٥٣٢.

وقال أبو ذؤيب الهذلي^(١):

يَقُولُونَ لِي لَوْ كَانَ بِالرَّمْلِ لَمْ يَمُتْ
وَلَوْ أَنَّنِي اسْتَوْدَعْتُهُ الشَّمْسُ لَارْتَقَتْ
نُشَيْبُهُ وَالطَّرَافُ يَكْذِبُ قِيلُهَا
إِلَيْهِ الْمَنَايَا عَيْنُهَا وَرَسُولُهَا

في سياق الرثاء، وتعزية النفس استعان بالمثل القائل: «مَنْ يَقْدِرُ عَلَى رَدِّ أَمْسٍ، وَلَمْسِ عَيْنِ الشَّمْسِ»^(٢)، اجتزأ الشاعر من المثل آخره وهو: (مَنْ يَقْدِرُ عَلَى لَمْسِ عَيْنِ الشَّمْسِ)، وتصرف في النص المجتزأ الدال على الاستبعاد باستحالة لمس عين الشمس، إلى افتراض حفظه أمانة عند الشمس، وعدل عن أسلوب المثل وهو الاستفهام بـ(مَنْ) الدال على الإنكار والنفي الضمني إلى أسلوب الشرط بقوله: (وَلَوْ أَنَّنِي اسْتَوْدَعْتُهُ الشَّمْسُ لَارْتَقَتْ)، واختار أداة الشرط (لَوْ) للدلالة على افتراض وقوع ما يستحيل لتجنب ما يستحيل تجنبه من خلال المثل، ولما له من ظلال، وهو «حَرْفٌ لِمَا سَيَقَعُ لَوْ قُوعٌ غَيْرُهُ»^(٣)، ف«هي حرف شرط بمنزلة (إِنْ)»^(٤)، و«المقصود بها فرض وقوع فعل الشرط مع العلم بعدم وقوعه»^(٥)، فمن خاصية (لَوْ) «فرض ما ليس بواقع واقعا، ومن

(١) شرح أشعار الهذليين، ١: ١٧٤ هو خويلد بن خالد جاهلي إسلامي الشعر والشعراء،

٢: ٦٥٣ هو من الطبقة الثالثة من فحول الجاهلية، طبقات فحول الشعراء، ١: ١٣١.

(٢) التمثيل والمحاضرة، ص ٣٩٤ وهو مثل المبهج، ص ٩٨.

(٣) مصابيح المغاني في حروف المغاني، ص ٢٨٢.

(٤) رصف المباني، ص ٣٦٠.

(٥) مغني اللبيب، ص ٢٦٤.

ثم انتفى شرطها في الماضي والحال لما ثبت من كون متعلقها غير واقع»^(١)، «ولأسلوب الفرض والتقدير عن طريق الشرط ب(لو) دلالات عدة منها: التعظيم، والاستبعاد، واليأس»^(٢)، فهي هنا «للتعليق بالمستقبل كأختها (إِنْ)»^(٣) «فالمقصود تحقيق سوى حفظ ابنه في الشمس؛ لبعدها وهذا ممتنع»^(٤)، واستحالته، ف(لَوْ) هنا «منبهة على أن ما قبلها جاء على سبيل الاستقصاء، وما بعدها جاء تنصيصة على الحالة التي يظن أنها لا تندرج فيما قبلها»^(٥) «كأن حفظه في السماء مما لا يمكن أن يؤتى فعله؛ فكان يُناسب أن لا يُترك المطلوب»^(٦)، وإن كان هذا الفعل ما يستحيل إيجاده ودفعه، ونلاحظ ذلك التلازم بين فعل الشرط وأداته بقوله: (وَلَوْ أَنِّي اسْتَوْدَعْتُهُ الشَّمْسَ) فجواب الشرط قوله: (لَا زَنْتُكَ إِلَيْهِ الْمَنَآيَا عَيْنُهَا وَرَسُولُهَا)، فمتى حدث الفعل حدث جوابه، ودلت اللام في جواب (لَوْ) في قوله: (لَا زَنْتُكَ) «على تأكيد ارتباط الجملتين بالأخرى»^(٧)، والغرض من أسلوب الشرط الاستبعاد باستحالة الفوات، والإفلات من الموت والنجاة منه، فظلال أسلوب الشرط ذلك التلازم بين الشرط وجوابه، فحدوث الجواب ملازم لحدوث فعل

(١) مغني اللبيب، ص ٢٦٣.

(٢) أسلوب الفرض والتقدير، ٣: ٣٠٥١.

(٣) مصابيح المغاني، ص ٢٨٩.

(٤) مصابيح المغاني، ص ٢٩٠.

(٥) البحر المحيط، ٥: ٥٣٠.

(٦) البحر المحيط، ٥: ٥٣١.

(٧) مصابيح المغاني، ص ٢٦٨.

الشرط، ونرصد كذلك الاستعارة المكنية المرشحة، حيث شبه المنية بإنسان يرتقي، وحذف المشبه به، وهو الإنسان، وأبقى على شيء من لوازمه وهو الارتقاء، وما جعلها مرشحة قوله: (عينها ورسولها)، فهي تناسب المشبه به المحذوف وهو الإنسان، وفي ذلك إظهار للأمر المعنوي بصورة الأمر الحسي، وإظهار مالا يمكن ظهوره ويستحيل حدوثه بإظهارها مجازا ظاهرا وممكنا، جسد الشاعر صورة اليأس بالإفلات من المنية من المنية مهما فعل، ولو كان ما يفعله مستحيلا، وبذلك تحقق الاستبعاد باستحالة فوات ولده ونجاته من المنية.

وقال الأعشى البكري^(١):

لَعْنُ كُنْتُ فِي جُبِّ^(٢) ثَمَانِينَ قَامَةً وَوَقَّيْتُ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسَلَمٍ
لَيْسْتَ دَرَجَتِكَ الْقَوْلُ حَتَّى يَهْرَهُ^(٣) وَتَعَلَّمَ أَبِي عَنَّا لَسْتُ بِمُلْجَمٍ^(٤)
وَتَشَرَّقُ^(٥) بِالْقَوْلِ الَّذِي قَدْ أَدْعَتْهُ كَمَا شَرَقَتْ صَدْرُ الْقَنَاةِ مِنَ الدَّمِ

- (١) ديوانه، ١: ٣١٨ هو سعد بن ضبيعة بن قيس، وكان أعمى، ويكنى أبا بصير وكان جاهليا قديما، وأدرك الإسلام في آخر عمره الشعر والشعراء، ١: ٢٥٧.
- (٢) البئر الكثيرة الماء البعيدة القعر اللسان، مادة: جيب.
- (٣) هَرَّ الشيء يَهْرُهُ كرهه اللسان، مادة: هرر.
- (٤) الممسك عن الكلام اللسان، مادة: لجم.
- (٥) «يقال: شَرَّقَ فلان بريقه، وكذلك غَصَّ بريقه، ويقال: أخذته شَرَقَةً فكاد يموت، والشَّرْقُ دخول الماء الحلق حتى يغصَّ به وقد غرق وشرَّق الشيء اشتدت حمرة، فمعنى شرق بالدم أي ظهر فيها ولم يجز منها» لسان العرب، مادة: شرق .

في سياق الوعيد استعان الشاعر بالمثل القائل: «لَا أَفْعَلُ ذَلِكَ وَلَوْ نَزَوْتُ فِي السُّكَكِ»^(١)، وحوّر في نص المثل؛ ليتناسب مع غرض الشاعر وسياق النص، وعدل عن لفظ (السكك) بـ (بالسماء)، كما تغيرت دلالة المثل التي كانت تدل على العلو والشرف والرفعة بسبب السياق إلى وعيد شديد باستبعاد الفوات واستحالاته، وبدأ باللام الموطئة للقسم في قوله: (لَئِنْ) مذكورة في قوله: (لَئِنْ كُنْتُ فِي جُبِّ ثَمَانِينَ قَامَةً)، ومقدرة في قوله: (وَلَئِنْ رُفِّيتَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسُلْمٍ) «للإيذان بأن الجواب بعدها مبني على قسم قبلها، لا على الشرط، ولهذا سميت باللام المؤذنة بالقسم؛ لأنها وطأت الجواب للقسم. أي: مهدت له»^(٢)، الشرط، وتقدير القسم المحذوف: (أَخْلِفُ أَوْ أَقْسِمُ بِاللَّهِ) أو بما هو مقدس عند الشاعر، فحذف فعل القسم والمقسوم به وهو المقدس، وجواب القسم متعدد، وهو قوله: (لَيْسْتَ دَرَجَتِكَ - وَتَعْلَمَ - وَتَشْرُقَ)، ودلالة اللام في جواب القسم في قوله: (لَيْسْتَ دَرَجَتِكَ) هي «للتأكيد وتمكين المعنى في النفس»^(٣)، وتفيد «إثبات وقوع جواب

(١) إصلاح المنطق، ص ١٩٢ «أي: في السماء، وقيل هو الهواء الذي يلاقي أعنان السماء» لسان العرب، مادة: سكك، مادة: لوح، وبلغز «لَأَفْعَلَنَّ ذَلِكَ وَلَوْ نَزَوْتُ فِي السُّكَكِ» في أمالي القاضي، ١: ١٢٨، «ويقال له السُّكَكَةُ: وهما الهواء الذي يلاقي عنان السماء، أي في السماء، وبلغز «أَطْوَلُ مِنَ السُّكَكِ» في مجمع الأمثال، ٢: ١٢٣٦ «وقد جرى المثل على ألسنة الناس فيمن شرف: أنه قد بلغ إلى السماء، وبلغ أعنان السماء، وارتقى في الأسباب» تعبير الرؤيا، ص ١٠٤.

(٢) مصابيح المغاني، ص ٢٦٩ والجنى الداني، ص ١٣٧ ومغني اللبيب، ص ٢٣٧.

(٣) رصف المباني، ص ٣٠٦ و ٣١٢.

القسم»^(١)، وهي هنا تُعدُّ لام القسم الحاملة، و«حُدُّها أن تكون مع المستقبل لازمة لنوني التوكيد»^(٢)، وهذا متحقق، فهي بذلك دالة على حدوث جواب القسم وجواب الشرط المقدر في المستقبل، ودلالة أسلوب القسم المبالغة في التوكيد، جمع الشاعر بين التوكيد بالقسم ونون التوكيد المخففة المتصلة بجواب القسم، «ويؤتى بها لإخلاص معنى الفعل للاستقبال»^(٣)، «فهي صارقة للفعل إلى الاستقبال وإعلام السامع أن هذا الفعل ليس للحال»^(٤)، «ومظنة هذه النون الفعل المستقبل، المطلوب تحصيله؛ لأن الفعل المستقبل غير موجود، فإذا أُريد حصوله أكد بالنون إيذاناً بقوة العناية بوجوده»^(٥)، و«إنما يؤكد ما لم يقع، وهو ما كان مستقبلاً»^(٦)، والغرض من نون التوكيد «تأكيد وقوع جواب القسم وجواب الشرط المقدر وتقويته»^(٧)، «فإذا جئت بالخفيفة فأنت مؤكدة، وإذا جئت بالثقيلة فأنت أشد توكيداً»^(٨)، وبذلك تكون «نون التوكيد المشددة أبلغ في التأكيد من المخففة؛ لأن تكرير النون بمنزلة تكرير التأكيد»^(٩)، إن البيت مفعم بالتوكيد الأسلوبى، المعبر عن مدى شدة الغيظ

(١) طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية، ص ٢١٠.

(٢) حروف المعاني: للزجاجي، ص ٤٢.

(٣) الجنى الداني، ص ١٤٢ و ١٤٣.

(٤) شرح المفصل: لابن يعيش، ٩: ٣٩.

(٥) المستقصى في علم التصريف، ١: ١٩٠.

(٦) المستقصى في علم التصريف، ١: ١٨٨.

(٧) المستقصى في علم التصريف، ١: ١٨٦.

(٨) الحروف والأدوات: للفراهيدي، ص ٤٩١.

(٩) المستقصى في علم التصريف، ١: ١٨٧.

وحدة الغضب النفسي بما يهجو به الشاعر وقومه من أشعار . ففي قوله: (لَيْنُ) اللام هي لام القسم دخلت على (إِنْ) الشرطية، لنلاحظ أن الشاعر عدل عن أداة الشرط (لَوْ) لأداة الشرط (إِنْ)، ودلالة أداة الشرط «(إِنْ)، في المشكوك بحدوثه مستقبلاً؛ لعلم الناس أنه يستحيل ارتقاء السماء بسلم، إذ الأصل في استعمال (إِنْ) الشرطية أن تدخل على ما يمتنع، أو يتوهم وقوعه»^(١)، ولعل «المقصود بما فرض وقوع فعل الشرط مع العلم بعدم وقوعه»^(٢)، أي: «فرض ما ليس بواقع واقعا، ومن ثم انتفى شرطها في الماضي والحال لما ثبت من كون متعلقها غير واقع»^(٣)، و«إذا كان الشرط مفروضاً فرضاً، لا قصداً لتحقيقه ولا لعدمه، جيء بـ(إِنْ)»، «ولأسلوب الفرض والتقدير عن طريق الشرط بـ(إِنْ) دلالات عدة منها: التعظيم، والاستبعاد»^(٤)، فهي هنا «للتعليق بالمستقبل»^(٥)، فجواب (إِنْ) محذوف مستقبلاً لاستقبال ما دل عليه فعل الشرط، ولعل تقدير ما حذف من جواب الشرط المقدر ولا يتم المعنى إلا به هو تكرار جواب القسم تقديراً بقوله: (لَيْسَتْ دَرَجَتُكَ - وَتَعْلَمَ - وَتَشْرَقَ)، وتكون اللام في جواب الشرط المحذوف المقدر تفيد التأكيد، وفي تعدد جواب القسم وجواب الشرط المحذوف المقدر تكرار لفعل

(١) ينظر شرح الكافية: للرضي، ٣: ٨٥ وشرح التلخيص، ص ٢٧٨.

(٢) مغني اللبيب، ص ٢٦٤.

(٣) مغني اللبيب، ص ٢٦٣.

(٤) أسلوب الفرض والتقدير، ٣: ٣٠٥١.

(٥) مصابيح المعاني، ص ٢٨٩.

القسم والمقسم عليه، وكذلك تكرار لأداة الشرط وجواب الشرط المقدر، وتقدير أسلوب القسم وجوابه مع ذكر المحذوف وتقديره: (أَخْلِفُ أَوْ أُقْسِمُ بِاللَّهِ لَيْسَتْ دِرْجَتُكَ - وَأَخْلِفُ أَوْ أُقْسِمُ بِاللَّهِ لَتَعْلَمَنَّ - وَأَخْلِفُ أَوْ أُقْسِمُ بِاللَّهِ لَتَشْرِقَنَّ) أو بما هو مقدس عند الشاعر، فحذف فعل القسم والمقسم به وهو المقدس، كما كرر أداة الشرط (إِنْ) ذَكَرًا فِي قَوْلِهِ: (إِنْ كُنْتُ فِي جُبِّ ثَمَانِينَ قَامَةً)، ومقدرة في قوله: (وَإِنْ رُقِيتْ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسَلَمٍ)، وجواب الشرطين المحذوف كذلك قد تعدد، وهو قوله: (لَيْسَتْ دِرْجَتُكَ - وَتَعْلَمَ - وَتَشْرِقَ)، وفي هذا التكرار ذَكَرًا وحذفًا مبالغة في تأكيد وقوع جواب القسم وجواب الشرط؛ ليتحقق بذلك تئيس الخصم باستبعاد الإفلات من الوعيد واستحالة الفرار والنجاة منه. ولم يكتف الشاعر بذلك، بل شبه وقوع جواب القسم المذكور وهو جواب الشرط المحذوف أيضا بقوله: (وَتَشْرِقُ^(١) بِالْقَوْلِ الَّذِي قَدْ أَدْعَتْهُ) شبهه بقوله: (كَمَا شَرِقَتْ صَدْرَ الْقَنَاةِ مِنَ الدَّمِ)؛ لتتشكل صورة التشبيه التمثيلي فشبه صورته وقد غص بقوله الذي هجا به الشاعر بالرمح الذي احمر من كثرة الطعن، واشتدت حمرة وغطت على لونه، وفي ذلك استعانة بالخيال المتوقع، وتجسيد الصورة المعنوية للتهديد بصورة حسية الغرض منها

(١) «يقال: شَرِقَ فلان بريقه، وكذلك غَصَّ بريقه، ويقال: أخذته شَرِقَةً فكاد يموت، والشَّرِقُ دخول الماء الحلق حتى يغصَّ به وقد غرق وشرِقَ الشَّيْءُ اشتدت حمرة، فمعنى شرق بالدم. أي: ظهر فيها ولم يجز منها» لسان العرب، مادة: شرق.

تخويف الخصم بعواقب هجائه وسيء أقواله، والحق أن جواب القسم والشرط في قوله: (وَتَشْرِقَ بِالْقَوْلِ الَّذِي قَدْ أَدْعَتْهُ) وتشبيهه بقوله: (كَمَا شَرِقَتْ صَدْرَ الْقَنَاةِ مِنَ الدَّمِ) مصدره المثل القائل: «شَرِقَ بِالرِّيقِ»^(١)، والمثل كناية نسبة، فلازم معنى الشرق بالريق هو ضرر ما يتوقع منه النفع، وحوره الشاعر؛ ليسقطه على القول؛ لأن القول والريق من مكان واحد وهو الفم، وبذلك تتشكل الاستعارة التمثيلية حيث شبه صورة شرقه بالقول بصورة من يشرق بالماء والمراد هنا الدماء، سيشرق بقوله دمًا، والجامع بين الصورتين هو الغصة الحسية والمعنوية، وأسقطه كذلك على الرمح الذي غص بالدماء، وفي ذلك استعارة، حيث شبه رأس الرمح بإنسان يشرق بريقه، ولكن ريق رأس الرمح هو الدم، وحذف الإنسان وهو المشبه به، وأبقى على شيء من لوازمه، وهو الشَّرِقُ والغصة، والجامع بين الصورتين هو الغصة الحسية والمعنوية.

(١) «أي: ضره أقرب الأشياء إلى نفعه؛ لأن ريق الإنسان أقرب شيء إليه» مجمع الأمثال، ٢: ١٠٣٠ «يضرِبُ فِي الْإِسْتِضْرَارِ بِمَا يَتَرَقَّبُ فِيهِ الْإِنْتِفَاعُ» المستقصى في الأمثال، ٢: ١٠٣ «أي: ضره أقرب الأشياء إلى نفعه؛ لأن ريق الإنسان أقرب شيء إليه نفعا فرائد الخرائد في الأمثال، ص ٢٨٨ وأصل الغصص بالريق ونحوه، فإذا كان بالريق فهو غصص، وإذا كان بالماء فهو شرق» الاشتقاق، ص ٤٠٢ «عَصَّ يَعْصُ عَصًا، إِذَا شَرِقَ بِالْمَاءِ وَغَيْرِهِ، وَالْعَصَصُ بِالرِّيقِ وَالشَّرِقُ بِالْمَاءِ، وَالْعَصَّةُ: مَا اعْتَرَضَتْ فِي الْحَلْقِ فَأَشْرَقَ» جوهرة اللغة، ١: ١٤٢.

المبحث الثاني: استبعاد استحالة الإدراك

استعان الشعراء الجاهليون بالعديد من أمثال الاستبعاد في معنى استحالة الإدراك، وكانت في سياقات مختلفة ولأغراض أرادها الشعراء على اختلاف مواقفهم وتجاربهم الإنسانية، فمن ذلك قول أبي الحارث يزيد بن مخرم الحارثي^(١):

فَلَسْتُ بِقَائِلٍ هَجْرًا وَلَكِنْ سَتَعْلَمُ أَيَّ مِرْدَاةٍ تُرَادِي^(٢)

في سياق الوعيد ضمن الشاعر المثل القائل: «أَحْمَقُ مِنْ نَاطِحِ الصَّخْرِ»^(٣)، تضمينًا جزئيًا، حيث عدل عن لفظ النطح إلى لفظ المرداة، وهي المصادمة، وعدل عن لفظ الصخرة إلى المِرْدَاة، من باب المبالغة في تخصيص المعنى للصخر الثقيل الذي تنكسر بها الحجارة، إن من ظلال المثل تشكيل الاستعارة التمثيلية حيث شبه صورة الخضم في تعمد العدوان على قومه ومحاولة إيذائهم، وما يلحقه من ضرر على نفسه وخيبة في تحقيق ما يريد بصورة الوعل الذي ينطح الصخر، فلم يضر الصخرة بشيء، بل أضر بقرونه، والجامع بين الصورتين هي الحمق والعدوان والخيبة ومكابدة الضرر، لقد ألبس الشاعر ما للمهجو من

(١) شعراء مذحج، ص ٤٣١. هو يزيد بن مخرم بن حزن بن زياد من بني الحارث بن كعب، يعرف بابن فكهة، وهي جدته أم أبيه وهو جاهلي معجم الشعراء، ص ٥٥٣.

(٢) «المِرْدَى وَالْمِرْدَاةُ: الصَّخْرَةُ والحجر وأكثر ما يقال في الحجر الثقيل، وقيل الحجر الذي لا يكاد الرجل الضابط يرفعه بيده، وهي صخرة تُكْسَرُ بِهَا الْحِجَارَةُ، ورديته: صدمته» لسان العرب، مادة: ردي، ٥: ١٩٧.

(٣) مجمع الأمثال، ١: ٥٥٩.

معانٍ للوعل الأحق المغتر بقوة قرونه، فاكسب ما للوعل من الدلالة والمعنى، وألبس قومه مال للصخر من القوة والصلابة وشدة البأس، ولا يخفى تصوير المهجو في صورة الوعل الأحق المغرور وهي صورة نفسية أظهرها الشاعر في صورة الوعل الناطح، فهي صورة ساخرة تستخف وتحتقر وعيد العدو ومراميه، كما أن للصورة النفسية من خلال المثل ملامح أخرى وهي صورة الصخرة الصلبة التي تمثل فخر الشاعر بقومه، وثقته بقوتهم، والغرض منها تئيس الخصم من مآربه وتبكيته وردعه، بإقناعه بالدليل، كما نرصد بلاغة التعبير وقوة الوعيد في قوله: (سَتَعْلَمُ)، فاختار (السين)، وهو «حرف تنفيس للمستقبل القريب، يفيد الوعد والوعيد بحصول الفعل، فدخولها على الفعل ؛ لتوكيده وتثبيت معناه، فهي تفيد الوقوع لا محالة»^(١)، وفي ذلك وعيد شديد، يخيف العدو ويفسد عليه غروره، ويجعله يتزقب انقلاب الأمر في قريب القادم من الأيام . ودلالة: (أَيَّ) في قوله: (أَيَّ مِرْدَاةٍ تُرَادِي) هي الاستفهام «فيستفهم بها عن شيء من شيء هو بعضه»^(٢)، و«يُسْأَلُ بها عن التمييز بين الأجناس»^(٣)، أي: «يُسْأَلُ بها عن تمييز أحد الأمرين المتشاركين، وتكون ملازمة للإضافة»^(٤)، كما دل الأسلوب على الإبهام، فهو وعيد غامض، ترك الشاعر تبينه حين المصادمة؛ ليذهل العدو وتتفاجأ نفس الموعد؛ ليذهب تفكيره في كل مذهب

(١) مصابيح المغاني في حروف المعاني، ص ١٨٣.

(٢) حروف المعاني: للزجاجي، ص ٦٢.

(٣) حروف المعاني: للزجاجي، ص ٦٣.

(٤) مصابيح المغاني في حروف المعاني، ص ١٣١.

ممکن من هول قوة قومه وشدة بأسهم، وللإضافة في قوله: (أَيَّ مِرْدَاةٍ) أثر في المعنى، فقد «أضيفت إلى نكرة (مِرْدَاةٍ)، وبذلك تكون سؤالاً عن صفة هذه الصخرة وعن قوة قومه، وتلك الصفة تأتي على عدد النكرة كلها من جنس الصخور لا على التعيين»^(١)، فالتجربة للموعِد تجربة غامضة مفعمة بالمفاجآت السيئة التي لا يعلم مداها بعد.

وقال الأعشى البكري^(٢):

فَيَا عَبْدَ عَمْرٍو لَوْ تَهَيْتَ الْأَحَاصِصَا	أَتَانِي وَعَيْدُ الْخُوصِ مِنْ آلِ جَعْفَرٍ
مَتَى كُنْتُ فَقَعًا نَابِتًا بِقَصَائِصَا	فَقُلْتُ وَلَمْ أَمْلِكْ أَبْكَرَ بَنٍ وَائِلٍ
بِكُمْ عَالِمًا عَلَى الْحُكُومَةِ غَائِصَا	أَعْلَقُمُ قَدْ حَكَمْتَنِي فَوَجَدْتَنِي
وَلَكِنَّهُمْ زَادُوا وَأَصْبَحَتْ نَاقِصَا	كِلا أَبَوَيْكَ كَانَ فَرْعًا دِعَامَةً
وَبَحْرُكُ سَاجٍ لَا يُوَارِي الدَّعَامِصَا	أَتُوْعِدُنِي أَنْ جَاشَ بَحْرُ ابْنِ عَمِّكُمُ

(١) مصابيح المغاني في حروف المعاني، ص ١٣٢.

(٢) ديوانه، ١: ٣٦٨ هو سعد بن ضبيعة بن قيس، وكان أعمى، ويكنى أبا بصير وكان جاهلياً قديماً، وأدرك الإسلام في آخر عمره الشعر والشعراء، ١: ٢٥٧.

فَعُضَّ حَدِيدٌ^(١) الْأَرْضِ إِنْ كُنْتُ سَاحِطًا بِفَيْكَ وَأَحْجَارَ الْكُلابِ الرَّوَاحِصَا^(٢)
فَإِنْ تَتَّعِدْنِي أَتَّعِدْكَ بِمِثْلِهَا وَسَوْفَ أَزِيدُ الْبَاقِيَاتِ الْقَوَارِصَا
فَهَلْ أَنْتُمْ إِلَّا عَبِيدٌ وَإِنَّمَا تُعْدُونَ خُوصًا فِي الصَّدِيقِ لَوَامِصَا

حشد الشاعر في سياق استخفافه بوعيد علقمة الفحل البكري
بمجموعة أمثال هي: «أَصْلَبُ مِنَ الْحَدِيدِ»^(٣)، و«أَشَدُّ مِنَ الْحَدِيدِ»^(٤)،
و«أَصْلَبُ مِنَ الْحَجَرِ»^(٥)، و«أَشَدُّ مِنَ الْحَجَرِ»^(٦)، و«أَقْسَى مِنَ
الْحَجَرِ»^(٧)، وضرب الله المثل بقسوة الحجارة قال تعالى: (ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ

(١) «روي لفظه (فَعُضَّ) بصيغة الأمر في» الواضح في مشكلات شعر المتنبي، ص ٥٤ وديوان
المعاني: تح: غانم، ١: ٣٦٦ وديوان المعاني: تح: شعلان، ١: ٣٢٩ وفصل المقال، ص ٣٥٦
والمآخذ على شُراح ديوان أبي الطيب المتنبي، ١: ١٢٣ «برواية مختلفة بلفظ (جديد) بدلاً
من (حديد) في» ديوان الأعشى، ١: ٣٦٨، ولفظ «(جديد)». أي: عرضها وقيل: من الجدد،
وهو الغلط في» ديوان الأعشى، ١: ٣٦٨ المآخذ على شُراح ديوان أبي الطيب المتنبي، ١:
١٢٣.

(٢) «الرَّوَاحِصُ من الحجارة: التي تَرْفُصُ الدَّابَّةَ إِذَا وَطِئَتْهَا فِي» ديوان الأعشى، ١: ٣٦٨.
(٣) أفعال من كذا: لأبي علي القالي، ص ١٥ وجمهرة الأمثال، ١: ٥٦٧ ومجمع الأمثال، ٢:
١١٧٢.

(٤) أفعال من كذا: لأبي علي القالي، ص ١٥.

(٥) جمهرة الأمثال، ١: ٥٦٧ ومجمع الأمثال، ٢: ١١٧٢ والمستقصى، ١: ٢٨٠.
(٦) جمهرة الأمثال، ١: ٥٣٨ ومجمع الأمثال، ٢: ١١٠٥ والمستقصى، ١: ٢٨٠.
(٧) جمهرة الأمثال، ٢: ١١٥ «وَقَسَّوْهُ الْحَجَرِ: يُضْرَبُ بِهَا الْمَثَلُ. قال الأصمعي: ومن أمثالهم:
«هُوَ أَقْسَى مِنْ حَجَرٍ» ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ٢: ٨٠١. المثل: «هُوَ أَقْسَى
مِنْ حَجَرٍ» رواه الأصمعي ولم أجده في الطبقات الثلاث لكتاب الأمثال: للأصمعي بتحقيق
وجمع د. محمد جبار المعين ود. إياد عبد المجيد إبراهيم ود. ناصر بن توفيق الجباعي.

مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً^(١)، كما عبر بها مجتمعة من خلال المثل القائل: «إِنَّهُ لَيَحْرِقُ عَلَى الْأَرَمِ»^(٢)، فالمقام مقام حقد وغيظ وغضب، وظف فيه مجموعة الأمثال، وهي تجتمع بين الحجارة والحديد لما لهما من الانتشار والشهرة في معنى الغاية والمقياس في الصلابة والقسوة والشدة، و«إنما خصَّ الحديد والحجر بالذكر دون غيرهما؛ لأنه جعل عدوه وموعدةً من خوفه بمنزلة من يعض على الحديد ويقضمه غيظًا وحنقًا عليه، وقصُورًا عنه»^(٣)، أي: عجزًا عن فعل الضرر، «إن علقمة توعده الشاعر بما يؤدي؛ لكن الشاعر توعده بأن يجد شدة عظيمة دون مراده؛ فكأنه سيعض ويقضم حديدًا وحجرًا»^(٤)، يعود على أسنانه المعنوية - أي: ما لديه من قوة - بالضرر، إن في هذه الصورة الكنائية دلالات ورموز عديدة يظهر فيها الموعدُ في صورة الأحق الذي يعض الحديد والحجارة، فلا ينال من عداوته وأفعاله إلا عنتًا وبلاءً، وتظهر صورة الاستبعاد باستحالة الإدراك؛ لأنه ربطها بما يدركه من يعض الحديد والحجر، بدأ الشاعر قوله: (فَعُضُّ)، وهو أمر

(١) سورة البقرة: الآية ٧٤.

(٢) «أي: الأسنان، وأصله من الأرم، وهو الأكل ويروى: «هُوَ يَعْضُ عَلَى الْأَرَمِ» وروي بلفظ «تَرَكْتُهُ يَحْرِقُ عَلَيْكَ الْأَرَمِ»، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: يعني أصابعه، وقال المؤرج السدوسي: يقال في تفسيرها: إنما الحصى، ويقال الأضراس، وهو أبعدُها» مجمع الأمثال، ١: ١٤٤ و ٣٩٨ وهو من الأمثال في إظهار ما في النفس يضرب في شدة العداوة والغيظ نشوة الطرب، ٢: ٧٦٤ و ٧٦٥ «يقال في الغضب: «تركْت فلانا يصرف نابه عليك» وَيَحْرِقُ وَيَحْرِقُ. وَرَأَيْتُهُ «يَعْضُ عَلَىكَ الْأَرَمِ» الكامل: للمبرد، ٣: ٨٦.

(٣) المأخذ على شراح ديوان أبي الطيب المتنبي، ١: ١٢٣.

(٤) النظام في شرح شعر المتنبي وأبي تمام، ٩: ١٦٥.

غرضه الاستهزاء والاستخفاف بالموعِدِ وتحقيره، بل وتيئيسه مما يريد ويتمنى، ووظف أسلوب الشرط بقوله: (إِنْ كُنْتُ سَاخِطًا)، واختار الشاعر أداتها حرف الشرط الجازم: (إِنْ)، وقد ناسبت الأداة غرض الشاعر في الدلالة؛ لأنها تتوافق مع مراده، فربط فعل الشرط (إِنْ كُنْتُ سَاخِطًا) بجوابه بقوله: (فَعُضُّ حَديدِ الأَرْضِ بِفِيكَ)، فتحقق تقديم جواب الشرط وهو قوله: (فَعُضُّ حَديدِ الأَرْضِ بِفِيكَ) على أداة الشرط وفعله بقوله: (إِنْ كُنْتُ سَاخِطًا)، وأصل القول: (إِنْ كُنْتُ سَاخِطًا فَعُضُّ حَديدِ الأَرْضِ بِفِيكَ)، ولعل الغرض من هذا التقديم تعجيل قرع أذن المهجو، فهو «جواب من حيث اللفظ والمعنى»^(١)، فهو «تقديم على نية التأخير، وذلك في كل شيء أقرته مع التقديم على حكمه الذي كان عليه، وفي جنسه الذي كان فيه»^(٢)، ولعل من ظلال تقديم جواب الشرط بتعجيل قرع أذن المهجو «بيان الاستخفاف وعدم المبالاة به وإن صابه من الغيظ الشديد، بل يبين الشاعر مدى التشفي بما أصاب المهجو وتسبب في سخطه، وهو بيانه أعنى، وإن كانا جميعا يهَمَّانَ ويعنيانه»^(٣) وهو ما أراده الشاعر. وفي تقديم جواب الشرط هنا، أنه «يحمل المعنى وأنه يحقق دلالة ما كانت لو أُجِرَّ»^(٤)، «وهو تقديم ليس على

(١) بدائع الفوائد، ١ : ٨٨.

(٢) دلائل الأعجاز، ص ١٠٦.

(٣) ينظر الكتاب، ١ : ٨٨ وقد نقله الجرجاني في دلائل الإعجاز، ص ١٠٧.

(٤) بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم، ١ : ١٢٣.

نية التأخير»^(١)، فجواب «الشرط قد يتقدم، وقد يتأخر»^(٢)، و«إذا تقدم جواب الشرط، أغنى عن تأخره»^(٣)؛ لأن «الشرط جملتان قد صارتا بأداة الشرط جملة واحدة، وصارت الجملتان بالأداة كأحدهما مفردان، فالجزء هو المقصود والشرط قيد فيه وتابع له، فهو من هذا الوجه رتبته التقديم طبعاً، ولهذا كثيراً ما يجيء الشرط متأخراً عن المشروط؛ لأن المشروط هو المقصود وهو الغاية، والشرط وسيلة، فتقديم المشروط، هو تقديم الغايات على وسائلها ورتبتها التقديم ذهنياً، وإن تقدمت الوسيلة وجوداً فكل منهما له التقديم بوجه، وتقدم الغاية أقوى»^(٤)، وكذلك نرصد تكرار الشاعر لأسلوب الشرط بحذف أداة الشرط وفعله، وذكر الجواب بقوله: (وَأَحْجَارَ الْكُلابِ الرُّوَاهِصَا)، وتقدير المحذوف: (إِنْ كُنْتَ سَاخِطاً فَعُضَّ وَأَحْجَارَ الْكُلابِ الرُّوَاهِصَا بِفَيْكٍ)، وتدل الباء في قوله: (بِفَيْكٍ) على معنى الاستعانة، فالمهجو يستعين بأسنانه التي فيه في عض الحديد والحجر، إن لتلازم جملي الشرط وجوابه ظلال يربط حال حدوث السخط بحدوث عض الحديد والحجارة، عجزاً وغيضاً، وفي حشد هذه الأمثال وتكرار أسلوب الشرط تثبتت لهذه الصورة الساخرة والمحقرة للمهجو، وهي مستمدة من الواقع بما تشتمل عليه الطبيعة من عناصر كالحديد والحجارة يُقَاسُ عليها ويُعَبَّرُ بها عن المعاني التي يرمي الشاعر لها، أظهر الشاعر مهجوه في صورة نفسية متوقعة ملؤها الغيظ

(١) بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم، ١: ١٢٣.

(٢) الرد على السبكي في مسألة تعليق الطلاق، ١: ٧٨.

(٣) الرد على السبكي في مسألة تعليق الطلاق، ١: ٦٧ و٦٨.

(٤) بدائع الفوائد، ١: ١٢١.

والغضب والعجز والخيبة، إن تضمن المثل ودلالته على الكناية على الكناية حولها إلا استعارة تمثيلية شبه فيها حال خصمه وعدوه بحال من ضرب المثل به لأول مرة وصيغ من أجله، وبذلك عبر الشاعر عن الأمر المجهول الكيفية والمقدار بالأمر المعلوم كيفاً ومقداراً.

وقال عامر بن جوين الطائي^(١):

وَحَوْلِي سَلَامَانُ الْحَمَاءُ وَسِنْسِنُ^(٢) يَفُودُونَ شُعْنًا^(٣) كَالْقِسِيِّ الْمَعْطَلَةِ^(٤)
هُنَالِكَ لَا أَحْشَى تُنَالَ ظَعِينَتِي إِذَا حَلَّ بَيْتِي يَبْنَ شَوَاطِ^(٥) وَغَلْغَلَةً^(٦)
وَأَلَيْتُ لَا أُعْطِي مَلِيكًا ظَلَامَةً وَلَا سُوقَةً حَتَّى يُؤُوبَ ابْنُ مَنْدَلَةَ

في سياق الفخر والوعيد وظف الشاعر المثل القائل: «لَا آتِيكَ حَتَّى يُؤُوبُ ابْنُ مَنْدَلَةَ»^(٧)، على طريقة التضمن الجزئي، فقد غير بعض ألفاظ المثل؛ ليتناسب مع غرض الشاعر والسياق الشعري، فربط ما يمكن حدوثه عقلاً وعادة بحدوث ما يستحيل وقوعه في الميراث التاريخي والثقافي للمجتمع؛ ليكتسب المربوط من المربوط به ما له من دلالة الاستبعاد على الاستحالة،

(١) شعراء طيئ، ص ٧٦٦ وهو عامر بن جوين بن عبد رُضا بن قمران الطائي، وكان سيّدا شاعرا شريفا، وهو الذي نزل به امرؤ القيس بن حجر أسماء المعتالين، ص ٢٢٧.
(٢) سلامان وسنسب بطنان من طيئ جمهرة أنساب العرب، ص ٤٠١ و ٤٠٢.
(٣) الشعث: المتلبدة الشعر المغبرته اللسان، مادة: شعث، أراد بها الخيل.
(٤) القسي المعطلة: المتروكة بلاعناية ولا إصلاح اللسان، مادة: عطل.
(٥) جبل بأجأ معجم البلدان، ٣: ٣٧٢.
(٦) جبل طويل أسود بأجأ معجم البلدان، ٤: ٢٠٨.
(٧) «هو أحد رؤساء العرب، واسمه الحارث، وكان من ملوك الشام، يضرب به المثل في التأبّد» المرصع، ص ٢٥٨.

فكما تستبعد عودة ابن مندله وتستحيل على التأييد، فكذلك إعطاء الظلامة والسوقة تكتسب هذا المعنى من استبعاد حدوثها واستحالتها، بدأ الشاعر البيت الذي ضمن فيه المثل بالقسم، وهو معبر عن صورة الإصرار النفسي من خلال التأكيد بصوره المختلفة، فأَوْهَهَا الْقَسَمُ في قوله: (أَلَيْتُ) بمعنى: حلفت، فحذف المقسب به، وهو الله أو المقدس عند الشاعر، كما حذفه تعويلا على القسم المذكور في قوله: (وَأَلَيْتُ لَا أُعْطِي مَلِيكَاً سُوقَةً)، وبذلك كرر القسم ذكرًا وتقديرًا، زيادة في التوكيد ومبالغة في أهمية جوابه، وجواب القسم مذكور وهو قوله: (لَا أُعْطِي مَلِيكَاً ظُلَامَةً) وقوله: (وَلَا سُوقَةً)، ودلالة أسلوب القسم المبالغة في التوكيد، ومن وتكرار النفي بقوله: (لَا أُعْطِي) وقوله: (وَلَا سُوقَةً)، وحذف الفعل أعطي والفاعل وتقدير المحذوف في قوله: (وَلَا أُعْطِي مَلِيكَاً سُوقَةً)، وفي تكرار المفعول به (مَلِيكَاً) ذكرًا وحذفًا بعد النفي دلالة على الاحتقار والاستصغار، وفي تكرار النفي تأكيد الاستبعاد، ونفس الاستعلاء على المهجو كما يدل على تثبيت صورة الاستعلاء النفسي للشاعر، وصورة الاستصغار النفسي، على التأييد باعتبار السياق، ويجوز أن تكون (حَتَّى) بمعنى «إلى أَنْ»^(١)، ف«(حتى) في هذا الموضع تدل على معنى الشرط»^(٢) أيضًا، ولكنها حتى تكون تأييدية لا بد من أن تدل على «تعليق المحال بالمحال»^(٣)، فهي بذلك: «ليست على معنى (حتى) الذي هو لانتهااء الغاية: وقت ذلك، بل تدل على الاستبعاد،

(١) الفسر الصغير: لابن جني، ص ٧٧.

(٢) الشرط والاستفهام في الأساليب العربية، ص ٣١.

(٣) شرح عقود الجمان، ٢: ١٠٥٣.

والعرب تقول في مثل معناه، تبعداً للأمر، وهم يعلمون أن ذلك لا يكون»^(١). فأراد الشاعر بذلك تبيين عدوه مليكاً من إدراك ما يريده من ثأر وغيره، وعبر الشاعر بالشرط الضمني، «وهو الدلالة الشرطية المستفادة من منطوق الكلام دون وجود أداة تعبر عنه، وإنما يفهمه المتلقي وفقاً لقاعدة راسخة في ذهنه، تؤدي إلى فرضية الارتباط الدلالي بين الجمل، فيعي أن العلاقة القائمة بين ركني الاسناد مثل بها إشعار بتعلق الركن الثاني بحدوث الركن الأول»^(٢). و«في كلام العرب تراكيب للجمل، في غير الشرط، إذا تأملتھا وجدتها تنوب مناب الشرطيات»^(٣)، «وعلاقة الشرط الملحوظة دون لفظ للأداة حين تقوم بين عنصرين في السياق النصي تجعل العنصر الثاني بمنزلة جواب الشرط للعنصر الأول، وإن خلا العنصر الثاني من العلامات اللفظية الدالة على هذه العلاقة»^(٤)، الذي قدم فيه الجواب على ما ناب مناب أداة الشرط وفعلها، وتقديره: (إِنْ أَبِئْ مَنَدَلَهُ أُعْطِيكَ ظُلَامَتَكَ وَأَعْطِيكَ سُوقَتَكَ)، فقدم جواب الشرط الضمني، وهو: (لَا أُعْطِي مَلِيكَاً ظُلَامَةً) و(وَلَا أُعْطِي مَلِيكَاً سُوقَةً)، ولعل من ظلال تقديم جواب الشرط الضمني، أنه «يحمل المعنى ويحقق دلالة ما كانت لو أُجِرَ»^(٥)، «وهو تقديم ليس على نية التأخير»^(٦)، فجواب «الشرط

(١) التفسح في العربية، ص ٢٤١ و ٢٤٢.

(٢) من أنماط الشرط الضمني في العربية (دراسة تحليلية)، ص ٧٠.

(٣) مفتاح العلوم، ص ٥٩٩.

(٤) اجتهادات لغوية، ص ٣١١.

(٥) بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم، ١: ١٢٣.

(٦) بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم، ١: ١٢٣.

قد يتقدم، وقد يتأخر»^(١)، و«إذا تقدم جواب الشرط، أغنى عن تأخره، فإنَّ المتكلم، إنما يقصد، أن يربط بالشرط المؤخر، ما تقدم من الجملة»^(٢)، والغرض من هذا التقديم تيسر المتلقي من إدراك مبتغاه وهي الظلامة والسوقة، وبذلك حقق الشاعر تقوية حكم استبعاد الإدراك وتقريره، وتأكيده والإصرار عليه، وآخر ما ناب مناب أداة الشرط وفعله، وهو قوله: (حَتَّى يَأْوُبَ ابْنُ مَندَلَةَ). ونرصد الجانِبَ النفسي، من هذا الإصرار المؤكد بأساليبه المختلفة، فغلظ الشاعر الاستبعاد، وبعد المرامي على مليك بشكل يبعث فيه اليأس. وتحقق من تضمين المثل الاستعارة التمثيلية والنفي الضمني، ونقدرهما: (كَمَا لَا يَأْوُبُ ابْنُ مَندَلَةَ)، بين صورة المنع وبين صورة إياب ابن مَندَلَةَ، وهي من الشخصيات التراثية التي لها انتشار في معنى الغياب الأبدي، وهي مقياس لمن يذهب ولا يعود أبداً، فهي صورة إقناعية تئيسية، قامت على الدليل للتأثير على قناعة المخاطب وردعه وثنيه عما يريد، ولهذه الاستعارة التمثيلية، ظلال لما يثيره المجاز من تأثير في نفس المتلقي، إن في تشبيه الصورة الأولى بالصورة الثانية تأكيد للنفي الأول حيث يقوله: في قوله لَا أُعْطِي مَلِيكَاً ظُلَامَةً وقوله: (وَلَا أُعْطِي مَلِيكَاً سُوقَةً).

(١) الرد على السبكي في مسألة تعليق الطلاق، ١ : ٧٨.

(٢) الرد على السبكي في مسألة تعليق الطلاق، ١ : ٦٧ و ٦٨.

الفصل الثاني: استبعاد استحالة التوقف والكف واستحالة الحدوث

المبحث الأول: استبعاد استحالة التوقف أو الكف

استثمر الشعراء الجاهليون ما لأمثال الاستبعاد من الدلالة في التعبير عن استحالة التوقف أو الكف، وقد اختلفت السياقات والأغراض، فمن ذلك قول النابغة الذبياني^(١):

فَإِنْ يَكُ عَامِرٌ قَدْ قَالَ جَهْلًا	فَإِنَّ مَطِيَّةَ الْجَهْلِ الشَّبَابُ
فَكُنْ كَأَيِّكَ أَوْ كَأَيِّ بَرَاءٍ	تُؤَافِقُكَ الْحُكُومَةُ وَالصَّوَابُ
وَلَا تَذْهَبْ بِحِلْمِكَ طَامِيَاتٍ	مِنْ الْخِيَلِ لَيْسَ هُنَّ بَابُ
فَإِنَّكَ سَوْفَ تَحْلُمُ أَوْ تَنَاهَى	إِذَا مَا شَبَّتْ أَوْ شَابَ الْغُرَابُ

في سياق الهجاء بغرض التهكم والسخرية وظف الشاعر المثل القائل: «لا يَكُونُ ذَلِكَ حَتَّى يَشِيبَ الْغُرَابُ»^(٢)، أورد الشاعر المثل المضمن على سبيل التضمين الجزئي، وتصرف بنص المثل، فكسر قاعدته، وأورده بنقيض دلالته من باب المبالغة في الاستبعاد باستحالة التوقف أو الكف عن الجهل «أي: لا تكون حليماً، ولا تنتهي إلى ما أنت عليه من الجهل، حتى يشيب الغراب، أي: لا تحلم أبداً، كما أن الغراب لا يشيب، وإنما هذا هزؤ منه وذم، وهذا كما

(١) ديوان النابغة الذبياني، ص ١٠٩ هو زياد بن معاوية، ويكنى أبا أمامة، ويقال: أبا ثمامة، وأهل الحجاز يفضلون النابغة الشعر والشعراء، ١: ١٥٧.

(٢) «يضرِبُ مثلاً لما لا يكون أصلاً وهذه من أمثال التأييد» ثمار القلوب، ٢: ٦٧٥.

تقول: لا تفلح حتى يشيب الغراب، أي: لا تفلح أبداً^(١)، فالغراب- كما هو معلوم- لا يشيب أبداً، فجعله من باب المبالغة قد شاب، وهو أمر يستحيل وقوعه، ورغم افتراض حدوث المستحيل، لم يتغير إصراره على الجهل، وهو يدل كذلك على استبعاد حدوث فعل الحلم واستحالته، من باب المبالغة في التعبير عن يأس الشاعر من المهجو، وهنا تظهر ثنائية بديعة بين الغراب والجهل، بين الثابت (يستحيل تحوله) الذي تحول (الغراب)، وبين الثابت (يستحيل تحوله) الذي صار ثابتاً (بقاء الجهل)، «أراد طال عليك الأمر حتى كان ما لا يكون أبداً، وهو شيب الغراب»^(٢)، وهنا استعارة تصريحية حيث شبه ريش الغراب بشعر الإنسان، لأن الشيب مختص به، إلا أن الشاعر «أضفى هذه الصفة على الغراب حين أنسن الغراب، وارتقى به إلى مستوى الطبيعة الإنسانية»^(٣)، لكن النظر للصورة باعتبار تضمين المثل حول الاستعارة التصريحية إلى استعارة تمثيلية بين حال المشبه في التغير من حال الجهل والحمق إلى الحلم والعقل بالمشبه به بتغير لون الغراب من السواد إلى البياض. لقد عدل الشاعر في إعادة صياغة المثل عن أسلوب الشرط الضمني إلى الشرط الصريح بقوله: (إِذَا مَا شَبَّتْ أَوْ شَابَ الْغُرَابُ)، ومن ظلال دلالة أداة الشرط «(إِذَا)؛ أنها ترد في الأمر المؤكد، فهي تدخل على المجزوم بوقوعه، أو الراجح»^(٤)، وذلك التلازم بين الشيب والحلم وبين السواد والجهل، فهو تناسب رمزي بين الألوان المتضادة، ف(إذا):

(١) شرح ديوان النابغة الذبياني: للأصمعي، ص ١٠٩.

(٢) اللسان، مادة: شيب، ٧: ٢٥٢.

(٣) أنسنه الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص ٥٧.

(٤) ينظر شرح الرضي على الكافية، ٣: ٨٥ وشرح التلخيص، ص ٢٧٨.

«تفيد تحقق وقوع الشرط؛ لِسِرٍّ، وهو إفادته تحقيق الطلب عند تحقق الشرط، أي: فمتى تحقق الشرط، وهو الشيب، فالجواب متحقق بالحلم، فأتى ب(إذا) الدالة على تحقق الشرط، فَعَلِمَ تحقق الطلب عندها»^(١)، وجاء ب(سَوْفَ)، و«تكون للتأخير والتنفيس والأناة»^(٢)، و«العِدَّة»^(٣)، وهي «كلمة تنفيس في ما لم يكن بعد، ومدتها أوسع من السين»^(٤)، «فهى حرف استقبال وهي أبلغ في التنفيس من السين»^(٥)؛ لأن «لفظها أكثر، فهو يؤذن بالبعد»^(٦) وهي أوسع من السين»^(٧). أي: «تدل على البعد والتراخي عموماً»^(٨)، «والذي يبدو أنها أكثر تأكيداً من السين، لزيادة حروفها عليها»^(٩)، «ومقامها مقام إطالة»^(١٠)، والسياق يجعل دلالة ما لا يتحقق أبداً، بصورة المتحقق من باب الإمعان في الاستهزاء بالمهجو، فلذلك ناسبت (سوف) المقام والسياق ولأن (سوف) وردت في سياق الاستبعاد الدال على التأييد والاستحالة جعلها «تدل

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، مج ١، ص ٨٩.

(٢) الصاحبي، ص ٢٣٠.

(٣) معاني الحروف: للرماني، ص ١١٧ وحروف المعاني: للزجاجي، ص ٥.

(٤) مصابيح المعاني في حروف المعاني، ص ١٨٤.

(٥) الجنى الداني، ص ٤٥٩.

(٦) معاني النحو، ٤ : ٢١.

(٧) مغني اللبيب، ص ١٤٦.

(٨) معاني النحو، ٤ : ٢١.

(٩) معاني النحو، ٤ : ٢٣.

(١٠) معاني النحو، ٤ : ٢٤ و ٢٥.

على الاستمرار»^(١) على السفه، والبعد كل البعد عن الحلم. كما نرصد تقديم جواب الشرط، وهو قوله: (فَإِنَّكَ سَوْفَ تَحُلُمُ أَوْ تَنَاهَى) على أداة الشرط وفعله وهو قوله: (إِذَا مَا شَبْتِ أَوْ شَابَ الْغُرَابُ)، وأصل القول: (إِذَا مَا شَبْتِ أَوْ شَابَ الْغُرَابُ فَإِنَّكَ سَوْفَ تَحُلُمُ أَوْ تَنَاهَى)، فهو «من حيث اللفظ والمعنى»^(٢)، فهو «تقديم على نية التأخير، وذلك في كل شيء أقرته مع التقديم على حكمه الذي كان عليه، وفي جنسه الذي كان فيه»^(٣)، ولعل من ظلال تقديم جواب الشرط بتعجيل قرع أذن المهجو «بيان استبعاد رشده وتعقله، وهو بيانه أعنى، وإن كانا جميعاً يهَمَّانِ ويعنيانه»^(٤)، وهو مراد الشاعر وغرضه. وظلال تقديم جواب الشرط، أنه «يحمل المعنى و يحقق دلالة ما كانت لو أُجِرَّ»^(٥)، «وهو تقديم ليس على نية التأخير»^(٦)، فجواب «الشرط قد يتقدم، وقد يتأخر»^(٧)، و«إذا تقدم جواب الشرط، أغنى عن تأخره، فإنَّ المتكلم، إنما يقصد، أن يربط بالشرط المؤخر، ما تقدم من الجملة»^(٨)؛ لأن «الشرط جملتان

(١) مغني اللبيب، ص ١٤٦.

(٢) بدائع الفوائد، ١ : ٨٨.

(٣) دلائل الأعجاز، ص ١٠٦.

(٤) ينظر الكتاب، ١ : ٨٨ وقد نقله الجرجاني في دلائل الإعجاز، ص ١٠٧.

(٥) بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم، ١ : ١٢٣.

(٦) بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم، ١ : ١٢٣.

(٧) الرد على السبكي في مسألة تعليق الطلاق، ١ : ٧٨.

(٨) الرد على السبكي في مسألة تعليق الطلاق، ١ : ٦٧ و ٦٨.

قد صارتا بَأْدَاةَ الشَّرْطِ جملة واحدة، وصارت الجملتان بالأداة كأَئَهُمَا مفردان، فالجزء هو المقصود والشرط قيد فيه وتابع له، فهو من هذا الوجه رتبته التقديم طبعاً، ولهذا كثيراً ما يجيء الشرط متأخراً عن المشروط؛ لأن المشروط هو المقصود وهو الغاية، والشرط وسيلة، فتقديم المشروط، هو تقديم الغايات على وسائلها ورتبتها التقديم ذهنياً، وإن تقدمت الوسيلة وجوداً فكل منهما له التقدم بوجه، وتقدم الغاية أقوى^(١)؛ والغرض من هذا التقديم تهيئة المهجو من صلاح حاله، وإظهاره في صورة ساخرة يستصغر الشاعر فيها عقله.

وقال ابن الذبابة الثقفي^(٢):

تَبَعَ ابْنُ عَمِّ الصِّدْقِ حَيْثُ لَقِيَتْهُ	فَإِنَّ ابْنَ عَمِّ السُّوءِ أُوغِرَ جَانِبُهُ
تَبَعِيَّتُهُ حَتَّى إِذَا مَا وَجَدْتُهُ	أَرَانِي تَهَارَ الْقَيْظِ تَجْرِي كَوَاكِبُهُ
مَتَى مَا أَدْعُهُ يَعْتَمِدُنِي بِشِرِّهِ	وَتَدْبُبُ إِلَيَّ حَيْثُ كَانَتْ عَقَارِيهِ
وَرُبَّ ابْنِ عَمٍّ تَدَّعِيهِ وَلَوْ تَرَى	مُعَيَّبَ مَا يُخْفِي لَسَاءَكَ غَائِيهِ
فَلَا وَالَّذِي مَسَحْتُ أَرْكَانَ بَيْتِهِ	يَرَانِي ابْنُ أَنْثَى مَا حَيِّثُ أَحَاطِبُهُ
وَيَبْرُخُ بَعْضُ بَيْنَنَا وَعَدَاوَةٌ	كَصَدْعِ الصَّفَا لَا يَرَأُبُ الصَّدْعَ شَاعِبُهُ ^(٣)

(١) بدائع الفوائد، ١: ١٢١.

(٢) شاعر فارس جاهلي شعر ثقيف، ص ٣٢٥ واسمه ربيعة بن عبد ياليل، الثقفي المؤلف والمختلف، ص ١٨٣ ابن الذبابة لقب أمه الذبابة، امرأة من فهم واسم الذبابة قلابة من نسب إلى أمه من الشعراء، ص ١٠٠.

(٣) الأمثال الصادرة، ص ٢٧٣.

في سياق البعض والعداوة لجأ الشاعر للتعبير عن استبعاد توقف العداوة والعدول عنها بالمثل القائل: «فَارَقَهُ فِرَاقًا كَصَدْعِ الصَّفَا»^(١)، على سبيل التضمن الجزئي، حيث تصرف بنص المثل بما يتناسب مع الغرض والسياق الشعري، وتشكل من خلال تضمن المثل التشبيه التمثيلي، حيث شبه صورة دوام العداوة والبغضاء واستمرارها واستحالة توقفها أو انقطاعها بصورة الصخرة التي انشقت، وفارق كل شق الشق الآخر، فيستحيل رأب الصدع عرفا وعادة، بجامع استحالة الإصلاح والعودة، ومن ظلال هذا التشبيه إظهار الأمر المعنوي وهي العداوة وأبديتها بصورة حسية أبدية، بجامع الاستحالة، وهي صورة تعبر عن الجانب النفسي عند الشاعر، ففي ذلك تفرغ للطاقة الغضبية والحقد في قالب تعبري مفعم بالمبالغة والاستبعاد الدال على الاستمرار والديمومة، التي يستحيل توقفها أو الكف عنها، كما أن للفعل المضارع أثرا في تحريك الصورة المجازية وإضفاء الحيوية عليها في قوله: (لا يَزْأَبُ)، وتكرار كلمة الصدع له دلالة عميقة، وهي تثبيت صورة العداوة والفراق المعنوي الأبدى بين القلوب، بشكل يستحيل التئامه. ومن ظلال الصورة الأولى من التشبيه التمثيلي قوله: (وَيَبْرُحُ بُعْضُ بَيْنِنَا وَعَدَاوَةٌ)، فحذف بذلك (لا) النافية من باب الإيجاز والاختصار، ودلالة قوله: (لا يَبْرُحُ) «الإقبال على الشيء وملازمته، وترك الانفصال عنه»^(٢). وهي تشتمل على «معنى

(١) الأمثال الصادرة، ص ٢٧٣ «يضرب مثلاً لما لا يجبر ولا يلتئم» ثمار القلوب، ٢: ٩٦١.

(٢) حروف المعاني: للزجاجي، ص ٧.

الاستمرار والاتصال بالماضي والحاضر»^(١)، «والفعل (يَرِخ) مستقبل في المعنى»^(٢)، وهي «تفيد الماضي المتصل. أي أن الاستمرار يبدأ من الماضي مروراً بلحظة الكلام واصلاً للمستقبل المطلق، وهي بهذا بمعنى سيظل أو سيبقى، فهي بذلك تتضمن الأزمنة الثلاثة الماضي والحاضر والمستقبل»^(٣)، «فهي تبدأ من الماضي غير المحدد مروراً بالحاضر لحظة الكلام، ونخترفه للمستقبل، وإما أن تمتد إلى المستقبل المطلق، أو المستقبل المحدد بنقطة زمنية حتى، إلى أن»^(٤)، «فتخترق الحاضر إلى المستقبل مقيداً أو مطلقاً»^(٥)، «وأنت مع صفات النفس الثابتة وشبه الثابتة، فهي تتحدث عن شيء استمر في الماضي ووصل الحاضر وزاد عليه للمستقبل»^(٦)، فدلّت بذلك (لا يَرِخ) على الدوام والاستمرار في الماضي والحاضر والمستقبل، فالمستقبل يدل على الصورة النفسية للشاعر، ونلاحظ أنه ختم البيت والمثل المضمن باسم الفاعل في قوله: (شَاعِبُهُ)؛ ليعبر عن «تجدد وتعدد محاولة شعب الصدع»^(٧) وإصلاحه، فاسم الفاعل «أدوم وأثبت من الفعل، ولكنه لا يرقى

(١) الزمن النحوي في اللغة العربية، ص ١٧٠.

(٢) مغني اللبيب، ص ٢٤٤.

(٣) الزمن النحوي في اللغة العربية، ص ١٧٣.

(٤) الزمن النحوي في اللغة العربية، ص ١٧٤.

(٥) الزمن النحوي في اللغة العربية، ص ١٧٥.

(٦) الزمن النحوي في اللغة العربية، ص ١٧٥.

(٧) الصرف العربي أحكام ومعان، ص ١٢٠.

إلى ثبوت الصفة المشبهة»^(١)، فقله: (شَاعِبُهُ): «دال على الاستقبال والاستمرار والثبوت»^(٢)، فرغم المحاولات المستمرة، فإنها لن تحدث، وسيستمر هذا الصدع على وجه يستحيل شعبه، وفي ذلك تأكيد لمعنى الاستبعاد وتبنيته، فهو بذلك عدل عن النفي بالإثبات إلى الإثبات بالنفي.

وقال الخطيئة العبسي^(٣):

وَجُرْحُ السَّيْفِ تَدْمِلُهُ فَيَبْرًا وَجُرْحُ الدَّهْرِ مَا جَرَحَ اللِّسَانُ^(٤)

في سياق ذم اللسان وبيان أثره ووقعه على النفوس عبر الشاعر بالمثل القائل: «وَمَا يَلْتَأَمُ مَا جَرَحَ اللِّسَانُ»^(٥)، على سبيل التضمين الجزئي، فلم يورد لنفي الصريح، بل عول على النفي الضمني أو عن طريق النفي بالإثبات، وزاوج بينه وبين المثل القائل: «لَا أَفْعُلُهُ يَدَ الدَّهْرِ»^(٦)، من باب ربط بقاء الجرح ودوامه ينزف ببقاء الدهر؛ ليتحقق من ذلك استبعاد توقف جرح اللسان على التأييد والاستحالة، أسقط الشاعر الجرح الحسي؛ ليكون معبراً عن الجرح

(١) الصرف العربي، ص ٩٥.

(٢) الصرف العربي، ص ٩٥.

(٣) لم يرد في ديوانه وهو له في المنصف: لابن وكيع، ١: ٤٦٢ هو جرول بن أوس من بني قطيعة بن عبس، ولقب بالخطيئة لقصره وقربه من الأرض، ويكنى أبو مليكة، وكان راوية زهير، وهو جاهلي إسلامي، ولا أراه أسلم إلا بعد وفاة النبي صل الله عليه وسلم الشعر والشعراء، ١: ٣٢٢.

(٤) ورد عجزه بدون نسبة وهو مثل في التمثيل والمحاضرة، ص ٥٠٠.

(٥) الأمثال المولدة، ص ٤٥١.

(٦) أمالي القالي، ١: ٢٣٣.

المعنوي في النفوس والقلوب، لقد شكل الشاعر من خلال المثل موازنة بين صورتين صورة جرح السيف الذي يبرأ وصورة جرح اللسان الذي يبقى أبد الدهر ينزف، وتولد من تضمين المثل الاستعارة المكنية، حيث شبه اللسان بالسيف وحذف المشبه به وهو السيف وأبقى على شيء من لوازمه وهو الجرح، وتولد عنها إبراز الأمر المعنوي في صورة حسية، كما نستشف من ظلال تضمين المثل النفي بالإثبات في قوله: (وَجُرْحُ الدَّهْرِ مَا جَرَحَ اللِّسَانُ)، فأثبت دوام جرح اللسان على التأييد واستحالة التوقف، وفي ذلك دلالة على النفي الضمني لالتهام الجرح، لأنه أثبت ديمومته واستمراره، ونستشف أيضا الاستعارة التمثيلية بتشبيه حال وديمومة جرح اللسان بديمومة جرح الدهر.

المبحث الثاني: استبعاد استحالة الحدوث

جَنَدَ الشعراء الجاهليون أمثال الاستبعاد للتعبير عن استحالة الحدوث، وكان ذلك لأغراض شعرية وسياقات متعددة، اختلفت باختلاف السياق والغرض الذي أراده الشاعر، ومن الأمثلة على ذلك قول أبي سُلمى مالك بن حنظلة التميمي^(١):

وَأَيَّ فَتَى حُرُوبٍ ضَيَّعُوهُ بِشَكَّتِهِ عَلَى ذَاتِ الإِصَادِ
وَوَلُّوا هَارِبِينَ بِكُلِّ فَحْجٍ كَأَنَّ حُصَاهُمْ قَطْعَ الْمَزَادِ
وَوَلُّوا يَأْمَلُونَ لِقَاءَ عَوْفٍ وَدُونَ لِقَائِهِ حَرْطُ الْقَتَادِ

في سياق الحرب وهجاء الخصوم وتعييرهم بالهزيمة والقتل استعان الشاعر بالمثل القائل: «مَنْ دُونَ ذَلِكَ حَرْطُ الْقَتَادِ»^(٢)، فضمنه تضميناً كلياً، عيرهم بترك عوف؛ لمصيره بالقتل بقوله: (وَأَيَّ فَتَى حُرُوبٍ ضَيَّعُوهُ) وقوله: (وَوَلُّوا هَارِبِينَ)، وشكل من خلال المثل الدال على الكناية عن صفة، استعارة تمثيلية حيث شبه صورة استحالة لقاء القتل حياً بصورة استحالة تجاوز القتاد وخرطه لبلوغ الغاية إن حال بينها وبينهم القتاد، والجامع بين الصورتين هو

(١) شاعر تميمي جاهلي أنساب الأشراف: للبلاذري، ١٢: ١١ وهو أب لقبيلة بني مالك بن حنظلة من تميم ومن ذريته تفرعت عدة قبائل منها بنو دارم وبنو يربوع وبنو سعدم وغيرها الاشتقاق: لابن دريد، ص ٢٣٣ و٢٣٤.

(٢) «وهو اختراط الورق عن الشجر، ومنه المثل «مَنْ دُونَ ذَلِكَ حَرْطُ الْقَتَادِ»، يقال ذلك في الأمر من دونه مانع؛ لأن شوك القتاد مانع من خراط الورق» المخصص، ٤: ٧٩٢.

الاستبعاد الدال على الاستحالة، والغرض من هذه الاستعارة السخرية والتهكم والتعير بالهزيمة وقتل سيدهم عوفاً. فهو تشف بما أصاب الأعداء وهذا جانب من الصورة النفسية الكلية، فلم يكتف الشاعر بالتعير عما في نفسه، بل عبر عن الصورة النفسية للخصوم المهزومين بقوله: (وَوُلُّوا هَارِبِينَ) وقوله: (كَأَنَّ حُصَاهُمْ قَطَعَ الْمَزَادَ)، وقوله: (وَوُظِّلُوا يَأْمُلُونَ)، صورة الهروب إلى جانب صورة الخوف بوصف خصاهم بالصغر والتقلص من شدة الخوف، ولـ (ظَلَّ) دلالة في تشكيل الصورة النفسية فهي: «تفيد معنى الاستمرار على الشيء أو الحالة»^(١)، «دون تقييد بزمن معين أو محدد»^(٢)، طال انتظارهم وأملهم في لقاء سيدهم عوف، وهي جانب من الصورة النفسية الكلية للمشهد، وقوله: (دون) «ظرف مكان تقتضي التقصير عن الغاية»^(٣)، فكما يحول القتاد بشكل يستحيل، فكذلك قتل عوف حال بينهم وبين لقاءهم به على الاستحالة.

(١) الزمن النحوي في اللغة العربية، ص ١٦٨.

(٢) الزمن النحوي في اللغة العربية، ص ١٦٩.

(٣) حروف المعاني: للزجاجي، ص ٢٢ و ٢٣.

وقال أكتم بن صيفي التميمي^(١):

إِذَا تَمَّ عَقْلُ الْمَرْءِ تَمَّتْ أُمُورُهُ وَتَمَّتْ أَيْادِيهِ وَتَمَّ ثَنَاؤُهُ
وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عَقْلٌ تَبَيَّنَتْ نَقْصُهُ وَإِنْ كَانَ ذَا مَالٍ كَثِيرٌ عَطَاؤُهُ
أَرَى الدَّاءَ يَشْفِيهِ الدَّوَاءُ وَإِنِّي أَرَى الْحُمُقَ دَاءٌ لَيْسَ يُرْجَى شِفَاؤُهُ

صاغ الشاعر في سياق الحكمة المثل القائل: «لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ»^(٢)، في قوله: (أَرَى الدَّاءَ يَشْفِيهِ الدَّوَاءُ)، فعدل عن لفظ الاستغراق والتعميم: (لِكُلِّ) لاسم الجنس بقوله: (الدَّاءُ - الدَّوَاءُ)، فاستبعد بذلك وجود داء بلا دواء يشفي منه، لكنه في المعنى استثنى داء الحمق وعبر عن ذلك بالمثل القائل: «الْحُمُقُ دَاءٌ لَا دَوَاءَ لَهُ»^(٣)، على سبيل التضمن الجزئي حيث أعاد الشاعر صياغة المثل بألفاظه، إلا أنه جعل المثل أحد طرفي المقارنة بين داء الحمق وغيره من الأدواء، فغيره يوجد له دواء يذهب، أما الحمق فيستحيل علاجه وبروء، شكل المثل أحد طرفي الثنائية الضدية، بين داء يمكن الشفاء منه، وداء يستبعد وجود دوائه ويستحيل، واختار أداة النفي (لَيْسَ)؛ لأنها تفيد «نفي الحال والماضي

(١) ري الأوام ومرعى السوام، ٢: ٦٨٤ هو أكتم بن صيفي الأسدي من بني أسيد بن عمرو بن تميم، حكيم العرب في الجاهلية أوفده النعمان على كسرى، وله حكم وأمثال كثيرة مشهورة نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، ١: ٤٢٤ أدرك أكتم بن صيفي مبعث النبي صلى الله عليه وسلم، وهو ابن مائة وتسعين سنة الاستيعاب، ١: ٣٧٩.

(٢) مجمع الأمثال، ٣: ١٩٥٧.

(٣) التمثيل والمحاضرة، ص ٦٦٥ «الْحُمُقُ هو الدَّاءُ العياء الذي لا دواء له أي: لا يُبْرَأُ منه، صعب لا دواء له كأنه أعيا الأطباء» لسان العرب، مادة: عيا، ٩: ٥١٢.

والمستقبل»^(١)، «فهي هنا للحقيقة غير مقيدة بزمن»^(٢)، ونلاحظ حذف اسم ليس، الذي دل عليه السياق، ويمكن تقديره، وأصل القول: «لَيْسَ الْحُمُقُ يُرْجَى شِفَاؤُهُ»^(٣)، فأثبت الحمق ذكرًا في سياق الجملة المثبتة بقوله: (أَرَى الْحُمُقَ) وحذفه في الجملة المنفية كما حذف الفاعل وتقديره: (أَرَى أَنَا الْحُمُقَ)، بل وأعاد عليه الضمير في قوله: (شِفَاؤُهُ)، فهو تكرار للحمق؛ لتأكيد عظم داء الحمق، وتنبيه السامع وقرع أذنه بلفظ الحمق؛ تهويلًا وتحذيرًا منه؛ ليختم البيت الشعري بالنتيجة، وهو الشفاء المنفي، ولبناء الفعل للمجهول المنفي بليس في قوله: (لَيْسَ يُرْجَى) دلالة «دلالة على تعدد الفاعل»^(٤)؛ فلذلك بني للمجهول، والغرض من بناء الفعل المضارع للمجهول هنا إنما هو: «الإخبار عن وقوع الفعل به فحسب، ليس الغرض فيه ذكر من أوقعه»^(٥)، ومن دلالاته «الإيهام والتعميم والتهويل»^(٦)، و«تعدد الأثر والتأثير»^(٧)، «الاستقرار والثبات»^(٨)، «فليس هنا لنفي للحقيقة غير مقيدة بزمن»^(٩)، ونلاحظ عدول الشاعر عن أسلوب الإثبات، وكان الأصل الإثبات: (داء الحمق دَاءٌ عُضَالٌ) لتمام المعنى،

(١) الجني الداني، ص ٤٩٩.

(٢) معاني النحو، ٤: ١٦٤.

(٣) الجني الداني، ص ٤٩٩.

(٤) الفعل المبني للمجهول في اللغة العربية، ص ٥٦.

(٥) المحتسب، ١: ١٣٥.

(٦) الفعل المبني للمجهول في اللغة العربية، ص ٥٣ و ٥٨.

(٧) الفعل المبني للمجهول في اللغة العربية، ص ٥٦.

(٨) الفعل المبني للمجهول في اللغة العربية، ص ٥٧.

(٩) معاني النحو، ٤: ١٦٤.

ولكنه عدل عن الإثبات إلى الإثبات بالنفي زيادة في توسيع المعنى من باب المبالغة وتعظيم داء الحمق الذي استعصى واستحال علاجه. كما كرر الشاعر كلمة الشفاء مثبتة بقوله: (يَشْفِيهِ) وهو فعل مضارع، يدل على التجدد والاستمرار في التعافي من العلل والأمراض، والموضع الثاني بقوله: (شِفَاؤُهُ)، فـ(شِفَاءٌ) جاء مصدرا على وزن (فِعَالٌ)، يدل على حدث الشفاء مجردا عن الزمان، في سياق النفي ليدل على ثبات الداء وانتفاء الشفاء، فقد تحقق الاستبعاد باستحالة حدوث الشفاء وإيجاد الدواء.

وقال سنان بن أبي حارثة المري الديباني الغطفاني^(١):

قَدْ يَعْلَمُ الْقَوْمُ إِذْ طَالَتْ عَزَائُهُمْ وَأَزْمَلُوا الزَّادَ أَنِّي مُنْفَذٌ زَادِي
وَلَا أَجِيءُ بِسَوَاءَاتٍ أُعْيَرُهَا حَتَّى يُؤُوبَ مِنَ الْقَبْرِ ابْنُ مَيَّادٍ
أَتْنُوهُ عَلَيَّ فَكَأَنَّ قَدْ فَتَحْتُ لَكُمْ مِنْ بَابٍ مَكْرُمَةٍ تُعْتَدُّ أَوْ وَادٍ

في سياق فخر الشاعر بنفسه ربط الشاعر عفته والامتناع عن فعل السوءات التي يعيّر بها بالمثل القائل: «حَتَّى يُؤُوبَ مِنَ الْقَبْرِ ابْنُ مَيَّادٍ»^(٢)، فضمنه تضميناً كلياً، ربط الشاعر فعل السوءات بالمثل على سبيل الاستبعاد الدال على الاستحالة والتأييد، ومن الظلال ربط فعل لم يحدث

(١) شعر ذبيان: تح: الجراح، ص ٣٣٢ هو سنان بن أبي حارثة المري، وكان قومه عنفوه على الجود، فركب ناقة يقال لها الجهول، ورمى بها الفلاة فلم ير بعد ذلك فسمته العرب ضالة غطفان، وضرب به المثل أضل من سنان مجمع الأمثال، ٢: ١٢٠٣.

(٢) ابن ميادة: رجل ذهب على وجهه في قديم الدهر، فلم يوقع له على خبر سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، ٣: ٩٧١.

بحضور غائب لن يعود على التأييد والاستحالة ؛ ليكتسب الامتناع ما للمثل من الدلالة والمعنى على الاستبعاد الأبدي، ونلمس من النفي في قوله: (وَلَا أَجِيءُ بِسَوَاءٍ أُعَيِّرُهَا)، فخراً واعتداداً بالقيم والثوابت، وحرصاً من الشاعر على سمعته والتمسك بمبادئه التي يعتز بها، كما أن هذا النفي هو إثبات العفة بنفي ما يناقضها، ومن بلاغة قوله: (حَتَّى يُوْوبَ مِنَ الْقَبْرِ ابْنُ مَيَّادٍ) أن (حَتَّى) بمعنى «إلى أَنْ»^(١)، ف«(حتى) ف ي هذا الموضع تدل على معنى الشرط»^(٢) أيضاً، ولكنها حتى تكون تأييدية لا بد من أن تدل على «تعليق المحال بالمحال»^(٣)، فهي بذلك: «ليست على معنى (حتى) الذي هو لانتهاه الغاية: وقت ذلك، بل تدل على الاستبعاد، والعرب تقول في مثل معناه، تبعداً للأمر، وهم يعلمون أن ذلك لا يكون»^(٤). فأراد الشاعر تثبيت صورته النفسية القائمة على العفة والبعد عن المعاييب، فعبر الشاعر بالشرط الضمني، «وهو الدلالة الشرطية المستفادة من منطوق الكلام دون وجود أداة تعبر عنه، وإنما يفهمه المتلقي وفقاً لقاعدة راسخة في ذهنه، تؤدي إلى فرضية الارتباط الدلالي بين الجمل، فيعي أن العلاقة القائمة بين ركني الاسناد مثل بها إشعار بتعلق الركن الثاني بحدوث الركن الأول»^(٥). و«في كلام العرب تراكيب للجمل، في غير الشرط، إذا تأملتها

(١) الفسر الصغير: لابن جني، ص ٧٧.

(٢) الشرط والاستفهام في الأساليب العربية، ص ٣١.

(٣) شرح عقود الجمان، ٢: ١٠٥٣.

(٤) التفسر في العربية، ص ٢٤١ و ٢٤٢.

(٥) من أنماط الشرط الضمني في العربية (دراسة تحليلية)، ص ٧٠.

وجدتها تنوب مناب الشرطيات»^(١)، «وعلاقة الشرط الملحوظة دون لفظ للأداة حين تقوم بين عنصرين في السياق النصي تجعل العنصر الثاني بمنزلة جواب الشرط للعنصر الأول، وإن خلا العنصر الثاني من العلامات اللفظية الدالة علي هذه العلاقة»^(٢)، الذي قدم فيه الجواب على ما ناب مناب أداة الشرط وفعلها، وتقديره: (إِنْ آبَ مِنْ الْقَبْرِ ابْنُ مَيَّادٍ أَجِيءُ بِسَوَاءٍ أُعَيَّرَهَا)، فقدم جواب الشرط الضمني، وهو: (لَا أَجِيءُ بِسَوَاءٍ أُعَيَّرَهَا)، ولعل من ظلال هذا التقديم، أنه «يحمل المعنى ويحقق دلالة ما كانت لو أُجِرَ»^(٣)، «وهو تقديم ليس على نية التأخير»^(٤)، فجواب «الشرط قد يتقدم، وقد يتأخر»^(٥)، و«إذا تقدم جواب الشرط، أغنى عن تأخره، فإنَّ المتكلم، إنما يقصد، أن يربط بالشرط المؤخر، ما تقدم من الجملة»^(٦)، والغرض من هذا التقديم الاستبعاد باستحالة الحدوث وتأسيس من يسعى لانتقاصه، فقوى الشاعر بذلك حكم استبعاد الحدوث، وتحقيق تأكيد والإصرار على عدم فعل ما يشين، وآخر ما ناب مناب أداة الشرط وفعله، وهو قوله: (حَتَّى يَأْتِيَ مِنَ الْقَبْرِ ابْنُ مَيَّادٍ). ونرصد الجانب النفسي، من هذا الإصرار المؤكد بأساليبه المختلفة، بتغليظ الاستبعاد. كما نرصد

(١) مفتاح العلوم، ص ٥٩٩.

(٢) اجتهدات لغوية، ص ٣١١.

(٣) بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم، ١: ١٢٣.

(٤) بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم، ١: ١٢٣.

(٥) الرد على السبكي في مسألة تعليق الطلاق، ١: ٧٨.

(٦) الرد على السبكي في مسألة تعليق الطلاق، ١: ٦٧ و٦٨.

الاستعارة التمثيلية والإثبات بالنفي، ونقدتهما: (كَمَا لَا يُؤُوبُ مِنَ الْقَبْرِ
ابْنُ مَيَّادٍ)، بين صورة الامتناع عن فعل المعاييب والسوءات وبين صورة إياب
ابْنُ مَيَّادٍ من القبر بعد الموت، وهي من الشخصيات التراثية التي لها انتشار
في معنى الغياب الأبدي، وهي مقياس لمن يذهب ولا يعود أبداً، فهي صورة
إقناعية فخرية، قامت على الدليل للتأثير على نفس الشاعر بتحفيزها وعلى
المتلقي بإشعاره بقيمة الشاعر وتشبته بها، وعدم التفريط بها والتنازل عنها،
ولهذه الاستعارة التمثيلية، إن في تشبيه الصورة الأولى بالصورة الثانية تأكيد
للنفي الأول حيث يقوله: (وَلَا أَجِيءُ بِسَوَاءٍ أُعَيَّرَهَا).

الفصل الثالث: استبعاد الإدراك والفوات الزماني والمكاني

المبحث الأول: استبعاد الإدراك والفوات الزماني

إن لازم معنى استبعاد الحدث على معنى الاستحالة والتأييد استبعاد زمن وقوعه، فمتى استحال وقوع الفعل استحال زمانه، وأشار إلى هذا الاستبعاد الزماني في شرح قول زهير بن أبي سلمى المزني^(١):

جَرْتُ سُنْحًا فَقُلْتُ لَهَا أَجِيرِي نَوَى مَشْمُولَةً فَمَتَى اللَّقَاءُ

فقوله: «(فَمَتَى اللَّقَاءُ) استبعاد لوقوعه»^(٢)، ولازم معنى ذلك، أي: استبعاد لزمن وقوع حدث اللقاء على التأييد والاستحالة بدلالة السياق، ومن الأمثلة على توظيف أمثال الاستبعاد في الشعر الجاهلي قول المرقش الأكبر البكري^(٣):

إِذَا عَلِمَ خَلْفَتُهُ يُهْتَدَى بِهِ بَدَا عَلَمٌ فِي الْآلِ أَغْبَرُ طَامِسُ
تَعَالَلَتْهَا وَلَيْسَ طَبِيٍّ بِدَرِّهَا وَكَيْفَ التِّمَاسُ الدَّرِّ وَالضَّرْعُ يَابِسُ

في سياق الرحلة وما بها من أحداث عبر الشاعر عن حال ناقته بالمثل المبتكر الذي جرى مجرى الأمثال في قوله: «وَكَيْفَ التِّمَاسُ الدَّرِّ وَالضَّرْعُ يَابِسُ»^(٤)،

(١) شعره، ص ٥٤ هو زهير بن أبي سلمى واسم أبي سلمى ربيعة بن رياح بن قرة بن مازن المزني وهو أحد الثلاثة المقدمين على سائر الشعراء جاهلي الأغاني، ١٠: ٢٢٦.

(٢) الأزمنة والأمكنة: للمرزوقي، ٢: ١٨٧.

(٣) «قالها على أطلال محبوبته أسماء» ديوانه، ص ٥٨ هو عوف بن سعد بن مالك البكري، وهو أحد المتيمين جاهلي الأغاني، ٦: ٩٣.

(٤) العجز في الأمثال الصادرة، ص ١٨٣.

ومن منابع سيرورته ما للاستفهام من الدلالة على التقرير والنفي الضمني الذي وسع الدلالة وأسهم في عمق المعنى وحيويته، وأصل القول: (لا يُلْتَمَسُ الدَّرُّ مِنَ الضَّرْعِ الْيَاسِ)، فهو مشهد حجاجي إقناعي يستند على التجربة الإنسانية اليومية، خاطب فيه العقل والمنطق، فأفاد التعبير عن يأسه من نفع ضرع ناقته باستبعاد فعل النفع والدر، أي: طلب النفع في المكان، وهو الضرع في حال جفافه، فلا جدوى من طلب الفعل وتوقع زمانه، فهو بذلك استبعد فعل الدر، واستبعد زمانه على معنى الاستحالة والتأييد، فلا يمكن تحقيقه، والمثل الشعري يتكون من سبب ونتيجة، فسبب استحالة فعل الدر وزمانه، هو حال الضرع من الجفاف واليبوسة، إن للجملة الاسمية بعد واو الحال في قوله: (وَالضَّرْعُ يَاسٍ) ظلال منها أن الجملة الاسمية تدل على الثبات، ما دام حال الضرع يابسًا يستحيل أن يدر لبنًا، وهي سبب معنى الاستحالة في استبعاد حدث الدر وزمانه على معنى التأييد والاستحالة.

وقال نفيلة بن عبد المدان بن حشرم بن عبد ياليل الجرهمي^(١):
 قَدْ قَطَعْتُ الْبِلَادَ فِي طَلَبِ الثَّرِّ وَهُوَ وَالْمَلِكِ قَالِصَ الْأَثْوَابِ
 وَسَرَيْتُ الْبِلَادَ فَقَرًّا لِقَفْرٍ بِقِنَاتِي وَقُوَّتِي وَاكْتِسَابِي
 فَأَصَابَ الرَّدَى صَمِيمَ فُؤَادِي بِسَهَامٍ مِنَ الْمَنَائَا صِيَابِ
 فَأَنْقَضَتْ مُدَّتِي وَأَقْصَرَ جَهْلِي وَاسْتَرَاخَتْ عَوَازِلِي مِنْ عِتَابِي
 وَدَفَعْتُ السَّفَاةَ بِالْحِلْمِ لَمَّا نَزَلَ الشَّيْبُ فِي مَحَلِّ الشَّبَابِ
 صَاحَ هَلْ رَأَيْتَ أَوْ سَمِعْتَ بِرَاعٍ رَدَّ فِي الضَّرْعِ مَا قَرَى فِي الْحِلَابِ^(٢)

في سياق رثاء النفس يورد الشاعر أسفه على ما بدا منه من سفه وجهل في رحلة حياته في طلب الملك والمجد، لكنه يعبر عن اليأس من إصلاح ما أحدثه من سفاهة وجهل بالمثل القائل: «لَا آتِيكَ حَتَّى يَرْجِعَ الدَّرُّ فِي الضَّرْعِ»^(٣)، على سبيل التضمين الجزئي، فأعاد صياغة المثل بأسلوب الاستفهام التقريري المشتمل على النفي الضمني، أي: لم تر ولم تسمع براع رد اللبن الذي حله في الضرع، وبذلك اتسعت الدلالة في التعبير عن المعنى إلى المعنى الذي أراده الشاعر، فكثف الدلالة وعمق المعنى، وأصل القول: (يَا صَاحَ هَلْ رَأَيْتَ أَوْ هَلْ سَمِعْتَ بِرَاعٍ رَدَّ فِي الضَّرْعِ مَا قَرَى فِي الْحِلَابِ)، فحذف ياء

(١) التيجان، ص ٢٣٩ و ٢٤٠ من جرهم وكان تحت طاعة سبأ ملك اليمن نشوة الطرب، ١: ٢٨٨.

(٢) الأمثال الصادرة، ص ٤٦٥ والمستقصى في الأمثال، ١: ٢١٤ «الحِلَابُ: هو إناء يُحْلَبُ فيه» مجمع الأمثال، ٢: ١١٦٦.

(٣) «وهذا عندهم مما لا يكون، تقول العرب: حتى يكون كذا وكذا، لما لا يكون أبداً» طبقات فحول الشعراء، ١: ١٨٥ وهذا لا يمكن مجمع الأمثال، ١: ٥٩٠.

النداء، وكرر أداة الاستفهام (هل) ذكرًا في قوله: (هَلْ رَأَيْتَ) وحذفًا في قوله: (هَلْ سَمِعْتَ)، والغرض من هذا التكرار تثبيت الصورة النفسية وتعزيز صورة الندم الداخلي على ما فات من زل، كما كرر النفي الضمني، وتقديره: (يَا صَاحٍ لَمْ تَرَ أَوْ لَمْ تَسْمَعْ بِرَاعٍ رَدَّ فِي الضَّرْعِ مَا قَرَى فِي الْحِلَابِ)، وبذلك يتشكل المشهد الحجاجي الإقناعي الذي ينبع من التجربة الإنسانية اليومية، خاطب فيه عقل المتلقي ومنطقه، فأفاد التعبير عن يأسه من نفع الندم باستبعاد فعل رد اللبن في الضرع، وهو بذلك استبعاد للفعل وزمنه على سبيل الاستحالة والتأيد، كما نلاحظ تشكل الاستعارة التمثيلية من خلال المثل، حيث شبه صورة محاولة إصلاح ما فعله من سفه وجهل بصورة من يحاول رد اللبن في الضرع، والجامع بين الصورتين هي استحالة وقوع الفعل ومن ثم استحالة زمانه على معنى التأيد والاستحالة، لقد أضفت الاستعارة التمثيلية الحيوية واتساع التعبير والدلالة في ذهن المتلقي، واستثارت ذاكرته وعقله في استحضار الصورة المستحيلة برد اللبن في الضرع؛ ليسقطها على صورة إصلاح سفه الماضي وزلاته، باستبعاد الفعل وزمانه على معنى الاستحالة والتأيد.

وقال معاوية الضبي^(١):

فَذَا مَكَانِي أَوْ أَرَى الْقَارَ مُعْرَبًا^(٢) وَحَتَّى أَرَى صُمَّ الْجِبَالِ تَكَلَّمُ

(١) شعر ضبية، ص ٢٦٧ لم أجد له ترجمة والبيت في طبقات فحول الشعراء، ١: ١٨٤.

(٢) أي: يذهب سواده ويشهد بياضه اللسان، مادة: غرب.

في سياق اليأس والقنوط من المخرج استعان الشاعر للتعبير عن ذلك بالمثل القائل: «لَا أَفْعَلُهُ حَتَّى تَبْيَضَّ جَوْنَةُ الْقَارِ»^(١)، وضمنه تضمينًا جزئيًا، فأعاد صياغة المثل، واستبدل الحرف (أَوْ) بـ(حَتَّى) من باب العدول؛ لأغراض بلاغية أضافت للقول تكثيفًا في الدلالة وتوسيعًا للقول، فدلالة حرف العطف (أَوْ) في قوله: (فَدَا مَكَانِي أَوْ أَرَى الْقَارَ مُغْرِبًا) «بمعنى (إِلَّا أَنْ)، أي: (فَدَا مَكَانِي إِلَّا أَنْ أَرَى الْقَارَ مُغْرِبًا)»^(٢)، وهي كذلك «بمعنى (إِلَى)؛ لإفادتها معنى الغاية، أي: (فَدَا مَكَانِي إِلَى رُؤْيَا الْقَارِ مُغْرِبًا)»^(٣)، وهنا «قد تقول حينئذ بـ(حَتَّى) لذلك»^(٤)، «فتكون (أَوْ) بمعنى الظرفية (كـ(إِلَى وَحَتَّى))»^(٥)، والحق أنها ليست لانتهاء الغاية هنا بل هي للتأييد بدلالة السياق والمعنى على ذلك، وتكون (أَوْ) كذلك «بمعنى (حَتَّى)، أي: (فَدَا مَكَانِي حَتَّى أَرَى الْقَارَ مُغْرِبًا)»^(٦)، «وعلى التقادير الثلاثة (إِلَّا-إِلَى-حَتَّى) يجب تقدير (أَنْ) في الكلام؛ لتكون هذه الأحرف الثلاثة داخلية على اسم مقدر، و(أَوْ) المؤولة بأحد هذه الثلاثة هي التي تنصب المضارع، ونسبة العمل إليها مجاز؛ لأن الناصب حقيقة، هو (أَنْ) المقدرة، ويكون الفعل الذي قبلها عامًّا في الزمان، فتجعله مخرجًا عن العموم، لما دلت عليه من الإلزام»^(٧)، أي: «(لَأَنْزَمَنَّ مَكَانِي حَتَّى أَرَى الْقَارَ

(١) إصلاح المنطق، ص ٦٢٢ وفصل المقال، ص ٤٧٤.

(٢) الحروف والأدوات، ص ٤٢٠ و ٤٢١.

(٣) جواهر الأدب في معرفة كلام العرب، ص ٢٥٧ ومغني اللبيب، ص ٧٨.

(٤) جواهر الأدب في معرفة كلام العرب، ص ٢٥٧.

(٥) مصابيح المعاني، ص ١٠١.

(٦) معاني الحروف: للرماني، ص ٨٣.

(٧) معاني الحروف: للرماني، ص ٨٣ وحروف المعاني: للزجاجي، ص ٥١.

مُعْرَبًا)، فأخرجه استبعاد حدث النجاة وزمانها بخروجه من هذا المكان الذي لا يرضاه من العموم إلى التقييد العام والمطلق الدال على الاستحالة والتأيد، ولهذا انفصلت (أَوْ) عن أختها العاطفة»^(١)، «ومعناه أنه وقع في مكان لا يرضاه، وليس له منجى إلا أن يصير القار أبيض، وهو شبه الزيت، وهذا ما لا يكون ولا يصح وجوده عادة»^(٢)، لقد تحقق الربط بين تحقق فعل النجاة وزمانه بتحقيق ابيضاض القار؛ ليكتسب الفعل وزمانه ما لا يبيضاض القار من الاستحالة على معنى التأيد، فصار الاستبعاد الزماني للحدث دالا على الاستحالة، إن لتضمين المثل ظلال عديدة منها تشكل الاستعارة التمثيلية في تشبيه صورة ما وقع فيه واستحالة النجاة منه بصورة القار الذي يبيض والجامع بينهما هي استبعاد الفعل (النجاة والاييضاض) واستبعاد زمن حدوثه على معنى الاستحالة، هي بالفعل صورة حجاجية تعبر عن صورة الشاعر النفسية اليائسة المقتنعة بهذا اليأس والقنوط من النجاة. ولتأكيد المعنى وتثبيتته في ذهن المتلقي استعان الشاعر بالمثل القائل: «لَا أَفْعَلُ كَذَا حَتَّى يَتَكَلَّمَ الْجَبَلُ»^(٣)، على سبيل التضمين الجزئي، في قوله: (فَدَا مَكَانِي حَتَّى أَرَى صُمَّ الْجِبَالِ تَكَلَّمَ) «ومعناه أنه وقع في مكان لا يرضاه، وليس له منجى إلا أن تُكَلِّمَهُ الْجِبَالُ، وهذا ما لا يكون ولا

(١) جواهر الأدب في معرفة كلام العرب، ص ٢٥٧ و ٢٥٨.

(٢) لسان العرب، مادة: غرب، ١٠: ٣٨.

(٣) «كما أن الجبال لا تكلم، وقد تقول العرب: حتى يكون كذا وكذا، لما لا يكون أبدا» طبقات فحول الشعراء، ١: ١٨٤ ويقال بلفظ «أُثْبِتُ مِنْ أَصَمِّ رَاسٍ» يُرَادُ بِهِ الْجَبَلُ الْمُسْتَقْصَى، ١:

يصح وجوده عادة»^(١)، ولـ(حَتَّى) معنى محوري في الدلالة، فهي تدل هنا على التأييد و«الشرط»^(٢) معاً؛ لأنه «علق المحال عنده» وهو جواب الشرط الضمني - بالمحال عقلاً وعادة»^(٣) المتمثل في أداة وفعل الشرط الضمني، «والشرط الضمني هو الدلالة الشرطية المستفادة من منطوق الكلام دون وجود أداة تعبر عنه، وإنما يفهمه المتلقي وفقاً لقاعدة راسخة في ذهنه، تؤدي إلى فرضية الارتباط الدلالي بين الجمل، فيعي أن العلاقة القائمة بين ركني الاسناد مثل بها إشعار بتعلق الركن الثاني بحدوث الركن الأول»^(٤). و«في كلام العرب تراكيب للجمل، في غير الشرط، إذا تأملتھا وجدتها تنوب مناب الشرطيات»^(٥)، «وعلاقة الشرط الملحوظة دون لفظ للأداة حين تقوم بين عنصرين في السياق النصي تجعل العنصر الثاني بمنزلة جواب الشرط للعنصر الأول، وإن خلا العنصر الثاني من العلامات اللفظية الدالة علي هذه العلاقة»^(٦)، أراد الشاعر استبعاد فعل النجاة وزمنها من خلال ما يدل عليه المثل من الاستحالة والتأييد من باب المبالغة فيه بل وتأنيده في سياق تملك اليأس والقنوط في نفس الشاعر ووجدانه، وَجَنَّدَ الاستعارة التمثيلية، ونقدهما: (فَدَا مَكَايِي يستحيل النجاة منه كَمَا يستحيل أن يتكلم الجبل)، فربط استبعاد فعل النجاة وزمنه باستبعاد فعل تكلم

(١) لسان العرب، مادة: غرب، ١٠: ٣٨.

(٢) الشرط والاستفهام في الأساليب العربية، ص ٣١.

(٣) ينظر شرح عقود الجمان، ٢: ١٠٥٣.

(٤) من أنماط الشرط الضمني في العربية (دراسة تحليلية)، ص ٧٠.

(٥) مفتاح العلوم، ص ٥٩٩.

(٦) اجتهادات لغوية، ص ٣١١.

الجلبل وزمنه، والجامع بين الصورتين هو الاستحالة الحدث واستحالة زمانه، فهي صورة إقناعية قامت على الدليل والتعبير عن تملك صورة القنوط واليأس حال الشاعر النفسية والعقلية، ومن ظلال الاستعارة التمثيلية ما يثيره المجاز من تأثير في نفس المتلقي وتصوير لما في نفس الشاعر وقناعاته، وبتضمنين المثل الثاني تحقق التكرار، تكرار أسلوب الاستبعاد الدال على الاستبعاد الحدث وزمانه على الاستحالة بما اشتمل من تكرار أيضا للاستعارة التمثيلية، لهو باب من أبواب المبالغة، والمعنى: (إِنْ تَكَلَّمَتِ الْجِبَالُ نَجُوثُ وَخَرَجْتُ مِمَّا أَنَا فِيهِ)، فالنجاة لن تتحقق؛ لأن تكلم الجبال لن يتحقق أبداً، ونلاحظ أن الشاعر قدم جواب الشرط الضمني، وهو: (فَإِذَا مَكَانِي) على الأداة وفعلها الذين نابا مناب الشرط وهو قوله: (حَتَّى أَرَى صُمَّ الْجِبَالِ تَكَلُّمُ) بغرض تعجيل التعبير عن القنوط الذي تملك الشاعر نفساً ووجداناً، وتقدير الشرط في المعنى: (إِنْ تَكَلَّمَتِ الْجِبَالُ)، ولتقديم جواب الشرط الضمني، أنه «يحمل المعنى ويحقق دلالة ما كانت لو أُجِرَّ»^(١)، «وهو تقديم ليس على نية التأخير»^(٢)، فجواب «الشرط قد يتقدم، وقد يتأخر»^(٣)، و«إذا تقدم جواب الشرط، أغنى عن تأخره، فَإِنَّ المتكلم، إنما يقصد، أن يربط بالشرط المؤخر، ما تقدم من الجملة»^(٤)، حيث قدم جواب الشرط: (فَإِذَا مَكَانِي) على فعل الشرط الضمني بقوله: (إِنْ تَكَلَّمَتِ الْجِبَالُ)، وأصل القول: (إِنْ تَكَلَّمَتِ الْجِبَالُ نَجُوثُ وَخَرَجْتُ مِمَّا أَنَا فِيهِ).

(١) بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم، ١: ١٢٣.

(٢) بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم، ١: ١٢٣.

(٣) الرد على السبكي في مسألة تعليق الطلاق، ١: ٧٨.

(٤) الرد على السبكي في مسألة تعليق الطلاق، ١: ٦٧ و٦٨.

المبحث الثاني: استبعاد الإدراك والفوات المكاني

إن لاستبعاد الإدراك والفوات المكاني أثرًا في المعاني، وخصوصًا إن كان المكان «من المواضع المضروب بها المثل من هذه الجزيرة العربية على حد الاستبعاد: يقولون لست بمعجز لنا ولو بلغت الشحر، ولو حالت دونك يبرين، وبلغت حضرموت، ويقولون سنبلعه، ولو كان أبعد من أنف اللوذ، ويقولون: لا بد من صنعاء ولو طال السفر، ويقولون: لو بلغ صنعاء القصبة، ولو بلغ برك الغماد، وورد في الحديث النبوي لو اعترضت بنا ماء البحر لخضناه أو قصدت بنا برك الغماد لقصدناه، وهو أقصى حجر باليمن وضمت الصين»^(١)، ومن الأمثلة على ذلك قول يزيد بن خذاق القيسي^(٢):

أَعْدَدْتُ سَبْحَةً بَعْدَمَا فَرَحْتُ وَلَيْسْتُ شِكَّةَ حَازِمٍ جَلَدٍ
لَنْ تَجْمَعُوا وُدِّي وَمَعْتَبِي أَوْ يَجْمَعَ السَّيْفَانِ فِي غَمَدٍ

في سياق العتاب ضمن الشاعر المثل القائل: «هَلْ يُجْمَعُ سَيْفَانِ فِي غَمَدٍ»^(٣)، على سبيل التضمين الجزئي، وربط استحالة جمع الخصوم بين الود والعتاب باستحالة الجمع بين سيفين في غمد واحد، ودلالة النفي بـ(لَنْ) في قوله: (لَنْ تَجْمَعُوا وُدِّي وَمَعْتَبِي) أنها «تختص بالاستقبال، وتدل على النفي المؤكد، فهي

(١) صفة الجزيرة، ص ٣٢٢ و ٣٢٣.

(٢) شعراء عبد القيس في العصر الجاهلي، ص ٣٥١ شاعر جاهلي معجم الشعراء، ص ٥٥٦.

(٣) المستقصى، ٢: ٢٨٧ «ومن أمثالهم في عدم الموافقة وهو من قول أبي ذؤيب الهذلي» «جمهرة الأمثال»، ٢: ٥٠٢.

موضوعة لتأييد النفي»^(١)، فيستحيل اجتماع الود والعتاب على التأييد والاستحالة، وفي قوله: (أَوْ يَجْمَعُ السَّيْفَانِ فِي غِمْدٍ)، لتكون (أَوْ) هنا «بمعنى (إِلَّا أَنْ)، أي: (لَنْ يَجْمَعُوا وَدِّي وَمَعْتَبِي إِلَّا أَنْ يَجْمَعَ السَّيْفَانِ فِي غِمْدٍ)»^(٢)، وهي كذلك «بمعنى (إِلَى)؛ لإفادتها معنى الغاية، أي: (لَنْ يَجْمَعُوا وَدِّي وَمَعْتَبِي إِلَى أَنْ يَجْمَعَ السَّيْفَانِ فِي غِمْدٍ)»^(٣)، وهنا «قد تقول حينئذ (حَتَّى) لذلك»^(٤)، «فتكون (أَوْ) بمعنى الظرفية (كـ إِلَى وَحَتَّى)»^(٥)، والحق أنها ليست لانتهااء الغاية هنا بل هي للتأييد بدلالة السياق والمعنى على ذلك، وتكون (أَوْ) كذلك «بمعنى (حَتَّى)، أي: (لَنْ يَجْمَعُوا وَدِّي وَمَعْتَبِي حَتَّى يَجْمَعَ السَّيْفَانِ فِي غِمْدٍ)»^(٦)، «وعلى التقادير الثلاثة (إِلَّا - إِلَى - حَتَّى) يجب تقدير (أَنْ) في الكلام؛ لتكون هذه الأحرف الثلاثة داخلة على اسم مقدر، و(أَوْ) المؤولة بأحد هذه الثلاثة هي التي تنصب المضارع، ونسبة العمل إليها مجاز؛ لأن الناصب حقيقة، هو (أَنْ) المقدرة، ويكون الفعل الذي قبلها عامًّا في الزمان، فتجعله مخرجًا عن العموم، لما دلت عليه من الإلزام»^(٧)، ولاشتمال عرف العطف (أَوْ) على معنى (حَتَّى) الدالة على التأييد و«الشرط الضمني»^(٨) معًا صارت أداة للشرط

(١) شرح عقود الجمان، ١: ٣٧٥ و ٣٧٦ و ٣٧٧ «نفي الفعل مع التأكيد» شرح تصريف العزي: للفتناني، ص ١٨٨.

(٢) الحروف والأدوات، ص ٤٢٠ و ٤٢١.

(٣) جواهر الأدب في معرفة كلام العرب، ص ٢٥٧ ومغني اللبيب، ص ٧٨.

(٤) جواهر الأدب في معرفة كلام العرب، ص ٢٥٧.

(٥) مصابيح المعاني، ص ١٠١.

(٦) معاني الحروف: للرماني، ص ٨٣.

(٧) معاني الحروف: للرماني، ص ٨٣ وحروف المعاني: للزجاجي، ص ٥١.

(٨) الشرط والاستفهام في الأساليب العربية، ص ٣١.

الضمني نابت مناب (حَتَّى)؛ لأنه «علق المحال عنده» وهو جواب الشرط الضمني-بالمحال عقلا وعادة»^(١) المتمثل في أداة وفعل الشرط الضمني، «والشرط الضمني هو الدلالة الشرطية المستفادة من منطوق الكلام دون وجود أداة تعبر عنه، وإنما يفهمه المتلقي وفقا ؛ لقاعدة راسخة في ذهنه، تؤدي إلى فرضية الارتباط الدلالي بين الجمل، فيعي أن العلاقة القائمة بين ركني الاسناد مثل بها إشعار بتعلق الركن الثاني بحدوث الركن الأول»^(٢). و«في كلام العرب تراكيب للجمل، في غير الشرط، إذا تأملتها وجدتها تنوب مناب الشرطيات»^(٣)، «وعلاقة الشرط الملحوظة دون لفظ للأداة حين تقوم بين عنصرين في السياق النصي تجعل العنصر الثاني بمنزلة جواب الشرط للعنصر الأول، وإن خلا العنصر الثاني من العلامات اللفظية الدالة علي هذه العلاقة»^(٤)، ونرصد تقديم جواب الشرط الضمني، وهو: (لَنْ يَجْمَعُوا وَدِّي وَمَعْتَبَتِي) على الأداة وفعلها الذين نابا مناب الشرط وهو قوله: (أَوْ يَجْمَعَ السَّيِّقَانِ فِي غَمْدٍ) بغرض تعجيل العتاب والتئيس، وتقدير الشرط في المعنى: (إِنْ اجْتَمَعَ السَّيِّقَانِ فِي غَمْدٍ جَمَعْتُم بَيْنَ وَدِّي وَمَعْتَبَتِي)، ولتقديم جواب الشرط الضمني، أنه «يحمل المعنى و يحقق دلالة ما كانت لو أُجِرَ»^(٥)، «وهو تقديم

(١) ينظر شرح عقود الجمان، ٢: ١٠٥٣.

(٢) من أنماط الشرط الضمني في العربية (دراسة تحليلية)، ص ٧٠.

(٣) مفتاح العلوم، ص ٥٩٩.

(٤) اجتهادات لغوية، ص ٣١١.

(٥) بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم، ١: ١٢٣.

ليس على نية التأخير»^(١)، فجواب «الشرط قد يتقدم، وقد يتأخر»^(٢)، و«إذا تقدم جواب الشرط، أغنى عن تأخره، فإنَّ المتكلم، إنما يقصد، أن يربط بالشرط المؤخر، ما تقدم من الجملة»^(٣)، حيث قدم جواب الشرط الضمني: (لَنْ يَجْمَعُوا وَدِّيَّ وَمَعْتَبَتِي) على فعل الشرط الضمني بقوله: (إِنْ اجْتَمَعَ السَّيْفَانِ فِي غَمْدٍ)، وأصل القول: (إِنْ اجْتَمَعَ السَّيْفَانِ فِي غَمْدٍ جَمَعْتُم بَيْنَ وَدِّيَّ وَمَعْتَبَتِي). إن تضمين المثل دور في تشكيل الاستعارة التمثيلية حيث شبه صورة اجتماع الود والعتاب عند الخصوم باجتماع السيفين في غمد، والجامع بين الصورتين هو استبعاد اجتماع الضدين في مكان واحد، فالاستبعاد المكاني وهو الغمد وهو أمر حسي أسقطه على اجتماع الود والعتاب في القلوب والنفوس، وهو أمر معنوي، لكن مكانه القلب، وبذلك ألبس الاستبعاد المكاني لاجتماع السيفين في غمد واحد للاستبعاد المكاني لاجتماع الود والعتاب في قلب واحد، وفي ذلك صورة إقناعية بإلباس المكان المعنوي (القلب) ما للأمر الحسي (الغمد) من الدلالة باستحالة الجمع بين النقيضين والمتعارضين، فلا يتسع الغمد لسيفين كما لا يتسع القلب للود والعتاب.

وقال عبيد بن الأبرص الأسدي^(٤):

سَائِلٌ بِنَا حُجْرَ بَنٍ أَمْ قَطَامٍ إِذْ
ظَلَّتْ بِهِ السُّمُرُ النَّوَاهِلُ تَلْعَبُ

(١) بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم، ١: ١٢٣.

(٢) الرد على السبكي في مسألة تعليق الطلاق، ١: ٧٨.

(٣) الرد على السبكي في مسألة تعليق الطلاق، ١: ٦٧ و٦٨.

(٤) ديوانه، ص ٧ هو عبيد بن الأبرص بن حنتم بن أسد بن خزيمه الأسدي الأغاني، ٢٢:

٥٨ عده ابن سلام في الطبقة الرابعة من فحول الجاهلية طبقات فحول الشعراء، ١: ١٣٧.

صَبْرًا عَلَى مَا كَانَ مِنْ حُلْفَائِنَا مِسْكٌ وَغَسْلٌ فِي الرُّؤُوسِ يُشَيِّبُ
فَلْيُنْكِهِمْ مَنْ لَا يَزَالُ نِسَاؤُهُمْ يَوْمَ الْحِفَاظِ يَقْلُنَ أَيُّنَ الْمُهْرَبِ

في سياق الهجاء بتعبير الخصوم بالهزيمة وفرار نسائهم من الأسر والسي، وظف الشاعر المثل القائل «رُؤُغِي جَعَارٍ وَأَنْظُرِي أَيُّنَ الْمَفْرُ»^(١)، فضمنه تضمينًا جزئيًا، فذكر بعض نص المثل وأغفل بعضه تعويلا على علم المخاطب به، شكر الشاعر من خلال المثل المضمن استعارة تمثيلية حيث شبه صورة النساء بعد الهزيمة وسعيهن للفرار من السي والأسر ولا يجد طريقا للإفلات والهرب بصورة الضبع الذي يجعر، ويستحيل عليه الفرار، والجامع بين الصورتين هي استبعاد وجود مكان أو مخرج للنجاة؛ فبتضمين المثل أكسب الشاعر هذه التجربة الحربية ومشهد النساء الهاربات ما للمثل من الدلالة والمعنى على الاستبعاد المكاني للفرار والنجاة، في صورة حجاجية تعبر عن نفسية النساء اليائسة من الإفلات، وجعل المثل المضمن خاتمة البيت وخاتمة مشهد السي والأسر بقوله: (يَوْمَ الْحِفَاظِ يَقْلُنَ أَيُّنَ الْمُهْرَبِ)، «يُسْأَلُ بِ(أَيُّنَ) عَنِ الْمَكَانِ»^(٢)، ومنهم من قال: «أَنَّهُ تَكُونُ اسْتِفْهَامًا عَنْ مَكَانٍ مَبْهَمٍ»^(٣)، فأفاد الإبهام حيرة النساء وعدم معرفتهن بالمخرج وطريق النجاة، والغرض من الاستفهام —(أين) إظهار الصورة النفسية للنساء وشدة الجزع واليأس والحيرة والعجز، وهو استفهام لفظًا أريد به

(١) جعار: اسم للضبع، سميت بذلك لكثرة جعرها، يضرب للجبان الذي لا مفر له مما يخاف
مجمع الأمثال، ٢: ٨٢٨ والمستقصى، ٢: ١٠٥، أي: لا طريق لك إلى الفرار الأمثال:
لابن البساک، ص ٩٣.

(٢) حروف المعاني: للزجاجي، ص ٣٤.

(٣) مصابيح المغاني، ص ١٢٨.

الإخبار بالنفي الضمني، أي: لا مفر، ومن ظلال توظيف المثل اسم المكان في قوله: (المهْرَبُ)؛ «أراد المكان أو الموضع الذي يُهْرَبُ إليه»^(١)، «أي: أين موضع الهروب»^(٢)، وعبر باسم المكان؛ «لأنه ضرب من الإيجاز والاختصار، وذلك لأنه يفيد مكان الفعل، ولولاه لزم أن تأتي بالفعل ولفظ المكان»^(٣)، ويمكن أن يكون «المراد به المصدر أي: أين الهْرَبُ»^(٤)، وفي ذلك اتساع للدلالة والمعنى فهو يدل على الحدث وفاعله دون زمن.

وقال السموأل بن عاديء اليهودي^(٥):

لَنَا جَبَلٌ يَحْتَلُّهُ مَنْ يُحِلُّهُ مُنِيفٌ يَرُدُّ الطَّرْفَ وَهُوَ كَلِيلُ
رَسَا أَصْلُهُ تَحْتَ الثَّرَى وَسَمَّا بِهِ إِلَى النَّجْمِ فَرَعٌ لَا يُرَامُ طَوِيلُ

في سياق الفخر والاعتداد بمجد القبيلة ونسبها وتمييزها عن غيرها من القبائل، ضمن الشاعر المثل القائل: «أَبْعَدُ مِنْ مَنَاطِ الثَّرْيَا»^(٦)، والمثل القائل: «دُونَهُ النَّجْمُ»^(٧)، جند الشاعر دلالة المثل على الغاية التي لا تنال لبعدها، واستحالة بلوغها عقلا وعادة، لتكون تعبيرا عن مفاخر قومه التي يستحيل على غيرها من القبائل فعلها

(١) الاشتقاق: لابن دريد، ص ٥٥٠ وجمهرة اللغة، ١: ١٢٤ وأدب الكاتب، ص ٥٥٢.

(٢) لسان العرب، مادة: فرر، ١٠: ٢١٧.

(٣) شرح المفصل: لابن يعيش، ٦: ١٦٣.

(٤) الكتاب، ٥: ٣٩٥.

(٥) ديوانه، ص ٣٥ السموأل بن عريض بن عاديء بن حباء الأغاني، ٢٢: ٨٤ من أهل تيماء، وهو الذي كان امرؤ القيس استودعه سلاحه عده من شعراء يهود طبقات فحول الشعراء، ١: ٢٧٩.

(٦) «يضرب به المثل في البعد» ثمار القلوب، ٢: ٩٢٨.

(٧) «فيحوز أن يراد به الجنس، ويجوز أن يراد به الثريا» مجمع الأمثال، ٢: ٧٦٠.

أو بلوغ هذه المنزلة، وهو بلوغ مجازي أسقط النجم على أمجاد قومه، فاكسبت ما للنجم من الغاية في إدراك البعد المكاني واستحالة البلوغ على الآخرين، وبذلك يدل النفي في قوله: (لا يُرَامُ طَوِيلٌ)، فتضمن النفي بـ (لا) معنى (لن) التي تشتمل على التأييد واستحالة حدوث فعل بلوغ النجم، ودلالة النفي بـ (لا) أنها تنفي زمنه في الحاضر والمستقبل، فجمعت بذلك ما لها من خصائص بنفي الحاضر والمستقبل نفياً غير مؤكد بما لحرف النفي (لن) من النفي المؤكد، فبلوغ النجم لا يمكن حدوثه. ونلاحظ أيضاً تشكّل الاستعارة التمثيلية بتشبيه صورة مجد قبيلة الشاعر واستحالة بلوغها لغيرهم بصورة النجم البعيد الذي يستحيل الوصول إليه، والجامع بين الصورتين هي استحالة فعل البلوغ من باب المبالغة، فبعد النجم مقياس أظهر به الشاعر ما لقومه من القدر والرفعة التي لا ترام.

الخاتمة

ومجمع القول مما سبق من حديثنا عن صور معاني توظيف أمثال الاستبعاد في الشعر الجاهلي، بدأنا في التمهيد بتعريف الاستبعاد، فكان مأخوذاً من البعد، واشتمل على البعد الحقيقي والبعد المجازي البعد، وذكرنا نماذج على دلالة الأمثال على الاستبعاد، وتبين لنا أنها مجموعة من الأمثال تمتاز عن غيرها من سائر الأمثال، أنها تجتمع على الدلالة على معنى الاستبعاد وإن اختلفت ألفاظها ودلالاتها الفرعية، لكنها في المعنى الإجمالي الكلي تشترك في الدلالة على الاستبعاد.

فقسم البحث على ما استقر لنا من أنماط عبرت عن معان محددة أرادها الشعراء وعبروا عنها وكانت ستة. هي كالآتي: الأولى: استبعاد استحالة الفوات، والثانية: استبعاد استحالة الإدراك، والثالثة: استبعاد استحالة التوقف أو الكف، والرابعة: استبعاد استحالة الحدوث، والخامسة: استبعاد الإدراك أو الفوات الزماني، والسادسة: استبعاد الإدراك والفوات المكاني. وهذا من حيث تقسيمات البحث.

أما من حيث النتائج التفصيلية فقد رصدنا تعدد وتنوع الأمثال في محاورها الدلالية قامت فكرتها على أساسها وهي محور الثبات ومحور الغياب ومحور التضاد ومحور متعلقات الشخصيات التراثية.

أما الأغراض الشعرية التي وظفت فيها أمثال الاستبعاد في الشعر الجاهلي في مختلف صور المعاني، فكانت على النحو الآتي: في صورة استبعاد استحالة الفوات، وظفت في سياق الاعتذار بمعنى الوعد، والرتاء بمعنى التسليم واليأس والعجز والوعيد بمعنى التئيس، وفي صورة استبعاد استحالة الإدراك استدعت الأمثال في غرض الوعيد والتحدي بمعنى التئيس والتخويف والاحتقار والاستصغار، وفي

صورة استبعاد استحالة التوقف أو الكف، وظفت في غرض التهكم والسخرية والوعيد بمعنى اليأس والتئيس والنصح والإرشاد، وفي صورة استبعاد استحالة الحدوث، وظفت في غرض الهجاء بمعنى التئيس وفي غرض الحكمة في معنى النصح والتحذير وفي غرض الفخر والإصرار بالاعتداد بالنفس، وصورة استبعاد الإدراك والفوات الزماني، استدعيت الأمثال للتعبير عن اليأس في سياق الرحلة وفي غرض رثاء النفس في معنى الحسرة والتحسر على الشباب، وكذلك في سياق اليأس من النجاة، وأما في صورة استبعاد الإدراك والفوات المكاني رصدت موظفة في غرض الوعيد والهجاء في معنى التئيس من الفرار والنجاة وكذلك في غرض الفخر والتمايز عن الآخرين، وبذلك نرصد الأغراض الشعرية التي وردت في صور المعاني التي وظفت فيها أمثال الاستبعاد الدال على الاستحالة والتأييد.

إن الأمثال التي وظفت في صور معاني الاستبعاد، اختلفت في محاورها التي بنيت عليها قبل توظيفها في الشعر، فكانت على النحو الآتي في توزيع وجودها في صور المعاني: ففي صورة استبعاد استحالة الفوات كان محورا الثبات والغياب، وفي استبعاد استحالة الإدراك، وجدت الأمثال في الثبات والغياب، في استبعاد استحالة التوقف أو الكف الأمثال فيه على محور التضاد والغياب، واستبعاد استحالة الحدوث على محوري الثبات والغياب، واستبعاد الإدراك والفوات الزماني قامت الأمثال الموظفة فيها على محور التضاد فقط، وفي استبعاد الإدراك والفوات المكاني كانت الصورة الوحيدة التي اشتملت على الأمثال القائمة على المحاور الثلاثة: الثبات والغياب والتضاد، ولعل ذلك راجع إلى أمور متعددة منها خصوصية وطبيعة كل صورة من صور المعاني، وما يناسبها من أمثال قائمة على محاور معينة وخصائص الأمثال التعبيرية والدلالية، وثقافة الشاعر وذوقه في اختيار الأمثال.

أما الأساليب التي وظفت في صور المعاني سواء بتضمين المثل كما هو بأسلوبه الأصلي أو بإعادة صياغته على أسلوب آخر، فأغلبها كانت على طريقة التضمين الجزئي، وأما التضمين الكلي، فكان على قلة، ولعل تفسير ذلك راجع إلى إعادة صهر المثل في قالب يتناسب مع السياق وغرض الشاعر وزيادة فاعلية التضمين بإعادة صياغة المثل وزيادة في معانيه، ومرد ذلك أيضا لذوق الشاعر وقدراته التعبيرية، كما نلاحظ هيمنة الاستعارات التمثيلية في جميعها لما لها من تأثير وفاعلية في التأثير والإقناع، ومرد تشكيلها هو تضمين الأمثال، فهي في حقيقتها ليست مجرد نص نثري ضمن في الشعر بل هي كذلك استدعاء لقصة المثل الذي نسج المثل عليه لأول مرة، وأما الاستعارة المكنية فوردت في صور بعينها هي: استبعاد استحالة الفوات واستبعاد استحالة التوقف أو الكف، ولم ترد الاستعارة التصريحية والتشبيه التمثيلي إلا في صورة استبعاد استحالة التوقف أو الكف، وأما الكناية فوردت بصور بعينها هي استبعاد استحالة الإدراك واستبعاد استحالة الحدوث، ولعل تفسير اختلاف الصورة المجازية في بعض عناصرها في صور دون صور، راجع لطبيعة الأمثال والسياق وثقافة الشاعر وذوقه وغرضه الشعري، وأما أسلوب الفرض والتقدير الذي اقترن دوما بأسلوب الشرط الصريح قدم جوابه على أدواته وفعله ورد في صورة استبعاد استحالة الفوات واستبعاد استحالة التوقف أو الكف، وأسلوب الفرض والتقدير الذي اقترن كذلك دوما بأسلوب الشرط الضمني قدم جوابه على أدواته وفعله، ورد في صورة استبعاد استحالة الإدراك واستبعاد استحالة الحدوث واستبعاد الإدراك والفوات الزماني واستبعاد الإدراك والفوات المكاني، وبذلك فكل صور المعاني التي وظفت فيها أمثال الاستبعاد الدال على الاستحالة والتأييد لا تخلو من أسلوب الشرط كان صريحا أو ضمنيا ومثل ذلك

أسلوب الفرض والتقدير الذي اقترن بهما، ولا غرو في ذلك لأن طبيعة صياغة أمثال الاستبعاد الدال على التأييد والاستحالة قائمة في غالبها على أسلوب الشرط الصريح والضمني، ولاحظنا كذلك توظيف أسلوب الاستفهام الدال على النفي الضمني في صورة استبعاد استحالة الإدراك واستبعاد الإدراك والفوات الزماني واستبعاد الإدراك والفوات المكاني، وأما أسلوب الإثبات بالنفي فلم يرد إلا في صورة استبعاد استحالة التوقف أو الكف، والعلة في ذلك نابعة من طبيعة صور المعاني وخصائص أمثال الاستبعاد على اختلاف أساليبها والمجاور التي بنيت عليها ودلالاتها وثقافة الشاعر وبيئته وقناعاته وقدراته وإمكاناته في التعبير.

لقد كانت أمثال الاستبعاد الدالة على التأييد والاستحالة معبرة عن الصورة النفسية العميقة للشعراء، بصور وأشكال مختلفة في سياقات وأغراض متنوعة في جميع صور المعاني التي وظفت فيها، فالتعبير عن الصورة النفسية كان من الأسس التي وظفت من أجلها واشتركت في ذلك جميع صور المعاني، تحقق من خلالها المبالغة في التأكيد وتأكيد المبالغة.

قائمة المصادر والمراجع

١. أبنية المصدر في الشعر الجاهلي: د. وسمية عبد المحسن المنصور، الكويت، مطبوعات جامعة الكويت، ط ١، ١٩٨٤.
٢. اتفاق المباني وافتراق المعاني: سليمان بن بنين الدقيقي النحوي (ت: ٦١٤هـ): تح: د. يحيى عبد الرؤوف جبر، الأردن، دار عمار، ط ١، ١٩٨٥.
٣. أثر العلاقات الزمانية بين الأحداث في إظهار دلالة الاستبعاد في القرآن الكريم: د. تراث حاكم مالك الزيادي ومحمد كريم جبار، العتبة العباسية، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، مركز العميد، مجلة العميد، العراق، ع: ٥، ٢٠١٣.
٤. اجتهادات لغوية: تمام حسان، القاهرة، عالم الكتب، ط ١، ٢٠٠٧.
٥. أحكام القرآن: أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي (ت: ٥٤٣هـ): تح: علي محمد البجاوي، القاهرة، عيسى البابي الحلبي، ط ٣، ٢٠٠٣.
٦. أدب الكاتب: أبو محمد عبد الله مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ): تح: محمد الدالي، بيروت، مؤسسة الرسالة ط ٢، ١٩٩٦.
٧. الأزمنة والأمكنة: أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي (ت: ٤٢١هـ): تح: د. محمد نايف الدليمي، بيروت، عالم الكتب، ط ١، ٢٠٠٢.

٨. الاستيعاب في معرفة الأصحاب: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر (ت: ٤٦٣هـ) : تح: علي محمد البجاوي، بيروت، دار الجيل، ط١، ١٩٩٢.

٩. أسلوب الفرض والتقدير (طرائقه ودلالاته البلاغية): د. علي محمود عباس موسى، مصر، جرجا، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية بنين، ع: ٢٥، ٢٠٢١.

١٠. أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام: أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي الإشبيلي (ت: ٣٧٩هـ): تح: عبد السلام هارون، بيروت، دار الجيل، ط١، ١٩٩١، المجلد الثاني، ضمن نواذر المخطوطات.

١١. اسم المصدر في المعاجم العربية: محمد الخضر حسين، القاهرة، مجلة مجمع اللغة العربية، مطبعة وزارة التربية والتعليم، ج٨، ١٩٥٥.

١٢. الاشتقاق: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: ٣٢١هـ): تح: عبد السلام هارون، مصر، مكتبة الخانجي، ط٣، ١٩٥٨.

١٣. إصلاح المنطق: أبو يوسف يعقوب بن إسحاق السكيت (ت: ٢٤٤هـ): تح: د. فخر الدين قباوة، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ط١، ٢٠٠٦.

١٤. الأصول في النحو: أبو بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي (ت: ٣١٦هـ): تح: د. محمد عاطف التراس، القاهرة، دار السلام، ط١، ٢٠١٨.

١٥. الأغاني: أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني (ت نحو: ٣٦٢هـ):

تح: د. إحسان عباس ود. إبراهيم السعافين وبكر عباس،

بيروت، دار صادر، ط ١، ٢٠٠٢.

١٦. أفعال من كذا: أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي القالي (ت:

٣٥٦هـ): تح: د. علي إبراهيم كردي، دمشق، دار سعد الدين،

ط ١، ٢٠٠٠.

١٧. الأمالي: أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي القالي (ت: ٣٥٦هـ):

تح: محمد عبد الجواد الأصمعي، مصر، دار الكتب المصرية، ط ٣،

٢٠٠٠.

١٨. الأمثال: أبو عبيد القاسم بن سلام (ت: ٢٢٤هـ): تح: عبد المجيد

قطامش، دمشق، دار المأمون، ط ١، ١٩٨٠.

١٩. الأمثال: محمد بن أحمد بن البساک (لعله من القرن ٦هـ): تح:

السيد زين العابدين الموسوي، الهند، دائرة المعارف العثمانية،

ط ١، ٢٠٠٨.

٢٠. الأمثال الصادرة عن بيوت الشعر: أبو عبد الله حمزة بن الحسن

الأصبهاني (ت بعد: ٣٥١هـ): تح: د. أحمد بن محمد الضبيب،

بيروت، دار المدار الإسلامي، ط ١، ٢٠٠٩.

٢١. الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية: د. عبد المجيد قطامش، دمشق،

دار الفكر، ط ١، ١٩٨٨.

٢٢. الأمثال المولدة: أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي (ت: ٣٨٣هـ):

تح: محمد حسين الأعرجي، أبوظبي، الجمع الثقافي، ٢٠٠٣.

٢٣. أنساب الأشراف: أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري (ت:

٢٧٩هـ): تح: محمود الفردوس العظم، دمشق، دار اليقظة،

٢٠٠٠.

٢٤. أنسنة الطبيعة في الشعر الجاهلي (دراسة موضوعية فنية): د. سؤدد

يوسف عبد الرضا الحميري، عمّان، ط ١، ٢٠١٩.

٢٥. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين: أبو

البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري (ت: ٥٧٧هـ):

تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دمشق، دار الفكر.

٢٦. البحر المحيط: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن حيان الغرناطي

الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ): تح: ماهر حبوش ومن معه، دمشق، دار

الرسالة العالمية، ط ١، ٢٠١٥.

٢٧. بدائع الفوائد: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم

الجوزية (ت: ٧٥١هـ):، جدة، منظمة المؤتمر الإسلامي، مجمع الفقه

الإسلامي، ط ٤، ١٤٣٧هـ.

٢٨. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: أبو طاهر مجد الدين

محمد بن يعقوب بن محمد بن إدريس الشيرازي الفيروزآبادي (ت:

٨١٧هـ): تح: محمد علي النجار، القاهرة، وزارة الأوقاف، لجنة

إحياء التراث الإسلامي، د. ط، ٢٠١٢.

٢٩. بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم: د. علي أبو القاسم عون،

ليبيا، طرابلس، دار المدى الإسلامي، ط١، ٢٠٠٦.

٣٠. تاريخ مدينة دمشق، وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو

اجتاز بنواحيها من واديها وأهلها : أبو القاسم علي بن الحسن ابن

هبة الله المعروف بابن عساكر(ت: ٥٧١ هـ): تح: محب الدين أبو

سعيد عمر بن غرامة العمروي، دمشق، دار الفكر للطباعة والنشر

والتوزيع، ١٩٩٥.

٣١. تعبير الرؤيا: لأبي محمد عبد الله بم مسلم ابن قتيبة الدينوري(ت:

٢٧٦ هـ): تح: إبراهيم صالح، دمشق، دار البشائر، ط١، ٢٠٠١.

٣٢. التفسر في اللغة: رواية أبي الحسن الحسين عبد الله بن محمد

النحوي(ت: ٣٢٥ هـ): تح: د. عادل هادي العبيدي، عمّان،

دار دجلة، ط١، ٢٠١١.

٣٣. التمثل والمحاضرة: أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل

الثعالبي(ت: ٤٢٩ هـ): تح: زهية سعدو، بيروت، دار ابن حزم،

ط١، ٢٠١٠.

٣٤. التيجان في ملوك حمير: وهب بن منبه بن كامل (ت: ١١٤ هـ): رواية:

أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري(ت: ٢١٨ هـ):

تح: زين العابدين الموسوي، صنعاء، مركز الدراسات والبحوث

اليمني، ط١، ٢٠٠٨.

٣٥. ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ويليهِ التذييل المرغوب من ثمار القلوب: أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي(ت: ٤٢٩هـ): تح: إبراهيم صالح، دمشق، دار البشائر، ٢٠٠٧.
٣٦. جمهرة الأمثال: أبو هلال العسكري الحسن بن عبد الله بن سهل البغدادي(ت: ٣٩٥هـ): تح: محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، بيروت، دار الفكر، ط٢، ١٩٨٨.
٣٧. جمهرة أنساب العرب: أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي(ت: ٤٥٦هـ): تح: د. عبد السلام هارون، القاهرة، دار العارف، ط١، ١٩٦٨.
٣٨. جمهرة اللغة: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد(ت: ٣٢١هـ): تح: د. رمزي منير بعلبكي، بيروت، دار العلم للملايين، ط١، ١٩٨٧.
٣٩. الجنى الداني في حروف المعاني: الحسن بن قاسم المرادي(ت: ٧٤٩هـ): تح: د. فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٢.
٤٠. جواهر الأدب في معرفة كلام العرب: علاء الدين بن علي بن بدر الدين الإربلي(ت: ٧٤١هـ): تح: د. حامد أحمد نيل، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٤.
٤١. حروف المعاني: أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي(ت: ٣٣٧هـ): تح: د. علي توفيق الحمد، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٩٨٦.

٤٢. الحروف والأدوات: الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: ١٧٠هـ): تح:

هادي حسن حمودي، سلطنة عمان، وزارة التراث والثقافة، ط ١،

٢٠٠٧.

٤٣. دلائل الإعجاز: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد

الجرجاني (ت: ٤٧١هـ): تح: محمود محمد شاكر، القاهرة، مطبعة

المدني، ط ٣، ١٩٩٢.

٤٤. ديوان الأعشى: تح: د. محمود إبراهيم محمد الرضواني، قطر، الدوحة،

وزارة الثقافة والفنون والتراث، ط ١، ٢٠١٠.

٤٥. ديوان الأفوه الأودي: تح: محمد التونجي، بيروت، دارصادر، ط ١،

١٩٩٨.

٤٦. ديوان زهير بن أبي سلمى: شرح ورواية: أبي العباس أحمد بن يحيى

ثعلب (ت: ٢٩١هـ): تح: د. فخر الدين قباوة، دمشق، دار الفكر،

ط ١، ١٩٨١.

٤٧. ديوان السموأل: أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة المشهور بنفطويه

(ت: ٣٢٣هـ): يوسف السناري، الشارقة، دار ملامح، ط ١،

٢٠٢٢.

٤٨. ديوان عبيد بن الأبرص: تح: د. حسين نصار، مصر، مكتبة الثقافة

الدينية، ٢٠٠٤.

٤٩. ديوان المرقشين المرقش الأكبر والأصغر: تح: كارين صادر، بيروت، دار

صادر، ط ١، ١٩٩٨.

٥٠. ديوان المعاني: أبو هلال العسكري الحسن بن عبد الله بن سهل
البغدادى (ت: ٣٩٥هـ): تح: أحمد سليم غانم، بيروت، دار الغرب
الإسلامي، ط ١، ٢٠٠٣.

٥١. ديوان المعاني: أبو هلال العسكري الحسن بن عبد الله بن سهل البغدادى
(بعد ٣٩٥هـ): تح: د. النبوي عبد الواحد شعلان، القاهرة، مؤسسة
العلياء، ط ١، ٢٠٠٨.

٥٢. ديوان النابغة الذبياني: أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي (ت:
٢١٦هـ): تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر، دار المعارف، ط ٣.
٥٣. ربيع الأبرار ونصوص الأخبار: جار الله أبو القاسم محمود بن عمر
الزحخشري (ت: ٥٣٨هـ): تح: د. سليم النعيمي، إيران، دار الذخائر
للمطبوعات، ط ١.

٥٤. الرد على السبكي في مسألة تعليق الطلاق: شيخ الإسلام أحمد بن
عبد الحليم ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ): تح: علي بن محمد العمران،
مكة المكرمة، دار الفوائد، ط ٢، ١٤٣٧هـ.

٥٥. رصف المباني في شرح حروف المعاني: أحمد بن عبد النور بن أحمد بن
راشد المالقي (ت: ٧٠٢هـ): تح: د. أحمد محمد الخراط، دمشق،
دار القلم، ط ٣، ٢٠٠٢.

٥٦. ري الأوام ومرعى السوام في نكت الخواص والعوام: أبو يحيى عبيد الله
بن أحمد الزجاجي (ت: ٦٩٤هـ): تح: د. نزيهة المتني، المغرب، الرباط،
الرابطة المحمدية للعلماء، ط ١، ٢٠١٨.

٥٧. الزمن النحوي في اللغة العربية: د. كمال رشيد، الأردن، عمان، دار عالم الثقافة، د. ط، ٢٠٠٨.
٥٨. شرح أشعار الهذليين: السكري أبو سعيد عبد الله بن الحسن بن الحسين (ت: ٢٧٥هـ): تح: عبد الستار أحمد فراج، القاهرة، دار التراث، ط ٢، ٢٠٠٤.
٥٩. شرح تصريف العزي: سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (ت: ٧٩٢هـ): تح: د. محمد ذنون يونس الفتحي، الأردن، عمان، دار الفتح، ط ١، ٢٠١٧.
٦٠. شرح التلخيص: أكمل الدين محمد بن محمد بن محمود البابر (ت: ٧٨٦هـ): تح: د. محمد مصطفى رمضان صوفية، ليبيا، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، ط ١، ١٩٨٣.
٦١. شرح الكافية بن الحاجب: رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي النحوي (ت: ٦٨٦هـ): تح: د. عبد العال سالم مكرم، القاهرة، عالم الكتب، ط ١، ٢٠٠٠.
٦٢. شرح عقود الجمان في المعاني والبيان: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي (ت: ٩١١هـ): شرح: مفتي مكة عبد الرحمن بن عيسى بن مرشد المرشدي (ت: ١٠٣٧هـ): تح: أ.د. عيسى علي العاكوب، دمشق، دار نينوى، ط ١، ٢٠١٧.

٦٣. شرح المفصل: موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي(ت: ٦٤٦هـ): تح: أ. د. إبراهيم محمد عبد الله، دمشق، دار سعد الدين، ط ١، ٢٠١٣.

٦٤. الشرط والاستفهام في الأساليب العربية: د. سمير شريف ستيتية، دبي، دار القلم، ط ١، ١٩٩٥.

٦٥. شعراء طيئ في الجاهلية والإسلام أخبارهم وأشعارهم: تح: د. أحمد عبد المنعم حالو، أبوظبي، هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، ط ١، ٢٠١٢.

٦٦. شعراء عبد القيس في العصر الجاهلي وفي العصرين الإسلامي والأموي: تح: د. عبد الحميد المعيني، الكويت، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للابداع الشعري، ٢٠٠٢.

٦٧. شعراء مذحج أخبارهم وأشعارهم في الجاهلية: تح: مقبل التام عامر الأحمدي، اليمن، وزارة الثقافة والسياحة، ٢٠٠٤.

٦٨. شعر ثقيف حتى نهاية العصر الأموي: تح: إسلام ماهر فرج عمارة، أبوظبي، المجمع الثقافي، ط ١، ٢٠١٠.

٦٩. شعر ذبيان من العصر الجاهلي إلى نهاية العصر الأموي: تح: د. علي بن ناصر الجماح، أبوظبي، هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، ط ١، ٢٠١٥.

٧٠. شعر ضبة وأخبارها في الجاهلية للإسلام: تح: د. حسن بن عيسى بو ياسين، الرياض، جامعة الملك سعود، ط ١، ١٩٩٥.

٧١. الشعر والشعراء: أبو محمد عبد الله مسلم بن قتيبة الدينوري(ت:

٢٧٦هـ): تح: أحمد محمد شاكر، القاهرة، دار الحديث، ط ٣،

٢٠٠١.

٧٢. الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها: أبو الحسين أحمد بن

فارس بن زكريا(ت: ٣٩٥ هـ): تح: السيد أحمد صقر، القاهرة،

البابي الحلبي، د. ط، د. ت.

٧٣. الصرف العربي أحكام ومعان: د. محمد فاضل صالح السامرائي،

دمشق، دار ابن كثير، ط ١، ٢٠١٣.

٧٤. صفة جزيرة العرب: أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني(ت:

٣٦٠ هـ): تح: محمد بن علي الأكوغ، صنعاء، مكتبة الإرشاد،

ط ١، ١٩٩٠.

٧٥. طبقات فحول الشعراء: محمد بن سلام الجمحي(ت: ٢٣١ هـ): تح:

محمود محمد شاكر، جدة، دار المدني، د. ط، ١٩٨٠.

٧٦. طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية: نجم الدين أبي حفص عمر بن

محمد النسفي(ت: ٥٣٧ هـ): تح: الشيخ خالد عبد الرحمن العك،

بيروت، دار النفائس، ط ٤، ٢٠٢٢.

٧٧. الفاخر: لأبي طالب المفضل بن سلمة بن عاصم(ت: ٢٩١): تح:

عبد العليم الطحاوي، المنصورة، دار الفاروق، ١٩٧٤.

٧٨. فرائد الخرائد في الأمثال: أبو يعقوب يوسف بن طاهر الخوي(ت: ٥٤٩هـ): تح: د. عبد الرزاق حسين، الأردن، عمان، دار النفائس، ط١، ٢٠٠٠.

٧٩. الفسر الصغير تفسير أبيات المعاني في شعر المتنبي: لأبي الفتح عثمان بن جني(ت: ٣٩٢ هـ): تح: د. عبد العزيز بن ناصر المانع، الرياض، مركز الملك فيصل، ط٢، ٢٠٠٩.

٨٠. فصل المقال في شرح كتاب الأمثال: أبو عبيد عبد الله عبد العزيز البكري(ت: ٤٨٧هـ): تح: د. إحسان عباس ود. عبد المجيد عابدين، بيروت، مؤسسة الرسالة، د. ط، ١٩٧١.

٨١. الفعل المبني للمجهول في اللغة العربية أهميته - مصطلحاته - أغراضه: عبد الفتاح محمد، دمشق، مجلة جامعة دمشق مج: ٢٢، العدد (١+٢) ٢٠٠٦.

٨٢. الكامل في اللغة والأدب: أبو العباس محمد بن يزيد المبرد(ت: ٢٨٥هـ): تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، المكتبة العصرية، ط١، ١٩٩٧.

٨٣. الكتاب: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب بسبيويه(ت: ١٨٠هـ): تح: أد. محمد كاظم البكاء، بيروت، منشورات زين الحقوقية والأدبية، ط١، ٢٠١٥.

٨٤. لسان العرب: جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور(ت: ٧١١هـ)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٩٩٩.

٨٥. المؤتلف والمختلف: أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى(ت: ٣٧٠هـ) الآمدي: تح: عبد الستار فراج، المنصورة، دار الفاروق،

د. ط، د. د. ت.

٨٦. المآخذ على شراح ديوان أبي الطيب المتنبى: أبو العباس أحمد بن علي الأزدي المهلي(ت: ٦٤٤هـ): تح: د. عبد العزيز بن ناصر المانع، الرياض، مركز الملك فيصل، ط ٢، ٢٠٠٣.

٨٧. مجمع الأمثال: أحمد بن محمد الميداني النيسابوري(ت: ٥١٨هـ): تح: د. علي أبو زيد، أبوظبي، مركز أبوظبي للغة العربية، ط ١، ٢٠٢٢.

٨٨. المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: أبو الفتح عثمان بن جني(ت: ٣٩٢هـ): تح: علي النجدي ناصف ود. عبدالحليم النجار ود. عبدالفتاح شلب، القاهرة، وزارة الأوقاف، ١٩٩٩.

٨٩. المخصص: لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيدة اللغوي(ت: ٤٥٨هـ): تح: د. عبد الحميد أحمد هندراوي، بيروت، دار صادر، ط ١، ٢٠٠٥.

٩٠. المرصع في الآباء والأمهات والبنين والبنات والأذواء والذوات: مبارك بن محمد الشيباني الجزري أبي السعادات مجد الدين بن الأثير(ت: ٦٠٦ هـ): تح: د. إبراهيم السامرائي، عمّان، دار عمار، ط ١، ١٩٩١.

٩١. المستقصى في أمثال العرب: جار الله أبو القاسم محمود بن عمر
الزحشري الخوارزمي (ت: ٥٣٨هـ) : تح: د. كارين صادر، بيروت،
دار صادر، ط ١، ٢٠١١.
٩٢. المستقصى في علم التصريف: د. عبد اللطيف محمد الخطيب، الكويت،
دار المعرفة، ط ١، ٢٠٠٣.
٩٣. مصاييح المغاني في حروف المعاني: محمد بن علي بن عبد الله الخطيب
الموزعي المعروف بابن نور الدين (ت: ١١٢٠هـ): تح: د. جمال
طلبة، المدينة المنورة، دار الفجر الإسلامية، ط ٢، ٢٠٠٤.
٩٤. معاني الحروف: أبو الحسن علي بن عيسى الرماني النحوي (ت:
٣٨٤هـ): تح: د. عبد الفتاح إسماعيل شلي، لبنان، دار الشمال،
١٩٨٨.
٩٥. معاني النحو: د. فاضل السامرائي، عمّان، دار الفكر، ط ٥، ٢٠١١.
٩٦. معجم البلدان: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله
الحموي الرومي البغدادى (ت: ٦٢٦هـ)، بيروت، دار صادر،
ط ٢، ١٩٩٥.
٩٧. معجم الشعراء: أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني (ت:
٣٨٤هـ): تح: د. فاروق أسليم، بيروت، دار صادر، ط ١،
٢٠٠٥.

٩٨. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن هشام(ت: ٧٦١هـ): تح: د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، بيروت، ط١، ١٩٩٨.
٩٩. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية(ت: ٧٥١هـ): تح: عبد الرحمن بن حسن بن قائد، جدة، منظمة المؤتمر الإسلامي، مجمع الفقه الإسلامي، ط٢، ١٤٣٦هـ.
١٠٠. مفتاح العلوم: أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي(ت: ٦٢٦هـ): تح: د. عبد الحميد هندراوي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٠.
١٠١. مفردات ألفاظ القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني(ت: ٥٠٢هـ): تح: صفوان عدنان داوودي، دمشق، دار القلم، ط٣، ٢٠٠٩.
١٠٢. من أنماط الشرط الضمني في العربية(دراسة تحليلية): د. عمرو أحمد عطيفي شحاتة، القاهرة، جامعة القاهرة، مج: ٧، ع: ٤، ٢٠١٨.
١٠٣. المنصف للسلوك والمسروق منه في إظهار سرقات أبي الطيب المتنبي: أبو محمد الحسن بن علي بن وكيع التنيسي(ت: ٣٩٣هـ): تح: د. محمد يوسف نجم ود. محمد عبد الله بن فهد العزام، الرياض، مركز الملك فيصل، ط١، ٢٠٢١.

١٠٤. من نسب إلى أمه من الشعراء: أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب (ت: ٤٠٦هـ): تح: عبد السلام هارون، بيروت، دار الجيل، ط١، ١٩٩١، ضمن نوادر المخطوطات، المجلد الأول.
١٠٥. نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب: علي بن موسى بن سعيد المغربي الأندلسي (ت: ٦٨٥هـ): تح: د. نصرت عبد الرحمن، عمّان، مكتبة الأقصى، د. ط، د. ت.
١٠٦. النظام في شرح شعر المتنبي وأبي تمام: أبو البركات شرف الدين المبارك بن أحمد الأربلي المعروف بابن المستوفي (ت: ٦٣٧هـ): تح: أ. د. خلف رشيد نعمان، بغداد، وزارة الثقافة والإعلام، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، ١٩٩٨.
١٠٧. الواضح في مشكلات شعر المتنبي: أبو القاسم عبد الله بن عبد الرحمن الأصفهاني (ت: ٣٨٠هـ): ، تونس، دار سحنون، ط١، ٢٠٠٩.

Sources and references

1. abnyh almsdr fy alsh'er aljahly: d. wsmlyh 'ebd almhsn almnswr, alkwyty, mtbw'eat jam'eh alkwyty, t1, 1984 .
2. atfaq almbany wafraq alm'eany: slyman bn bnynd aldqyqy alnhwy (t: 614h): th: d. yhya 'ebd alr'ewf jbr, alardn, dar 'emar, t1, 1985 .
3. athr al'elaqat alzmanyh byn alahdath fy ezhar dlalh alastb'ead fy alqran alkrym: d. trath hakm malk alzyady wmhmd krym jbar, al'etbh al'ebasyh, qsm alsh'ewn alfkryh walthqafyh, mrkz al'emyd, mjhl al'emyd, al'eraq, 'e: 5, 2013 .
4. ajthadat lghwyh: tmam hsan, alqahrh, 'ealm alktb, t1, 2007 .
5. ahkam alqran: abw bkr mhmd bn 'ebd allh alm'erwf babn al'erby(t: 543h): th: 'ely mhmd albjawy, alqahrh, 'eysa albaby alhlby, t3, 2003 .
6. adb alkatb: abw mhmd 'ebd allh mslm bn qtybh aldynwry (t: 276h): th: mhmd aldaly, byrwt, m'essh alrsalh t2, 1996 .
7. alazmnh walamknh: abw 'ely ahmd bn mhmd bn alhsn almrzwqy (t: 421 h): th: d. mhmd nayf alldlymy, byrwt, 'ealm alktb, t1, 2002 .
8. alasty'eab fy m'erfh alashab: abw 'emr ywsf bn 'ebd allh bn mhmd bn 'ebd albr (t: 463h) : th: 'ely mhmd albjawy, byrwt, dar aljyl, t1, 1992 .
9. aslwb alfrd waltqdyr (tra'eqh wdlalath alblaghyh): d. 'ely mhmwd 'ebas mwsa, msr, jrja, jam'eh alazhr, klyh allghh al'erbyh bnynd, 'e: 25, 2021 .
10. asma' almghtalyn mn alashraf fy aljahlyh waleslam: abw bkr mhmd bn alhsn alzbydy alesbbyly (t: 379h): th: 'ebd alsalam harwn, byrwt, dar aljyl, t1, 1991, almjld althany, dmn nwadr almkhtwtat .
11. asm almsdr fy alm'eajm al'erbyh: mhmd alkhdr hsyn, alqahrh, mjhl mjm'e allghh al'erbyh, mtb'eh wzarh altrbyh walt'elym, j8, 1955 .
12. alashtaq: abw bkr mhmd bn alhsn bn dryd alazdy(t: 321h): th: 'ebd alsalam harwn, msr, mktbh alkhany, t3, 1958 .
13. eslah almntq: abw ywsf y'eqwb bn eshaq alskyt(t: 244h): th: d. fkhrr aldyn qbawh, byrwt, mktbh lbnan nashrwn, t1, 2006 .
14. alaswl fy alnhw: abw bkr mhmd bn shl bn alsraj alnhwy (t: 316h): th: d. mhmd 'eatf altras, alqahrh, dar alsalam, t1, 2018 .
15. alaghany: abw alfrj 'ely bn alhsyn alashfany(t nhw: 362h): th: d. ehsan 'ebas wd. ebrahym als'eafyn wbkr 'ebas, byrwt, dar sadr, t1, 2002 .
16. af'el mn kda: abw 'ely esma'eyl bn alqasm albgbdady alqaly(t: 356h): th: d. 'ely ebrahym krady, dmshq, dar s'ed aldyn, t1, 2000 .
17. alamaly: abw 'ely esma'eyl bn alqasm albgbdady alqaly(t: 356h): th: mhmd 'ebd aljwad alasm'ey, msr, dar alktb almsryh, t3, 2000 .
18. alamthal: abw 'ebyd alqasm bn slam(t: 224h): th: 'ebd almjyd qtamsh, dmshq, dar almamwn, t1, 1980 .

19. alamthal: mhmd bn ahmd bn albsak (l'elh mn alqrn 6h) : th: alsyd zyn al'eabdyn almwsy, alhnd, da'erh alm'earf al'ethmanyh, t1, 2008 .
20. alamthal alsadrh 'en bywt alsh'er: abw 'ebd allh hmzh bn alhsn alasbhany(t b'ed: 351h): th: d. ahmd bn mhmd aldbyb, byrwt, dar almdar aleslamy, t1, 2009 .
21. alamthal al'erbyh drash tarykhyh thlylyh: d. 'ebd almjyd qtamsh, dmshq, dar alfkr, t1, 1988 .
22. alamthal almwldh: abw bkr mhmd bn al'ebas alkhwarzmy(t: 383h): th: mhmd hsyn ala'erjy, abwzby, almjm'e althqafy, 2003 .
23. ansab alashraf: ahmd bn yhya bn jabr bn dawd albladry(t: 279h): th: mhmwd alfrdws al'ezm, dmshq, dar alyqzh, 2000 .
24. ansnh altby'eh fy alsh'er aljahly(drash mwdw'eyh fnyh): d. s'edd ywsf 'ebd alrda alhmyry, 'emān, t1, 2019 .
25. alensaf fy msa'el alkhlaf byn alnhwyyn: albsryyn walkwfyyn: abw albrkat 'ebd alrhmn bn mhmd bn aby s'eyd alanbary(t: 577h): th: mhmd mhy aldyn 'ebd alhmyd, dmshq, dar alfkr .
26. albhr almhyt: abw hyan mhmd bn ywsf bn 'ely bn hyan alghrnaty alandisy(t: 745h): th: mahr hbwsh wmn m'eh, dmshq, dar alrsalh al'ealmyh, t1, 2015 .
27. bda'e'e alfwa'ed: abw 'ebd allh mhmd bn aby bkr bn aywb abn qym aljwzyh(t: 751h): th: 'ely bn mhmd al'emran, jdih, mnzmmh alm'etmr aleslamy, mjm'e alfqh aleslamy, t4, 1437h .
28. bsa'er dwy altmyyz fy lta'ef alktab al'ezyz: abw tahr mjd aldyn mhmd bn y'eqwb bn mhmd bn edrys alshyrazy alfyrwzabady(t: 817h): th: mhmd 'ely alnjar, alqahrh, wzarh alawqaf, llnh ehya' altrath aleslamy, d. t, 2012 .
29. blaghh altqdym waltakhyr fy alqran alkrym: d. 'ely abw alqasm 'ewn, lybya, trabls, dar almda aleslamy, t1, 2006 .
30. tarykh mdynh dmshq, wdkr fdlha wtsmyh mn hlha mn alamathl aw ajtaz bnwahya mn wardyha wahlha : abw alqasm 'ely bn alhsn abn hbbh allh alm'erwf babn 'esakr)ت°٧١ : h : (th: mhb aldyn abw s'eyd 'emr bn ghramh al'emrwy, dmshq, dar alfkr lltba'eh walnshr waltwzy'e . ١٩٩٥ ,
31. t'ebyr alr'eya: laby mhmd 'ebd allh bn mslm abn qtybh aldynwry(t: 276h): th: ebrahym salh, dmshq, dar albsha'er, t1, 2001 .
32. altfsh fy allghh: rwayh aby alhsn alhsyn 'ebd allh bn mhmd alnhwy(t: 325 h): th: d. 'eadl hady al'ebydy, 'emān, dar djlh, t1, 2011 .
33. altmthl walmhadrh: abw mnsr 'ebd almlk bn mhmd bn esma'eyl alth'ealby(t: 429h): th: zhyh s'edw, byrwt, dar abn hzm, t1, 2010 .
34. altyjan fy mlwk hmyr: whb bn mnbn bn kaml (t: 114h): rwayh: abw mhmd 'ebd almlk bn hsham bn aywb alhmyry(t: 218h): th: zyn al'eabdyn almwsy, sn'ea', mrkz aldrasat walbhwhth alymny, t1, 2008 .

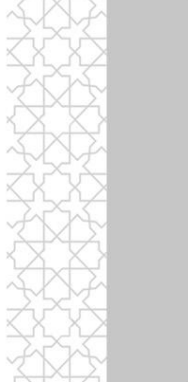
35. thmar alqlwb fy almdaf walmnswb wylyh altdyyl almrghwb mn thmar alqlwb: abw mnsr 'ebd almlk bn mhmd bn esma'eyl alth'ealby(t: 429h): th: ebrahym salh, dmshq, dar albsha'er, 2007 .
36. jmhrrh alamthal: abw hlal al'eskry alhsn bn 'ebd allh bn shl albghdady(t: 395h): th: mhmd abw alfdl ebrahym w'ebd almjyd qtamsh, byrwt, dar alfkr, t2, 1988 .
37. jmhrrh ansab al'erb: abw mhmd 'ely bn ahmd bn hzm alandlsy(t: 456h): th: d. 'ebd alsalam harwn, alqahrh, dar al'earf, t1, 1968 .
38. jmhrrh allghh: abw bkr mhmd bn alhsn bn dryd(t: 321h): th: d. rmzy mnyr b'elbky, byrwt, dar al'elm llmlayn, t1, 1987 .
39. aljna aldany fy hrwf alm'eany: alhsn bn qasm almrady(t: 749h): th: d. fkhr aldyn qbawh wmhmd ndym fadl, byrwt, dar alktb al'elmyh, t1, 1992 .
40. jwahr aladb fy m'erfh klam al'erb: 'ela' aldyn bn 'ely bn bdr aldyn alerbly(t: 741h): th: d. hamd ahmd nyl, alqahrh, mktbh alnhdh almsryh, 1984 .
41. hrwf alm'eany: abw alqasm 'ebd alrhmn bn eshaq alzjajy(t: 337h): th: d. 'ely twfyq alhmd, byrwt, m'essh alrsalh, t2, 1986 .
42. alhrwf waladwat: alkhlyl bn ahmd alfrahydy(t: 170h): th: hady hsn hmwdy, sltnh 'eman, wzarh altrath althqafh, t1, 2007 .
43. dla'el ale'ejaz: abw bkr 'ebd alqahr bn 'ebd alrhmn bn mhmd aljrjany(t: 471h): th: mhmwd mhmd shakr, alqahrh, mtb'eh almdny, t3, 1992 .
44. dywan ala'esha: th: d. mhmwd ebrahym mhmd alrdwany, qtr, aldwhh, wzarh althqafh walfnwn waltrath, t1, 2010 .
45. dywan alafwh alawdy: th: mhmd altwnjy, byrwt, darsadr, t1, 1998 .
46. dywan zhyr bn aby slma: shrh wrwayh: aby al'ebas ahmd bn yhya th'elb(t: 291h): th: d. fkhr aldyn qbawh, dmshq, dar alfkr, t1, 1981 .
47. dywan alsmwal : abw 'ebd allh ebrahym bn mhmd bn 'erfh almshwr bnftwyh (t: 323h) : ywsf alsnary, alsharqh, dar mlamh, t1, 2022 .
48. dywan 'ebyd bn alabrs: th: d. hsyn nsar, msr, mktbh althqafh aldynyh, 2004 .
49. dywan almrqshyn almrqsh alakbr walasghr: th: karyn sadr, byrwt, dar sadr, t1, 1998 .
50. dywan alm'eany: abw hlal al'eskry alhsn bn 'ebd allh bn shl albghdady(t: 395h): th: ahmd slym ghanm, byrwt, dar alghrb aleslamy, t1, 2003 .
51. dywan alm'eany: abw hlal al'eskry alhsn bn 'ebd allh bn shl albghdady (b'ed395h): th: d. alnbwy 'ebd alwahd sh'elan, alqahrh, m'essh al'elya', t1, 2008 .

52. dywan alnabghh aldbiany: abw s'eyd 'ebd almlk bn qryb alasm'ey(t: 216h): th: mhmd abw alfdl ebrahym, msr, dar alm'earf, t3 .
53. rby'e alabarar wnsws alakhbar: jar allh abw alqasm mhmwd bn 'emr alzmkhshry (t: 538h): th: d. slym aln'eymy, eyran, dar aldkha'er llmtbw'eat, t1 .
54. alrd 'ela alsbky fy msalh t'elyq altlaq: shykh aleslam ahmd bn 'ebd alhlym abn tymyh(t: 728h): th: 'ely bn mhmd al'emran, mkh almkrmh, dar alfwa'ed, t2, 1437h .
55. rsf almbany fy shrh hrwf alm'eany: ahmd bn 'ebd alnwr bn ahmd bn rashd almalqy(t: 702 h) : th: d. ahmd mhmd alkhrrat, dmshq, dar alqlm, t3, 2002 .
56. ry alawam wmr'ea alsam fy nkt alkhwas wal'ewam: abw yhya 'ebyd allh bn ahmd alzjaly(t: 694h): th: d. nzyhh almtny, almghrb, alrbat, alrabth almhmdyh ll'elma', t1, 2018 .
57. alzm alnhwy fy allghh al'erbyh: d. kmal rshyd, alardn, 'eman, dar 'ealm althqafh, d. t, 2008 .
58. shrh ash'ear alhdlyyn: alskry abw s'eyd 'ebd allh bn alhsn bn alhsyn(t: 275h): th: 'ebd alstar ahmd fraj, alqahrh, dar altrath, t2, 2004 .
59. shrh tsryf al'ezy: s'ed aldyn ms'ewd bn 'emr altftazany(t: 792h): th: d. mhmd dnwn ywns alfthy, alardn, 'emān, dar alfth, t1, 2017 .
60. shrh altkhys: akml aldyn mhmd bn mhmd bn mhmwd albabrt(t: 786h): th: d. mhmd mstfa rmdan swfyh, lybya, almnshah al'eamh llnsr waltwzy'e wale'elan, t1, 1983 .
61. shrh alkafyh bn alhajb: rdy aldyn mhmd bn alhsn alastrabady alnhwy(t: 686h): th: d. 'ebd al'eal salm mkrm, alqahrh, 'ealm alktb, t1, 2000 .
62. shrh 'eqwd aljman fy alm'eany walbyan: jlal aldyn 'ebd alrhmn bn aby bkr bn mhmd alsywy(t: 911h): shrh: mfty mkh 'ebd alrhmn bn 'eysa bn mrshd almrshdy(t: 1037h): th: ad. 'eysa 'ely al'eakwb, dmshq, dar nynwa, t1, 2017 .
63. shrh almfs: mwfq aldyn y'eysh bn 'ely bn y'eysh alnhwy(t: 646h): th: a. d. ebrahym mhmd 'ebd allh, dmshq, dar s'ed aldyn, t1, 2013 .
64. alshrt walastfham fy alasalyb al'erbyh: d. smyr shryf stytyh, dby, dar alqlm, t1, 1995 .
65. sh'erana' ty'e' fy aljahlyh waleslam akhbarhm wash'earhm: th: d. ahmd 'ebd almn'em halw, abwzby, hy'eh abwzby llsyahh walthqafh, t1, 2012 .
66. sh'erana' 'ebd alqys fy al'esr aljahly wfy al'esryn aleslamy walamwy: th: d. 'ebd alhmyd alm'eyny, alkwy, m'essh ja'ezh 'ebd al'ezyz s'ewd albabty llabda'e alsh'ery, 2002 .

67. sh'erana' mdhj akhbarhm wash'earhm fy aljahlyh: th: mqbl altam 'eamr alahmdy, alymn, wzarh althqafh walsyahh, 2004 .
68. sh'er thqyf hta nhayh al'esr alamwy: th: eslam mahr frj 'emarh, abwzby, almjm'e althqafy, t1, 2010 .
69. sh'er dbyan mn al'esr aljahly ela nhayh al'esr alamwy: th: d. 'ely bn nasr aljmah, abwzby, hy'eh abwzby llsyahh walthqafh, t1, 2015 .
70. sh'er dbh wakhbarha fy aljahlyh aleslam: th: d. hsn bn 'eysa bw yasyn, alryad, jam'eh almlk s'ewd, t1, 1995 .
71. alsh'er walsh'era': abw mhmd 'ebd allh mslm bn qtybh aldynwry(t: 276h): th: ahmd mhmd shakr, alqahrh, dar alhdyth, t3, 2001 .
72. alsahby fy fqh allghh wsnn al'erb fy klamha: abw alhsyn ahmd bn fars bn zkrya(t: 395 h): th: alsyd ahmd sqr, alqahrh, albaby alhlby, d. t, d. t .
73. alsrf al'erby ahkam wm'ean: d. mhmd fadl salh alsamra'ey, dmshq, dar abn kthyr, t1, 2013 .
74. sfh jzyrh al'erb: abw mhmd alhsn bn ahmd bn y'eqwb alhmdany(t: 360h): th: mhmd bn 'ely alakw'e, sn'ea', mktbh alershad, t1, 1990 .
75. tbqat fhwl alsh'era': mhmd bn slam aljmhy(t: 231h): th: mhmwd mhmd shakr, jdh, dar almdny, d. t, 1980 .
76. tlhb altlbh fy alastlahat alfqhyh: njm aldyn aby hfs 'emr bn mhmd alnsfy(t: 537h): th: alshykh khald 'ebd alrhmn al'ek, byrwt, dar alnfa'es, t4, 2022 .
77. alfakhr: laby talb almfdl bn slmh bn 'easm(t: 291): th: 'ebd al'elym althawy, almnswh, dar alfarwq, 1974 .
78. fra'ed alkhra'ed fy alamthal: abw y'eqwb ywsf bn tahr alkhwy(t: 549h): th: d. 'ebd alrzaq hsyn, alardn, 'eman, dar alnfa'es, t1, 2000 .
79. alfsr alsghyr tfsyr abyat alm'eany fy sh'er almtnby: laby alfth 'ethman bn jny(t: 392 h): th: d. 'ebd al'ezyz bn nasr alman'e, alryad, mrkz almlk fysl, t2, 2009 .
80. fsl almqaal fy shrh ktab alamthal: abw 'ebyd 'ebd allh 'ebd al'ezyz albky(t: 487h): th: d. ehsan 'ebas wd. 'ebd almjyd 'eabdyn, byrwt, m'essh alrsalh, d. t, 1971 .
81. alf'el almbny llmjhwyl fy allghh al'erbyh ahmyth— mstlhath— aghradh: 'ebd alftah mhmd, dmshq, mjhl jam'eh dmshq mj: 22, al'edd (1+2) 2006 .
82. alkaml fy allghh waladb: abw al'ebas mhmd bn yzyd almbrd(t : 285h): th: mhmd abw alfdl ebrahym, byrwt, almktbh al'esryh, t1, 1997 .
83. alktab: abw bshr 'emrw bn 'ethman bn qnbr almlqb bsybwylh(t: 180h): th: ad. mhmd kazm albka', byrwt, mnshwrat zyn alhqwqyh waladbyh, t1, 2015 .

84. lsan al'erb: jmal aldyn abw alfdl mhmd bn mkrm bn mnzwr(t: 711h), byrwt, dar ehya' altrath al'erby, t3, 1999 .
85. alm'etlf walmkhtlf: abw alqasm alhsn bn bshr bn yhya(t: 370h)alamdy: th: 'ebd alstar fraj, almnswrh, dar alfarwq, d. t, d. t .
86. almakhd 'ela shrah dywan aby altyb almtbnby: abw al'ebas ahmd bn 'ely alazdy almhlby(t: 644h): th: d. 'ebd al'ezyz bn nasr alman'e, alryad, mrkz almlk fysl, t2, 2003 .
87. mjm'e alamthal: ahmd bn mhmd almydany alnysabwry(t: 518h): th: d. 'ely abw zyd, abwzby, mrkz abwzby llghh al'erbyh, t1, 2022 .
88. almhtsb fy tbyyn wjwh shwad alqra'at waleydah 'enha: abw alfth 'ethman bn jny(t: 392h): th: 'ely alnjdy nasf wd. 'ebdahllym alnjar wd. 'ebdalfth shlb, alqahrh, wzarh alawqaf, 1999 .
89. almkhss: laby alhsn 'ely bn esma'eyl bn sydh allghwy(t: 458h): th: d. 'ebd alhmyd ahmd hndawy, byrwt, dar sadr, t1, 2005 .
90. almrs'e fy alaba' walamhat walbnyn walbnat waladwa' waldwat: mbark bn mhmd alshybany aljzry aby als'eadat mjd aldyn bn alathyr(t: 606 h): th: d. ebrahym alsamra'ey, 'emān, dar 'emar, t1, 1991 .
91. almstqsa fy amthal al'erb: jar allh abw alqasm mhmwd bn 'emr alzmkhshry alkhwarzmy(t: 538h) : th: d. karyn sadr, byrwt, dar sadr, t1, 2011 .
92. almstqsa fy 'elm altsryf: d. 'ebd alltyf mhmd alkhtyb, alkwy, dar alm'erfh, t1, 2003 .
93. msabyh almghany fy hrwf alm'eany: mhmd bn 'ely bn 'ebd allh alkhtyb almwz'ey alm'erwf babn nwr aldyn(t: 1120h): th: d. jmal tlhb, almdynh almnwrh, dar alfjr aleslamy, t2, 2004 .
94. m'eany alhrwf: abw alhsn 'ely bn 'eysa alrmany alnhwy(t: 384h): th: d. 'ebd alftah esma'eyl shlby, lbnan, dar alshmal, 1988 .
95. m'eany alnhw: d. fadl alsamra'ey, 'eman, dar alfkr, t5, 2011 .
96. m'ejm albladan: shhab aldyn aby 'ebd allh yaqwt bn 'ebd allh alhmwy alrwmy albghdady(t: 626h), byrwt, dar sadr, t2, 1995 .
97. m'ejm alsh'era': abw 'ebd allh mhmd bn 'emran bn mwsa almrzbany(t: 384h): th: d. farwq aslym, byrwt, dar sadr, t1, 2005 .
98. mghny allbyb 'en ktb ala'earyb: abw mhmd 'ebd allh jmal aldyn bn ywsf bn ahmd bn hsham(t: 761h): th: d. mazn almbark wmhmd 'ely hmd allh, byrwt, t1, 1998 .
99. mftah dar als'eadh wmnshwr wlayh al'elm waleradh: abw 'ebd allh mhmd bn aby bkr bn aywb abn qym aljwzyh(t: 751h): th: 'ebd alrhmn bn hsn bn qa'ed, jd, mnzmh alm'etmr aleslamy, mjm'e alfqh aleslamy, t2, 1436h .
100. mftah al'elwm: abw y'eqwb ywsf bn mhmd bn 'ely alskaky(t: 626h): th: d. 'ebd alhmyd hndawy, byrwt, dar alktb al'elmyh, t1, 2000 .

101. mfrdat alfaz alqran: abw alqasm alhsyn bn mhmd alm'erwf balraghb alashfany(t: 502h): th: sfwan 'ednan dawwdy, dmshq, dar alqlm, t3, 2009 .
102. mn anmat alshrt aldmny fy al'erbyh(drash thlylyh): d. 'emrw ahmd 'etyfy shhath, alqahrh, jam'eh alqahrh, mj: 7, 'e: 4, 2018 .
103. almnsf llsarq walmsrwq mnh fy ezhar srqat aby altyb almtnby: abw mhmd alhsn bn 'ely bn wky'e altnysy(t: 393h): th: d. mhmd ywsf njm wd. mhmd 'ebd allh bn fhd al'ezam, alryad, mrkz almlk fysl, t1, 2021 .
104. mn nsb ela amh mn alsh'era': abw alqasm alhsn bn mhmd bn hbyb(t: 406h): th: 'ebd alsalam harwn, byrwt,dar aljyl,t1, 1991,dmn nwadr almkhtwtat,almjld alawl .
105. nshwh altrb fy tarykh jahlyh al'erb: 'ely bn mwsa bn s'eyd almghrby alandlsy(t: 685h): th: d. nsrt 'ebd alrhmn, 'emán, mktbh alaqsa, d. t, d. t .
106. alnzam fy shrh sh'er almtnby waby tmam: abw albrkat shrf aldyn almbark bn ahmd alarbly alm'erwf babn almstwfy(t: 637h): th: a. d. khlf rshyd n'eman, bghdad, wzarh althqafh wale'elam, dar alsh'ewn althqafyh al'eamh, t1, 1998 .
107. alwadh fy mshklat sh'er almtnby: abw alqasm 'ebd allh bn 'ebd alrhmn alashfany(t: 380h): th: mhmd altahr abn 'eashwr, twns, dar shnwn, t1, 2009 .



Chief Administrator

Prof. Ahmad Ibn Salem AL-Ameri

His Excellency, President of the University



Deputy Chief Administrator

Dr. Naif Ibn Mohammad Al-Otaibi

Vice Rector for Postgraduate Studies and Scientific Research



Editor –in- Chief

Prof. Ghazi Ibn Khalaf Al-Otaibi

Grammar, Morphology and Philology - Imam Mohammad
Ibn Saud Islamic University



Managing Editor

Dr. Abdulrahman Ibn Ibrahim Al-Jerid

Rhetoric - Imam Mohammad Ibn Saud Islamic University



Editorial board members

- **Prof. Abdul Aziz Ibn Ali Al-Gamidi**
Grammar, Morphology and Philology - Imam Mohammad Ibn Saud Islamic University
- **Prof. Abdul Karim Ibn Ali Awfi**
Linguistics - University of Batna, Algeria
- **Prof. Saeed Abdul Qader Yaqtin**
Literature (story and novel) - Mohammad V University, Morocco
- **Prof. Majdi Haji Ibrahim**
Applied Linguistics - International Islamic University Malaysia, and Head of the Arabic Language Centre for Non-Native Speakers at ISESCO
- **Prof. Munir Mujić**
Literature - University of Sarajevo, Bosnia and Herzegovina
- **Prof. Simone SIBILIO (Associate Professor)**
Arabic Language and Literature - Ca' Foscari University of Venice, Italy
- **Prof. Eun Kyung Kim**
Arabic Language Education - Hankuk University, South Korea
- **Prof. Hanik Mahliatussikah**
Arabic Language Education - State University of Malang, Indonesia
- **Prof. Muhammad Youssuf El-Sayed Hablass**
Linguistics - Cairo University, Egypt
- **Editorial-secretary**
Prof. Ahmad Mohammad Al-jundi
Grammar, Morphology and Philology - Imam Mohammad Ibn Saud Islamic University

Criteria of Publishing

The Arab Science Journal is a refereed scientific journal; issued by the Deanship of Scientific Research, Imam Mohammad Ibn Saud Islamic University. It publishes scientific research according to the following regulations:

I. Acceptance Criteria:

1. Originality, innovation, academic rigor, research methodology and logical orientation.
2. Complying with the established research approaches, tools and methodologies in the respective disciplines.
3. Accurate documentation.
4. Language accuracy.
5. Previously published submissions are not allowed.
6. Submissions must not be extracted from a paper, a thesis/dissertation, or a book by the author or anyone else.

II. Submission Guidelines:

1. The author should write a letter showing his interest to publish the work, coupled with a short CV and a confirmation that the author owns the intellectual property of the work entirely and that he will not publish the work without a written agreement from the editorial board.

2. Submissions must not exceed 50 pages (A4).

3. Submissions are typed in Traditional Arabic, in 17-font size for the main text, and 14-font size for footnotes, with single line spacing.

4. The researcher sends his research to the electronic journal's platform (<https://imamjournals.org>) with a summary in Arabic and English, not exceeding two hundred words.

III. Documentation:

1. Footnotes should be placed in the footer area of each page respectively..
2. Sources and references must be listed at the end.
3. Sample images of the verified/edited manuscript should be inserted in their respective areas.
- 4 - Clear pictures and graphs that are related to the research should be included in appendices.

IV. In case the author is dead, the date of his death, in Hijri calendar, is used after his name in the main body of the research.

V. Foreign names of authors are transliterated in Arabic script followed by Latin characters between brackets. Full names are used for the first time the name is cited in the paper.

VI: Submitted research papers for publication in the journal are refereed by two referees, at least.

VII. Rejected research papers will not be returned to their authors.

Address of the Journal:

All correspondence should be sent to the editor of the Journal of Arabic Studies:

Riyadh, 11432 P.O. Box 5701

Tel: 2582051 - Fax 2590261

[www. imamu.edu.sa](http://www.imamu.edu.sa)

E.mail: arabicjournal@imamu.edu.sa